

خالد محمد خالد

# كما تحدث الرسول

الموقف  
للنشر والنوزيع

## الطبعة الرابعة

جمادى الآخر ١٤٢٥هـ - أغسطس ٢٠٠٤م  
القاهرة

جميع الحقوق محفوظة للناشر

دار المقلم للنشر والتوزيع

٥٠ شارع الشيخ ربحان - عابدين

القاهرة

تليفون: ٧٩٥٨٢١٥ - ٧٩٤٦١٠٩

فاكس: ٥٠٨٢٢٢٣

email: elmokatam@hotmail.com

نضر الله امرءا  
سمع مقالتي، فوعاها،  
فأداها كما سمعها..  
فرب حامل فقهه،  
إلى من هو أفقه منه..  
ورب مبلغ،  
هو أوعى من سامع..

الرسول

عليه صلاة الله وسلامه

دَعَا إِلَى اللَّهِ فَالْمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ  
مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلِ غَيْرِ مُنْقَصٍ  
لَمْ يَمْتَحِنَا بِمَا تَعْيَا الْعُقُولُ بِهِ  
حِرْصًا عَلَيْنَا فَلَمْ لَرْتَبْ وَلَمْ نَهَم

البوصيري

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة

في أوائل عام ١٩٦٢، ظهر لي كتاب "كما تحدث القرآن"، وقلت يومها في مقدمة الكتاب:

- "إن هذه الصفحات لا تزعم لنفسها أنها تقدم القرآن، أو تفسره..  
- "إنها تُلقي السَّمْع، لا أكثر.. وترسل البَصَر وراء موكب من آياته الباهرات.  
- "إننا نقرأ الآية من القرآن، فلا نلبثُ حتى نذكرنا بآية أخرى مُماثلة لها.. ثم تُنادي الآية الثانية، آيات أخريات كثيرات وإذا بنا آخر الأمر أمام قضية كاملة كوُنت الآيات الميثوقة هنا وهناك كل عناصرها، وقالت فيها قولاً بليغاً.  
- "وإني لا أحاول أن أخلع على الآيات معنى أتكلفه، ولا أكلّفها غايات لا تُريدها.. بل أتركها تقودني وحدها إلى غايتها الباسلة الجليّة؛ فإذا نحن أمام فتحة عظيم يُتمع القرآن لحساب الإنسان - لحساب عقلاء، وضمير، ومصير..  
كان ذلك منهجي في كتاب "كما تحدث القرآن" .. وهو نفس منهجي اليوم في كتابنا هذا..

فوحدة المضمون والجوهر، القائمة بين بعض الأحاديث وبعضها الآخر، تكشف عن موكب عظيم من الاتجاهات التقدمية الرأشدة في تعاليم الرسول ﷺ وتوجيهاته من غير أي تدخل من جانبنا، ودونما أي تكلف أو إضافة..  
المهم، أن تكون وحدة المضمون والجوهر دليلنا.. وعندئذ تُعطينا كلمات الرسول ﷺ أروع أسرارها..

إننا خلال قراءتنا كُتُب الحديث والسنة قد نلتقي مثلاً بحديث أخذ مكانه في كتاب الصلاة، أو الحج، أو البيوع، لعلاقة فقهية بين الحديث وهذه الموضوعات.. يُبد لنا حين نتمعن جوهر الحديث، ومضمونه الإنساني نجده وثيقة باهرة من وثائق "حقوق

الإنسان"، فإذا استطعنا - أولاً - أن نبصر وحدة المضمون هذه.. واستطعنا - ثانياً - أن نتبعها في جميع ما يُؤلف بينها من نماذج، وجدنا أنفسنا أمام القيم الإنسانية الكبيرة تُشرق من أحاديث الرسول ﷺ وكأنها تُكتب وتُقدّم اليوم في أوضاً مفاهيمها، وأصدق خصائصها...!!

وهذه هي المحاولة التي حاولتها في كتاب "كما تحدث القرآن" بالأمس..  
والتي أحاولها في كتابنا هذا، اليوم، راجياً أن تكون نهجاً مُجدّياً لفهم أصول الإسلام..

وهذه المحاولة، لا تستقصى في هذه الصفحات نفسها، ولا تستوعب غاياتها.. إنما تُعطي نموذجاً لا أكثر.. ودليلاً لا أقل..

ومن المعروف أن الرسول عليه السلام زُوِّرت عليه أحاديث كثيرة لم يقلها..  
ولكن من المعلوم أيضاً، أن الله سبحانه وتعالى هَيَّأَ للسُّنة من أفضال الرُّواد في صدر تاريخ الإسلام من توفروا في جهد عظيم على تمييز الصحيح من الزائف، آخذين في ذلك بأدق موازين النقد والانتقام.

ولقد اعتمدنا في كتابنا هذا على الأحاديث التي صححت نسبتها إلى رسول الله بوجه من وجوه الصحة، أو بكل تلك الوجوه.

\* \* \*

والآن، إلى كلمات الرسول ﷺ، لنسمع، ونرى..

خالد محمد خالد

## الفصل الأول

# عن النفس الباطنة

24. 11. 1924

إن رسول الله ﷺ وطيد الثقة بالإنسان.

وهو بما علمه ربه، يدرك القدر العظيم الهائل الكامن في أعماق كل فرد إنساني، والذي إذا أحسن إطلاقه أتى من الخير العظيم، ومن العظمة الخيرة كل معجز وعجيب..  
ورسول الله محمد ﷺ، داعية هدى.. وصاحب رسالة.. وحامل مشعل السماء.. ومن ثم فهو دائب الحرص على أن تكثر وتنمو صفوف الذين آمنوا وعملوا الصالحات.. وإن أشواقه لتتثال من نفسه الكبيرة انشياً فتدأركم وراء بطولات الروح الإنساني.. تلك البطولات التي تتمثل في الغلب على الهوى وترتفع بأصحابها فوق مستوى الضعفاء في هداهم وتقاهم، إلى مستوى الأبرار الذين يصير وجودهم آخر الأمر وكأنه ماثبة الله وهديته للنوع الإنساني بأسره..

أولئك هم الذين جاء محمد ليبحث عنهم، ويخرجهم من بين الصفوف المزدحمة، فينفض عنهم غبار التيه، ويشد فيهم زناد التفوق، ويجعل منهم رايات ميسوطة وخفاقة في جو الحياة.

وليس لجواز مرورهم إلى الله علاقة - أدنى علاقة - بالثروة ولا بالعائلة ولا بالمنصب، ولا بالجاه.. إنما هي ثروة الروح.. وحسب الروح.. إنما هو الرثو العظيم إلى ما عند الله من هدى ويقين.. إنما هو سعي الرواد، وزهد الرواد، وإصرار الرواد على كشف طريق الروح وتعييده، وعلى الوصول بالنفس إلى مجال كمالها الميسور في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة..

هذه غاية تتطلب قوة عظمى لا جرم.. يئد أنها لن تكون بحال قوة العضل المفتول، ولا النفس المتسلطة، ولا الجموح العاصف، بل قوة النفس الباطنة..

النفس الباطنة، هي القدر الذي يحملنا في رحلة الشوق والكمال إذا ألهمت تقواها.. وهي القدر الذي يدرجنا في مهاوى التعاسة والضلال، إذا ألهمت فجورها..

وتحويل النفس الباطنة إلى نفس مطمئنة.. ونفس مُشعة بالخير.. تَوَاقُّعُ إلى الكمال،  
هو غاية الدين، وغاية المرسلين في تَعَالِيَةِ النوع الإنساني وبعث إرادة الخير فيه..  
وللنفس الباطنة قُوَّتُهَا ورُبُّهَا..

وإن خير ما تتغذى به وترتوي لهو الإخلاص..

إن نوايانا تشكل أعمالنا وتوجهها، والعمل مهما تكن ضخامته وخطره، لا يكون  
جليلاً ولا يكتب له الخلود الحق إلا بقدر ما تكون النوايا التي أطلقته جليلة وصادقة..

وهذا هو ما يجعل للنفس الباطنة قيمتها ودورها.. فالنفس الباطنة في جوهرها، هي  
إرادة الخير بكل ما تمثله هذه الإرادة من صدق وإخبات، هي استقامة الضمير في أبهى  
صور هذه الاستقامة.

ومن أجل كشف هذه النفس، ومن أجل دَعْمِ وجودها وبعث رُشدِها يتحدث الرسول  
عنها حديثه العذب العميم.

ما هو ذا عليه السلام يبدأ، فلنُصنِّع إليه.

"إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى"

قاعدة ترتكز عليها، وتنهض فوقها كل قيم الحياة، و"بوصلة" تحدد وجهة السلوك  
الإنساني وتعيِّزُ خبيثه من طيبه.

فالأعمال - جميع الأعمال - لا تستعِدُّ قيمتها من شكلها الخارجي.. بل من  
ضميرها الخفي!!

أجل، إن لكل عمل ضميره. وضمير العمل - أي عمل - هو النية. هو الإرادة  
الباطنة التي تحفزنا إلى هذا العمل.

انظر.. قد يبسط رجل مائدته الحافلة بألوان الطعام، وصنوف الطيبات، ويدعو  
إليها حَشْدًا من الوجَّهَاء.

وقد يدعو رجل آخر ضيفًا إلى مائدته الضامرة، فلا يستويان عند الله مَثَلًا.. ولا  
يستويان مَثَلًا كذلك أمام المعايير الصحيحة للضمير الإنساني الرشيد.

قد يكون صاحب المائدة الضامرة، والجهد المقلَّ خيرًا ثوابًا من صاحب المائدة  
الحافلة بما يفتح الشَّهِيَّات.

لماذا؟ لأن وراء جهده المتواضع نية طيبة، ونزعة خيرة فهو - مثلاً - قد آوى إلى  
طعامه فقيرًا يسدُّ في حياء جوعته.. بينما الأول أراد من مائدته المسرقة أن يشبِّخ ويزهو

ويُنمى رصيده من الجاه الباطل و لغرور الكاذب..

وهذا مثال يتكرر في شتى مستويات العمل والسلوك

رسول الله ﷺ يعلم بما أن العمل - كل عمل - يفقد روحه إذا فقد ضميره.

أى إذا فقد إليه الصالحة انتهى تجعل منه عملاً صالحاً

من أجل ذلك، أنشأ هذا المحضر الجامع - "إنما لأعمال بالنيات"

ومن أجل ذلك أقام المبرر الحق الصريح لدى بورن به أعمال البشر "وإنما لكل

أمرئ ما نوى" ..

ليس هناك أروع في عالم الأخلاقيات من هذا السهج، وهذا المعيار

انظروا..

به - عليه السلام - لم يقل "لكل أمرئ ما عمل" بل قال ..

"لكل أمرئ ما نوى" ..!!

ذلك أن - أحلاماً - لا أعمال، هي التي تكشف بصورة أوضح عن جوهره، وعن

حقيقته نفس الباطنة.

والرجل الذي يقف في المسجد مُضيقاً - مثلاً - وهو يحتم بللة حمراء آثمه، أو

بحصن له يمتنه ويحوض في دمه - ليس أصدق جوهرًا من ذلك الآثم الذي تروى أحلامه

وأشواقه إلى لحظة توبة تنقله إلى طاعة الله وهذا.

ليس معنى هذا أن العمل الصواب في ظاهره، غير مرغوب فيه ما لم نصحبه بوايا

طيبة. كلا.

إنما معناه أن الرسول عليه السلام يفتح أعين على لبس الحقيقته، فيعلم أن

الوايا الطيبة بحالصة تتطلب من جهداً دائماً لا ينظر بها، لأنها ليست ضرورية لكي

يكون العمل طيباً فحسب بل هي ضرورية كذلك ليفاء أعمى داخل نطاق الصلاح

والخير.

هو باني وأحلاماً يعيش في ومعا أكثر مما يعيش أفعالاً.

وهذا المعنى الجليل لباهر بأحد من قول الرسول:

"إنما يُبعث الناس على ربهم".

إن الرسول يؤمن ببعث لا رب فيه، حيث يصف الناس جميعاً بأنهم يحكم

الحاسين، وحيث "تحد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء سودت

أَنْ يَنْتَهَى وَيَنْتَهَ أَمَدًا ..

في ذلك اليوم يبعث ساس على ربهم، أى أن نوايا تسعى بين أيدينا أينما كنا وكانت لنا حيام.

والعمل الذى كان يبدو شجاعة في الحق، ومبالغة في لجود، أو تقديراً في خدمة الس.. لن ينظر الله إليه حتى ينظر أولاً وقبلاً إلى النوايا التى كانت من وراءه ندفعه وتقوده.

فإذا وجدت إليه الصالحة بعثت هي نعم إلى لوجود من جديد، ونسى من الله حفاوة ومثوبة.

وإذا لم تكن ثمة صالحة، بقي لعمل مطموراً تحت رماد مهيل، ولم يجد صاحبه مثوبةً تنتظره ولا عاقبة تسره.

وإن رسول الله ليبعنا هذه الحقيقة في مشهد قد وآسر، يرسمه لنا بيانه الرشيد وقوله السيد فنقول:

"أطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى أوافهم لميت، لى غار، فدخلوا، فاحدرب صحرة من الجبل فسدت عليهم العذر، فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصحرة إلا أن تدعوا الله بصلاح أعمالكم، فقال رجل منهم: - اللهم كان لى أبواب شحان كبيران، وكنت لا أعنى " فلهما أهلاً ولا ملاً، فهاى بى طلب شجر يوماً فلم أرح عنيهما حتى ناما، فحسنت لهما عبقوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أعنى قنهما - أهسى - فشت والقديح عنى يدي أنظر أسف ظهما حتى برق لفجر، فاسيفظ فشرب عبقوقهما، ألهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهي فمرح عني بحسني من هذه الصحرة؛ فامرحت شيئاً غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها - وقال الآخر: - سهم كانت لى أبه عم، كتب أحب الناس لى فراودها عن نفسها فامنعني حتى ألقت بها سنة من السنين فجاءني وأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن يحلى بيني وبينها ففعلت، حتى إذا قدرت عليها قالت، لا يحل لك أن تمسك الجاهل إلا بحقه، فتحررت من الوقوع عندها فصرفتها عنها وهي

(١) الغزوى الشراب ليلاً، وهو من شراب اللب

أحب الناس إليّ، وتركْتُ الذهب الذي أعطيتها - اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك وفرح عند ما نحن فيه، فأخرجت الصحرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها - وقال الثالث: اللهم، نبي استأجرت أجراً وأعطيتهم أجراً غير رجل واحد يرث الذي له وذهب، فثُرب أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال لي: أدُّ إليّ أجرى - فقلت له: كلُّ ما ترى من الإبل والفر والعصم أجرك!، فقال: يا عبد الله لا تستهري بي، فقلت: إني لا أستهري بك. فأخذه كله، فدم يترث منه شيئاً - اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأخرج عنا من نحن فيه فأخرجت الصحرة، فخرجوا يمشون...!!

\* \* \*

في هذا مشهد الباهر يرسم الرسول صورة مبيت سدور النفس الطيبة، واليه الخالصة في تقييم العمل، وتحديد ثبوته.

فهؤلاء الثلاثة الذين اتبعوا عليهم العار، وكادوا يهلكون داخل جوفه المعيم لم يتوسلوا في هذه اللحظة النائية الحرجة بأعمالهم، بل توسلوا بالدوافع النفسية التي كانت وراء هذه الأعمال.

إن كل واحد منهم يقول في مشهد ربه "اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، وفرح عند ما نحن فيه.."

إنهم يتوسلون بما في أعمالهم ومواقفهم تلك من صميم، من صدق وإخلاص وهذه لعلبة ابتغاء وجه الله "تتمثل فيها عند الرسوب، القبله التي يحب أن يؤمنها الناس في كل عمل يعملون.

"ابتغاء وجه الله" تعنى المعيار السوي الصادق لكن دوافع النفس وبوايا، بصير فإذا كان الناس مطالبين بأن يكون دوافع أعمالهم خيرة، ومستقيمة، فإن سببهم لهذا حتى لا تنصرف بهم السبل، هو أن يقصدوا بأعمالهم تلك وجه الله العلي العظيم.

ولكن لماذا وجه الله بالدات...؟

وماذا تعنى عبارة "وجه الله"؟

إن "وجه الله" يعني هت الحبر لمصق، والعظمة المطلقة، فردا توخيت بعصت وجه الله بحرْد عصمت حَمًا من كل عرض وعرض وسحرز من فوره من كل الموبقات اللى قد يحجره عن لتخليق إلى مدار ذلك الحبر لتصلو وتلك العظمة العظيمة

إن العمل ابتغاء وجه الله يربط الإرادة لإستاسه بأونق العرى وأقوى الأسباب.

وحين ينعمى عملك إلى وجه الله وصيغته، يظفرُك هذا الاسم بسيادة عظمى على نفسك، وعلى عالمك الذى حولك، ويسمع، ردت قصء لا يعرف البأس، وعقت صياء لا يعرف الظلمة. وروحك بهللاً لا تعرف احصره ولا الكآبة.

وهنا يقول الرسول عليه السلام:

"طوبى للمخلصين، أولئك مصيخ الهدى، سجلى عنهم كل فتنة ظمء"!!..

\* \* \*

ونقوم لبواعث الصالحة، واسوايا العتبة معام الأعمال حين نحول الظروف دون إجاز الأعمال وممارستها.

بقول "أس" رضى الله عنه:

"رحمنا من عروه بيوك مع السى ﷺ فقال ك. لقد بركتم بالمدمه أقواماً، ما سرتهم مسير، ولا أنقسم من نعمه، ولا قطعهم من واد إلا وهم معكم..

قلو: يا رسول الله، وكيف يكونون معب وهم بالمديه ؟

قالت: حبسهم العرض.."

وهكذا يرفع لرسول اثواب لصالحه إلى مستواها الحق. فهؤلاء تدبر لم يخرجوا إلى الجهاد مع اسى والمسلمين، كتب بهم جمع أجر الدين خرجوا وجهدوا، واستشهدوا.

فكيف ظفروا بهذا الأحر وهم لم يعادرو بيوبهم فى المدينة ولم تعبّر لهم قدم. ١٩

إنها النفس الباطنة والنوايا الخيرة.

فقد كنت حواشهم تنطوى على لرغبة واعزم، ولكن العرض قعد بهم، وحال بهم وبين ما يؤدّون. هالت بعدمت نواياهم الصادقة فملأت لصراع لدى كاد على العمل أن يملأه، وأظهرهم بكل ثواب الصالحين والعاملين

إن عتية لرسول على السلام بالبو عت والنوايا بلغ شأوها البعد فى انعاماته

النبيلة الجليية.

وهو لا يضع عنه على العمل مهما يكن يادى النفع والعظمة حتى ينظر أولاً بعبث هذا العمل، ولإرادة التعمية التي دفعته وصاعته وجوده.

لقد كان الجهد في سبيل الله بمثل عند الرسول دروة لصالحات والقربان، ومع هذا، فما كان الرسول براه شيئاً مذكوراً، إذا لم يكن وراءه ظهيرة تقصد وجه الله.

نحدثنا أبو أمامة صاحب رسول الله فيقول:

"جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت رجلاً عرا يمس الأجر والذكر، ماله؟ قال الرسول لا شيء له، وكرر الرجل سؤاله، ولرسول يقول له: لا شيء له، ثم قال عليه السلام: إن الله عر وحاً لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً، وابتغى به وجهه".

\* \* \*

فأما، يقصد بوايد، ويحرف ببواعث، اللطافة عن رؤية الحق الذي يجب أن يعمل له ونعيش دوماً في خدمته..؟

إنها رؤية الناس، وطلب الشهرة والرؤى بينهم..

فأنت حين تعمل عملاً، أو تصحى نصيحة من أجل أن يبلغ بهذا العمل أو بملك التصحى حظوةً وجاهاً عند الآخرين، سيكون مضطراً أن تؤدي عملاً هذا على السط الذي يرضى أولئك الذين يتبعون لديهم الجاه، والحظوة، وليس على السق الذي يتطلبه الحق، وتتطلبه المقاييس السديدة لهذا العمل.

وحين يحصع الحق لأهواء الدس، يفسد كافة العلاقات التي تصل قوى الجاه بعضها ببعض ويضطرب المقديس لى تحمي مداد الحية، وشيع الربيع واسهاد، فتتسمى الحياة لغواً وفراغاً وبليلة.

من أجل ذلك بنعدم الرسول عليه سلام قدمه على الرباء، ويصلبه من بعده ومن غصبه.

ولرباء، هو الاسم الحظفي لحبة فقدان الصدى وإحلاص.

وحين يفقد الصدى والإحلاص حين يمارس أعماله، وأعبت على اطماع باطلة نرجو أن تكون أعمالنا سلكاً إليها..

حين تعبد الله - مثلاً - ليقول الناس عنا عابدون..

حين نخطب، ونكتب؛ ليقول الناس عنا جهابذة.

حين تنشأ المناصب لثروها على الناس وتستعلى..

حين تأني الأعمال، لا لأهل واجبات يؤديها وتنتظر عليها ثواب الله، وسكينة

النفس، بل لأنها جوار مرورنا إلى مقاعد الشهرة بين الناس

وليس، ثمناً ولا حظيئة أن يكون لك نصيب من لمجد أو الشهرة إذا كنت من

مواهبهم. شرطه أن يجتث ثمرة غير مقصوده بعملك ومسعاك لا أن يكون البعث

المحرك و لوجهة المقصودة.

إن الرياء آفة تمحق الأعمال ويردها برأى في رباب.

وإن الرسول عليه الصلاة والسلام ليصمّن تعاسمه وأحاديثه رجراً أكيداً عن كل

رياء.

وهو نحن أمام أولاء "لوحة" أخرى باهرة، يرسم فيها الرسول ونصوّره، ردراءه الرياء

ومقتته له فلنطالعها:

\* "عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أول

الأس يُقصى عنه يوم الصامة رجلٌ سئشهد، فأني به فعرفه الله نعمه فعرفها

قال الله به فما عملت فيها؟ قال: كنت في سبيل حتى سئشهد، قال

كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: هو جريء، فقد قيل. ثم أمر به فسحب

على وجهه حتى ألقى في النار.."

\* "ورجل تعلم لعلم وعلمه ومراً القرآن، فأني به فعرفه الله نعمه فعرفها - قال:

فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعممه، وقرأت في القرآن، قال:

كذبت، ولكنك تعلمت لعالم؛ علم، وقرأ القرآن لقل: هو قارئ، فقد

قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار.!!

\* "ورجل وضع الله عليه وأعطاء من أضاف المال فأني به، فعرفه الله نعمه

فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سل نحسب أن يُمنق فيها

إلا أنفق فيها لك - قال: كذبت، ولكنك فعلت لعالم هو جواد فقد قيل. ثم

أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار.."

من المعروف بدهاءة أن كلمات الرسول هذه، لا تعبر عن اردر نه الشجاعة، ولا العلم، ولا السجاء..

ويعبر عن رثائه الشديد للناس بأنون هذه التفاصيل بنو، يا رديته وشؤيرة، بهم يوثون بعصيلة. احيان يوضع لشجاعة، أو يوضع العلم، أو يوضع الجود في خدمة أعراض رحيصه باطله يكون هد لعمل هذه لهذه التفاصيل وبريها له والدس يعملون وشعارهم، انظرون لا يرفعون وفق معيير الرسول، لى مستوى الرشد، ولا يبالهم من عاقبة أعمالهم إلا ما يؤمنهم له نواناهم لهابطه وأطماعهم لدنا. وإن الرسول عليه السلام لحدرد أصحابه والناس جمعاً من أن يعدل الربء منهم ثمار كدّهم وأعمالهم فيقول:

"من سَمِعَ نَمْعَ اللَّهِ به، ومن يُرَأَى يُرَأَى اللَّهُ به.."

\* \* \*

ويرى الرسول في الربء صرباً من الشرك بالله.

ذلك أن لإيمان القويم بالله يعنى ألا يرتفع فوق جاهه جده، وألا يُطلب من غيره ما لا يملكه أحد سواه.

ومش هد الإيمان يرفع شبه بالنفس إلى مستوى تحرر فيه من كل رعية في مذ هه الآخرين ومسايرتهم والتماس المشويات منهم. والربء لا يكون في العبد وحده بل ينظم كل انحراف في سوغث المحركة لكل واجبات في الحياة..

فكل لواجيات عبادة.

وأب تكون ضجة الشرك لجمي كلمه مرسب واجباتك في مسوى أهواء الناس، لا في مستوى الخير العام الذي تحققة هذه الواجبات.

وجدير بث انتد أن نلنفس مشويات معب لهم، وليس من لله الذي لم تقع به مشأاً ومعطياً. اا

هذا هو رسول الله يتحدث:

"إن أخوف ما أخاف عليكم، الشرك الأصغر"

فالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله..؟ قال "الربء". يقول الله عز وجل

إذ جرى الناس بأعمالهم ذهبوا إلى الدين كسم يراءون في الديب فبنظروا هل تجدون عندهم جر، ٢٢٠.

وبه عليه السلام ليوصي أصحابه دوماً أن يفتحوا أعينهم على هذا العدو لمريض حتى لا يندس خلسة بين يواياهم ويواغثهم فيفسدها.  
وقف ﷺ ذات يوم خطيباً في أصحابه فقال:

"يا أيها الناس: انقروا هذا الشرك؟ فبه أحق من ديب النمل" قالوا: وكيف نغلبه يا رسول الله وهو أحق من ديب النمل؟ قال "مولوا الله إن يعود بك أن تُشرك بك شيئاً بعلمه، ونستغفر لك ما لا تعلمه".

ولكن أين تقدير الرسول ﷺ للطبيعة الإنسانية إذن ولا احتياجات المحتومة من تقدير الآخرين وثنائهم.. ٢٢٠.

إن الرسول ﷺ بتعاليمه السالفة لم يَجْعِد الطبيعة الإنسانية، ولم ينكر عليها جميعاً في أن تكون مراياها وفصائلها موضع التكريم والتقدير والثناء.

لحظر لدى بُحدره الرسول ﷺ ويبحث، هو أن يدرس الإنسان وجانبه، ويعبر عن فصائله، لا يباغت من ولاته لهذه الواجبات ويست الفصائل بل ليكون بين الناس وجهاً

وموضع الحظر هنا، أن قلبه لعلق برصاء الناس ونملهم سمعته مع الاستمرار عبداً لأهوائهم. وحين يصير الحق في جانب، والناس في جانب آخر، يبيع الناس ويُحالف الحق. وقد يعين ذلك وهو لا يدري أنه يتحدى الحق ويتهد منه مكائاً فضيلاً. ذلك لأن بصيرته التي تعودت أن يرى الأشياء من خلال العلق، تعمى وقد اجتاحتها ارغفه في مصابغة العبر بعيدة عن مواطن الرش والحق، ولا يعود تعرف الناس بالحق، بل تعرف الحق بالناس.. وآتد يصب النفس الإنسانية بشر ما يرقها

إن الدين يعملون ليظفروا بشاء الناس لا غير، يصرفون وكأنهم بمعد الناس أوثق منهم بما عند الله.

وواحب الإنسان أن يعمل ابتداء وجه الله الذي منحه القدرة والتوفيق. فإذا صار عمله ذلك موضع الحدوة و لثناء، فلا تثرى عليه ولا حرج، ولا ينقص هذا الشاء من أجره مثقال ذرة.

سأل صحابي رسول الله فقال:

"يا رسول الله إني لأعمل العمل من الحر في سرٍّ لا يعلمه إلا الله، وسم  
أبيع به إلا وجهه ثم أصبح فأرى الناس يتحدثون به، فينشرح لحدبهم  
صدري أمِنَ الرياء ذلك..؟"

فأجابه الرسول عليه السلام: "لا، ليس ذلك رياء، إنما هو عجلٌ يُشْرِى المؤمن"  
صدق رسول الله - فحين يَأْبِتُ من لئس ثناءً أبى له أهلٌ ثناءً لم يبع به  
إخلاصك وصدق بوأياك، فإن هذا الثناء يكون بمثابة لفظ الأول و سر من موه الله  
لك. به كما قال الرسول ﷺ: "عاجل بشرى مؤمن"

إن ولاءه لواجب بدوم ويبقى ما دمنا نوجه بهذه الأعمال إلى الله  
ونحن نلحظ ذلك وصحاً ومُبْتَأً في الأسلوب الذي يعالج الناس به واجب تهم به  
العلاقات الإنسانية.

فالصداقة مثلاً، التي تستمد خصائصها ووجودها من بواعث نية وصداقة ندوم  
وتفهر كل دواعي الفرقة، والحدود، والحدلان..  
أم الصداقة التي ترجيها أطماع مُادله، ومنافع رائله، فيها ليس أكثر من قطيعة  
في ثياب تنكرية.

إن أجلها قصير، وعاقبتها خسر..

وهنا نلتقي برسول الله يقول:

"إن من عباد الله نساء، ما هم بأسياء ولا شهداء يعبطهم الأنبياء والشهداء  
يوم القيامة لمكانهم من الله تعالى" أ.

"قالوا يا رسول الله نُحْبِرُما من هم..؟"

"قال، هم قوم يحبوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها،  
فوالله إن وسخهم نور، وإبهم لعل نور لا يحرقون، يدحرف الناس، ولا  
بحرثون إذا حزن الناس، وقرأ هذه الآية - ألا إن أولياء الله لا خوف  
عليهم ولا هم يحزنون -" أ..

من هؤلاء الذين يُقسم الرسول أن لهم كل هذه المثوبة وهذا الرضوان...؟  
إنهم طائفة من قوى البو عث الريانية الطاهرة..

، بهم قوم أحبُّ بعضهم بعضًا. لا من أجل أواصر، أو صافح.. ، بم هم "نحايوا  
في الله"!!

عمل عملك ابعاء وجه لله وحده. وذغ غير هذ العمل يطلق الألسنة بإطرائك،  
ويزملا الأفتدة بحبك، ويدن الدس عليك فائد لا تشرب ولا حرج. ولكن حذر أن  
تعمل الخير رباء وسمعه طمغ ورهوا؛ فبك بهد لا تصيح، جرك بحسب، بل وتلوث  
الخير أيضًا..

ولئن كان الرسول عليه اسلام يحادر على سلامة نفس الباطنة من ارباء، فرب  
بنفس القدر ولنفس السبب يخاف عليها النفاق..

إب فوق النفس الطائفة، يعنى كما ذكرنا من قبل استقامة الصمير

واستقامة الصمير لا تكذب بين فى شىء كما بين فى نعاء البواعث اثنى سنعث  
فينا إرادة العمل، والحوافز التى تقود أعمالنا.

وإذا كان الرباء يدفع بأعماد بعيداً عن سهج الإخلاص اللارم لسلامتها؛ فإن  
النفاق يدفعها بعيداً ويعيداً عن كل صواب وحق.

فأولئك الذين يرصدون رب ح المافع والأهوء قبل أن تُبحرُوا بأطمعهم الملائة،  
قوم يجعل منهم أنسهم المظلمة والمفرطة مبحاً يكدّر جمال الحياة، وافة تسبهد جهد  
الخير فى مدومتها وذخضها.

لماذا ينافق المنافقون. ؟

لأنهم صغار جباء، يسرون بالنفاق صغارهم وهواهم أو لأنهم ذوو أطماع غير  
مشروعة، يتوسلون بالنفاق لإنجارها..

أو لأنهم إغصاب وقفاض طافه على السطح البارد، فهم يعبرون بالنفاق عن حوائهم.  
إن هؤلاء، وهؤلاء، وأوشكت، لا يمكن أن تصدر عنهم أعمال جيبة اعدر، ولا  
يتركون فى الحياة بعد رحبتهم عنها سوى بصمات مبرورة، دا هم تركوا شيئاً على  
الإطلاق.

وإذا كان هؤلاء صحابا النفاق، وإذا كان النفاق شديد الوطأة على النفس الباطنة،  
ممنع لإصرار على شويها وإصلاها، فقد شرس لرسول ﷺ عليه حملة فبرة من

أحاديثه المباركة وتوجيهاته السديدة.

وبه لبداً فيقول:

"إن شر بسوس دو الوجهس ، ندى يانى هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه"

ويقول:

"من كان له وجهان في الدنيا، كان له يوم القامة لسان من نار".

وبصورُ لرسول اردر عه اسبق واشمئزازه عه في هذا اسسه الساحر الذي يدمغ

به المنافقين، فيقول عليه السلام:

"مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين العنصن تعير إلى هذه مرة، وإلى هذه مرة" !!

\* \* \*

إن رسول ﷺ إذ يدحض اسبق، إنما يفعل هذا عن إدراك كامل للأحطار

الماحقة اسى تحلُ بكل جماعه بروج ساق فيها. هالك برأور الحقيقة ويحتقى، ويمسى

كبتُ الصدى فضبه بلك الجماعة، وتفقد الجماعة قدرنها على الاحتفاد بشرف

مستولياتها.

ذلك أن لعاق ابن شرعى للكذب والحانة، وحين يصير الكذبُ وبصير الحية

العملة الراجحة بين قوم، فقل: عليهم انهاء.

يقول الرسول عليه السلام:

"آية المنافق ثلاث:

\* إذا حدث كذب.

\* وإذا وعد أخلف.

\* وإذا أؤتمن خان."

وفي حديث آخر يصف لرسول إلى خصائص لساق آفس آخرين فيقول:

"إذا عاهد غدر..

وإذا حاصم هجر

وهكذا يحمل العاق بين طبنه، غفوبه ومصاصه..

فهو يد يحمل من صاحبه كدياً، وحنثاً، وغادراً، يتم تحوله إلى مسخ شبي،

ويحمل وجوده.. مجرد وجوده عبت عى الحياة يحاول دتماً أن يلقبه على الأرض

وتمسحه تحت قدمها.

وبدرك لرسول ﷺ أن الحياء الإنساني لا يستقيم أمره إلا بالعدل الذي يسود به حرية لصمير، حيث يتحرى الناس الحق ويسعونه، وحيث يكون الانقياد الحر الإرشاد سيبلهم إلى معرفة الحق وإدراكه.

وحس يوافق الناس، يرفقون أنفسهم وأراءهم، ويحذرون أنفسهم والآخريين وحس يحصى الناس اجتماعهم الحقيقي وراء علامات الحق أو حجيته، فإن حياتهم تنفذ كل مقوماتها وكل قيمتها.

وهو يتقدم الرسول ليعي الحياء شر هذا الدمار، فيقول:  
"لا يكن أحدكم إماماً، يقول: إذا أحسن الناس أحسن، وإذا أساءوا أساءت ولكن ليوطئ أحدكم نفسه إذا أحسن الناس أن يحسن، وإذا أساءوا أن يتجنب إساءتهم".

\* \* \*

وحين يشكك الرأي صرماً من الشورى أو النصيحة التي تتطلبها مصالح لجماعه ولائمه، فإن الرسول لا يراه مجرد رأي، بل هو الدين وهو الأمانة. فيقول عليه السلام:

"لدين النصيحة.. قلت لمن يا رسول الله؟ قال: لله، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم".

كذلك يقول:

"المستشار مؤتمن".

ويقول:

"كفى بث إنساناً أن يحدث أحاداً حديثاً، هو لث به مصدق.. وأنت له به كاذب".

ويقول:

"من أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره فقد خابه".

إن الفسق هنا، أي عندما تتمثل في الرأي نصيحة ملحة أو مشورة مرحوة، يكون حيث وصحه الرسول حياته وهوائاً، لا سماً حتى يربط على بريق الرأي صاع حق أو نأييد باطل.

وهنا يقول عليه السلام:

"من أعان على خصومة بغير حق، كان في سخط الله حتى يسرع"  
 "ومن أعان على خصومه بظلم؛ فقد باء بعصب من الله".

\* \* \*

بيد أن لرسول عليه السلام حين يبادى الناس إلى أن يحكموا اقتناعهم في صدق،  
 ويعبروا عن أنفسهم في شجاعة، لا ينسى أن ييسط أمامهم النهج بقويم بهد السلوك،  
 فليس يتمتع الناس شئ أن يجوا من استحقاق، ويقعوا في البهتان أو سوء الأدب،  
 وهذا يقول عليه السلام:

"إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً  
 "وإن أبغضكم إلي، وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة - الثرثارون،  
 والمتشدقون، والمتصهقون".

ويقول:

"ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله  
 ليبيح الفاحش البذيع".

وحين يسأله معاذ بن جبل قائلاً: أننا لمؤاخذون بما نتكلم به..؟ يحيب الرسول:  
 "وهل يكبُ لباس في الدار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم..؟"  
 كذلك لا يريد الرسول ممن يتفوقون على دواعي الإثم والنفق، أن يورطوا في  
 مزالق التزمت والتطعن..

إن سعة الأفق لارعة، لكي يصر الإنسان إلى الرشد ولسداد، ولكي يسع مطالع  
 الضوء في الحق الذي يشده، ولحقيقة التي يرحوها - شريطه ألا تتحول سعة الأفق هذه  
 إلى تبرير جديد يخفي نقاشاً وهروباً

إن التزمت كالتفاق، كلاهما يطمس معالم الحق ويحفيه عن البصائر ولا بصار.

وهنا يقول الرسول:

"هلك المتطعون".

ويقول:

"من أعطى حظه من الرمي، فقد أعطى حظه من الحر، ومن حرم حظه من  
 الرفق، فقد حرم حظه من الخير".

كان الرسول - عليه السلام - يطارد ينطق في كل مظانها، ولما حشى أن تتحول  
المالعة في الإطراء والمدح إلى نطق للمادح وعزور الممدوح بهى عن هذا ورهصه،  
ودعا إلى التصدي فيه.

بروى أبو بكر رضى الله عنه وهو من أصحاب رسول الله هذا الحديث،  
"ذكر رجل عند النبي ﷺ هائس عنه رجل حيراً قهلاً، شبي؛ ويبحث قطعت  
عق صاحبك إذا كان أحدكم مادي لا محالة فليقل: أحسب كذا وكذا،  
ولا يزكى على الله أحداً".

بل لقد رجز أصحابه الذين ولوا له يوماً: أنت سدننا، وقال لهم: "لا يستغفونكم  
الشیطان".

إن بادل ساس مشعر التعدير فيما بينهم، لأمر يباركه الرسول، ولكن حس  
تتجاوز هذه العلاقة مذاها المشروع وسحوّل إلى مداهة باطنه ومجامله كاديه يحدوه  
الصلال ويعثها الريف والرور، فأند يشجب لرسول تلك العلاقة ويدحصها، لأنها  
تعتاق نمو النفس الباطنة نحو كمالها المقدور.

\* \* \*

ومع الرياء والنفاق - في مجال تحرير النفس الباطنة - نواجه تعاليم الرسول  
وكلمته آفة ثاشة - نبت هي: الكبر.. إن بين الثلاثة وشجوه ونمي، وآصرة محكمة، وإسها  
لتترعرع جميعها في مسمع واحد - مسمع النفس الحواء التي ليس بها ما يشغلها سوى  
التفايات والأطماع الرخيصة.

إن أعمالنا حين يتبعثها الرياء، يهدر الرياء مشويتها، وحين يتبعثها النفاق، يهدر  
النفاق عظمتها، وحين يتبعثها الكبر، يهدر الكبر إسانيتها..!!  
وإذا صاع من العمل مشوته، وعظمتها، وإسانيتها، فماذا بقي منه وله؟ وماذا بقي  
لصاحبه..؟

إن النفس الباطنة خلال عروجه، إلى الكمال مطالبة بأن يهدر نبتاً أكيداً هذا  
الثالث من الآفات.

من أجل ذلك، فإن الرسول لدى دحض الرياء، والنفاق، يدحض بنفس العرم آفة  
الكبر ويضع مضمونها للإنسان.  
وبه ليبدأ حديثه عنها فيقول:

"ألا أحيركم بأهل النار؟ كل غُلّ جَوَاطِ مستكبر" ..

إذا تصورنا النار - معرلاً - يعزل فيه أولئك الذين نرشحهم له خصائهم، فإن الكبر  
دار حقاً، لأنه يعزل صاحبه عن البشرية لمتحصنة الأنس، ويحسبه دحل فوقعة غروره  
وحيلاته..

وإذا كانت النار "معرلاً" يَمُورُ بألوان العذاب وصوف اليأس، فإن الكبر أيضاً هو  
تلك النار، لأن، بمستكبر لمسهج الأوداج يعانى من العذاب بنفسه ويحيط به من  
المقت والسخرية ما يجعل حياته جحيمًا.

إن المتكبر يحرم نفسه بكبره من كل فرح الحب وبهجتها، هذا المرح وهذه  
البهجة الكامنان في البساطة والبساطة وإيلاف الناس والحياة.

فليس نار الآخرة وحدها، هي عصى المكبرين، ولكنها نار لدي أيضاً نار  
كبرهم واستعلائهم وغرورهم.

وهم بهذا الكبر يحرمون أنفسهم من الجنة - جنة لدي، حيث طمأنينة النفس  
وراحة القلب، ومحنة ناس - وجنة الآخرة حيث ثواب الله ورصونه.

وهنا يقول الرسول:

"لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر"

ولنعنح أبصار جيداً على قول الرسول - في قلبه - من دست يربط الكبر بالنفس  
لبسته رباطاً طبعياً، ويعلمنا أن الكبر مأواه ومسكنه تلك النفس، مأواه ومسكنه نوايا  
وبواعثها، وهي أخطر مكن يستصعب لكبر أن يوجهه صرب به الممينة - لا إلى الناس،  
بل إلى صاحبه ذاته.

إن الرسول عنه لسلام لم يقل من كان في سلوكه مثقال ذرة من كبر - بل قال: "من  
كان في قلبه مثقال ذرة من كبر".

وفي هذا أيضاً تبيان لجوهر الكبر وحقيقته، فليست مظاهر، لأناه والاعتداد،  
واحترام النفس كبراً، ولا شيئاً من كبر، لأن الكبر شئ مُصَمَّرَةٌ تُعْبَرُ عن نفسها في مظاهر  
أخرى من طبيعتها وأفعالها.

ألا يكشف الرسول تلك الصورة أو الصور التي نتمصها رديلة لكبر لعمل عن  
طريقها..؟

نعم، إنها صور كثيرة، وإن لرسول ليلحصها لك في هذا الحديث.

فلقد سألته سائل ذات يوم قائلاً:

"يا رسول الله: إن أحداً ليحب أن يكون ثوبه حسناً وبعه حسناً، أضمن

الكبير ذلك؟"

فأجاب الرسول قائلاً: إن الله جميل يحب الجمال وإنما لكبر بظن الحق

وغمط الناس."

أجل - هذا هو الكبر بظن الحق وغمط الناس - فحين يحاول أن يصنع أنفعا فوق

الحق نكون قد بطرنا الحق.

وحين يحاول أن يصنع أنفعا فوق الناس نكون قد غمط الناس

وهي كنت الحالتين يكون صحاب الكبر - ولكن، أليس ثمة سبيل لتوقيه من الكبر

قبل أن يستعمل في المناسبات وخطره؟ بلى هذا سبيل

\* أن تلتزم دائماً مكانك كواحد من الناس هكذا يقول الرسول:

"كلكم لآدم، وآدم من تراب .."

"ليس لابن البضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى .."

"الناس مواسية كأشنان المشط .."

\* وأن ترد نفسك أولاً فأولاً إلى حقيقتها ..

وحقيقتها، أنها لا تملك أي امتياز يجعلها فوق الناس إدمها بكرى

مواهبها ونبوغها، فإن ذلك كله نعمة الله عليها - ونعم الله لا تشكر إلا

بالتواضع الحبر التبل.

فقد برك أحد منكم بتراكم فيه ويرى عند الشعور بالرهو والاسعلاء، فإن

الكبر سرعان ما يلف حياته كلها في ضبابه.

وهنا نسمع الرسول ﷺ يقول:

"لا يرال الرجل يذهب بمنه، حتى يكتب في الجارين قصيبه ما أصابهم"

لكي للناس بطييعتهم يهوون الرفعة ويسعون إليها.

أجل - وإن رسول الله لا يحرمهم حقهم في هذا الذي يحوز، إنما هو يريد لهم

رفعة حليصة نقيه عادلة لا تنوب كدر لهن ولا ظلمة لمرور، وبهم لسالون الرفعة

كأمنه غير ممنوعة، كما ابعدوا عن الكبر وبو صموا لله، وبو صموا بين عباده.

يقول الرسول:

"ما راد الله عبداً بعمو إلا عراً وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله"

، التواضع نعمة من الله يهبها لكبار القوم يسما الكبير عراء يقدمه العرور لصغار القوم، وكما نحلى قوم بالتواضع، رأيت الإحياء بسهم ونيق، ولأوصر مشدودة، والمودة ريانة.

عندئذ يحمل قلوبهم صعبهم، ويحترم كبيرهم صغيرهم.. ولا نلماهم عن طريق الحير ناكبين.

و، لرسول ﷺ وهو يقوم رذيله الكبير لا يهدف إلى سلامة الفرد فحسب، بل وسلامة المجتمع كله.

ذلك أن لكل إذا سد الناس، وانطوت كل نفس على رهوها تعرضت المودات، لإسايه لشرب وبل.

من أجل هذا يرى الرسول عليه السلام يعطى بوكيدات مستعرة للتواضع وليس لحاجب حلال تطبيقاته العملية لمبادئه.

فحين كان يرى الناس يأوون عن الفقراء لفقيرهم يسما يعظمون ذوى لثراء والجاه، لثرائهم وحاهمهم - كان هو يعطى كل حدونه للفقراء، وبسط لهم رده حين يقدمون على مجسه.

وبنه ليرفع كفيه إلى السماء في ابتهاله الصارخ:

"اللهم إني أسألك فعل الحيرات.. وبرك المكربات وخب المساكين

وبكسر حدة الكبر الناشئ عن الثروة فيقول:

"فمت على باب الحنة، فكان عامه من دخلها المساكين"

وفي حديث آخر يقول:

"أما الأغنياء فربهم على الباب يحاسبون ونمخضون"

صورة جسيمة، ومعنى واضح، يقولان للناس، إنه عندما تستقيم العواريس، فإن ثراءكم لا يريد في أقداركم مثل دهره، لأن المال عرض رائس، ولا يدل وجوده على أنه فضيله أو مزية النهم إلا حين يوضع في خدمة الحير والحق. وهو حين يكون كذلك فإنه لا يسعى أن يفتح أودا حكم رهواً، ولا أن يلوى أعطافكم صنف. ولا أن ينزعكم بأي أمر عني الدين لم يملكوها من الثروة ما تملكون ومن ثم:

"أحبوا الفقراء وجالسوهم".

ومثل اشراء في ذلك، المصعب، فلا فصل لدى لمصعب لأعلى على صاحب المصعب الأدنى، ولا حق للأول في أي زهو أو استعلاء يحصه عيهما الغرور.

ولباس العاديون أصحاب دور عظيم في الحياة جعلهم عظماء وليس ما يبدو على ظواهرهم من بساطة ومسكنه، نداء إلى امتهانهم أو سطر إليهم من فوق بعد صفي هؤلاء البركة والخير.

هكذا يقول الرسول:

"أبعوس في ضعفاتكم، فإنما ترزقون ونصرون بضعفاتكم".

ويحدثنا مصعب بن سعد فيقول:

"رأى سعد رضى الله عنه أن له فصلاً على من دونه، فقال رسول الله ﷺ: "هل

نصرون وترزقون إلا بضعفاتكم"؟

الرسول لا يعنى بالضعف العجز - إنما يعنى الساطة. ويعنى بالضعفاء، الناس العاديين. الملايين نبي كدح وعمل ثم يذهب من الحياة بصرور، العشى أو تكاد دون أن تتعلم أو تقتط أو تنقى بمستولياتها إلى أرض البأس والإفلاس.

إن السمنة في منصب أو الجاه لا ترشح صاحبها فقد للاستعلاء على عباد الله

إله لباسي الرحمن العظيم السمين يوم القيامة لا يرون عند الله جح بعوضة.

هكذا يقول الرسول عليه السلام.

أترأى معنى سمكة بلحم والشحم؟! كلاً وم دب من يمو جسمه وحلايه فتعاقم طولاً وعرضاً..؟!

إنما يعنى الدين يتعاضمون وترهلون في صلهم بعمر حق يعنى، لدمى بأحدهم الكبر بعداً عن الناس العاديين الذين هم في الحقيقة ضاع الحياه ولولا هم ما كان للحياة معنى ولا نماء.

هؤلاء الذين يصف الرسول ﷺ خيارهم، بأنهم خير عباد الله، وينعتهم في مقال

آخر بأنهم "ملوك الجنة"!!

هؤلاء الذين ترى أحدهم:

"..أشعث، عير، ذا طمرين، لا يؤتة له، لو أقسم على الله لأبره".!!

هكذا، يقاوم الرسول، لكبر، كما قاوم من قبل النفاق والرياء،  
وهو عليه الصلاة والسلام، إذا كان يرى الكبر بظرف الحق وغمط الناس فإن للرياء  
وللنفاق نفس الدور وكلاهما يريىف بلحق ويهت للناس،  
والثلاثة معاً، يُشكّلون خطراً ماحقاً على الشخصية الباطنة، التي يريد الرسول لها  
لكمال، وعلى استقامة لصمير التي يرجو الرسول لها المعة.  
إن تمت آفات كثيرة بنفس النفس الباطنة وتعهد بها عن متابعه معراجها  
لكي هذه الثلاثة - الرب، والنفاق والكبر - هي شرُ تلك الآفات جمعاً؛ لأنها  
أقدرها على التسلل والتتكر والإيغال.!!  
وإن الذين نحلوا بها هم وأعمقهم من تلك الآفات لا يهتول لحياة أعمالهم  
وعظيمة ونافعة فحسبهم، بل هي إنهم يصبحون جرماً حاداً من صمير الحياة،  
وحسبهم هذا فتوة.. وحسبهم جرماً!!!





الفصل الثاني

# عن الفطرة المومنة



يؤمن الرسول عليه الصلاة والسلام أن كل مولود يولد على الفطرة فطرة الله التي فطر الناس عليها..

وفي هذه الفطرة نكمن وتتمثل البديهة التي تلهي صاحبها تنقائاً إلى الحق، وبوجه أحاسيسه ورؤاه نحو خالق هذا الوجود المعجز العظيم. وهذه البديهة تولد معاً ونمو معاً. ولكنها كأى شيء فينا يحتاج نموها إلى رعاية وزاد.

والأنبياء والمرسلون يقدمون إليها زادها ويحولونها إلى بصيرة مصدرة بنور ما فتح الله عليهم من آياته وعطاياه. أي يحولونها إلى فطرة عارفة مؤمنة.

ولمعد ركب الطبعة البشرية بحيث لا يستطيع الناس أن يعيشوا بغير إيمان. الإيمان بأى شيء يعرض نفسه على الاقناع والوجدان.

وحين ينظر كل منا إلى نفسه ويحوسر خلال تجارته نجد هذه الحقيقة في حاته.. حتى الدين يلحدون نراهم مؤمنين بالحادهم!!

ودور الدين لسموي - أي دين - أن يهدي الناس إلى الإيمان بالحق. ويساعد الفطرة على نموها الجزيل وتقويم.

ومن عصر لإيمان الرشيد تكون الفطرة الرشيدة الثاقبة. ونحن نتبع أحاديث الرسول في هذا المجال، نجد الفطرة المؤمنة تتألق بسور ما بث فيها من حكمة، وتشكل يهدي الله في أحسن تقويم.

إن نقطة البدء في رشيد الفطرة ونمكها من هداها، إدراك أن هذا الخلق وذاك الكون لم توجهما صدفة عمياء. بل هما من صنع هوه، لها كل العلم، وكل الاقدار. وهي هوه الله رب العالمين.

"كان الله تعالى، ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق

السموات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء .

هكذا تحدث الرسول:

«في البدء بل قبل البدء كان الله، لأول بلا بداية، وكنت قدرته برفق فوق عالم من الماء، أي عالم حيوان كل مظهر الحياة ثم خلق السموات والأرض وبث فيهما وفي كونه الكسوف من الحياة والأحياء ما لا يمكن حصره ولا وصفه ثم كتب في الذكر كل شيء راسمًا لسر والعواصم التي ستحكم هذه القوى المحلقة وتحدد مسيرها، ونظم علاقاتها.

صورة حميلة ومحكمة يشير بها الرسول ﷺ في غير عموم وفي غير فصول، إلى إيمانه بخلق الكون وبارئته..

فرد، هتدب لفظه إلى الإله لدى خلق وابتدع، فمن عليها أن يعرفه، وحدًا، أحدًا، ليس له شريك يُعِينه.

وإن لوحدانية لتمثل عدد الرسول ﷺ أعظم بل أجمع حصص الإيمان بالله، وتكاد تدوب أمام عظمة مشيئتها كل خطاب الإنسان يقول الرسول لمعاذ صاحبه:

"يا معاذ، أأدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟

قال معاذ: الله ورسوله أعلم

قال الرسول: فإن حق الله على العباد، أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق

العباد على الله عز وجل، ألا يعذب من لا يشرك به شيئًا.

قال معاذ: قلت يا رسول الله، أفلا أبشر الناس؟

قال الرسول: لا تبشرهم فيشكلوا".

ومن أجل تظهر النصير الإنساني من كل بقايا الشرك لا سيما في ذلك العهد البعيد الذي كان لمسلمون الأوائس فيه، حديثي عهد بدسا الأصنام ولأوثان، راح الرسول عليه السلام يقصر كل مظهر التعظيم والإجلال على الله وحده، وراح يقطع على قوى الشرك ومعرياته كل خطوط الرجعة.

\* فالجانب بغير الله، تعظيم لغير الله، ومن ثم فهو شرك.

"من حلف بغير الله فقد اشرك"

\* وعد الله وحده بما يح العيب، فمن ذهب بنسب معرفه العيب عند غير الله، فقد

شرب

"من أتى عرفة أو كعب فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أمر على محمد"

وإد قر في مظرة إيمانها بوجود الله، وإيمانها بوحدايته فإن الرسول بعد هـ

يحدثها عن كمال الله المطلق.

\* فهو سبحانه حي لا يموت.

"سبح، لحي الذي لا يموت، والحي والإس يموتون"

\* وهو لا ينام ولا يعمو

"إن الله لا ينام، ولا يسعي له أن ينام.."

\* وهو قريب من عبده سمع سرهم ونحوهم ويبصر ظلالهم ووقع خطاهم.

"يا أيها الناس، اربعوا على أنفسكم. إنكم لا تدعون أصم ولا عائ، بكم

تدعون سمعياً بصيراً، وإنه معكم أينما كنتم.."

\* وهو جل جلاله جواد كريم..

"إن يمين الله ملأى وكل ما بيده يمس - سبحانه لليل والنهار لا يعص

أبداً.."

\* وهو بعباده رحيم وتواب..

"إن الله يسط يده بالليل لئوب مسمى النهار، ويسط يده بالنهار لئوب

مسمى الليل.."

\* وهو ليس كمثله شيء، ولا يستطاع وصفه إلا بأنه نور السموات والأرض.

"سنن رسول الله ﷺ كف رأيت ريث يا رسول الله ؟"

فأجابه نور أني أراه"

\* والله بعد ربه وبعمه ويأمر رحمته في كل مكان و زمان. ويعين لظفره بهد بأي

بها عن كل جدل عقيم حول ذات الله.

"يسأل الرسول عليه السلام جارية أين الله؟ فتشير إلى السماء فيقول الرسول:  
إنها مؤمنة".

وفي ذات المعنى يقول عليه السلام:

"لو سقط دلو أحدكم في بئر، لوقع على الله".

ليس لله مكان يجده لا في السماء ولا في الأرض، وإنما يعنى الرسول في كلامه  
للعديدين وفي الأحاديث الأخرى المماثلة تربيته الله عن مكان بذاته لأنه وهو مبدع  
الوجود كله يحيى في الوجود كله وهو مع خلقه جميعاً أبداً كانوا  
وبعد كان رسول الله يستشعر هذه الحميمة ويحسها إحساساً عميقاً وعرفاً، فلم  
يكن يفعل عن الله لحظه.. وهذا هو المظهر السديد للإيمان.

\* ومن ثم فقد كان إذا هم لبس يقول:

"باسمك ربى وضعت جى، ويدك أرفعه، إن أمسكت نفسي فرحمها، وإن  
أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين".

\* وإذا استيقظ من نومه قال:

"الحمد لله الذى أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور".

"أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له  
الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير".

\* وإذا خرج من بيته قال:

"بسم الله توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله

"اللهم إني أعوذ بك أن أظل أو أصل، أو أدل أو أدل، أو أظلم أو أظلم،  
أو أجهل أو يجهل علي".

\* وإذا فرغ من طعامه قال:

"الحمد لله الذى أطعنا وسقانا، وكفانا وآوانا، وجعلنا مسلمين".

\* وإذا رأى الهلال، يبرغ أول أمسيات شهر جديد، ينظر إليه في حب، وباجه

"هلال خير وبركة إن شاء الله - اللهم أهل به عبيداً باليمن والإيمان،  
والسلامة والإسلام - ربى وربك الله".

\* وإذا دخل بلدًا أو قرية قال:

"اللهم رب السموات السبع وما أظللن، ورب الأرضين وما أقلن، ورب  
الرياح وما أدبهن، ورب الشياطين وما أضللن - أسألك خير هذه بقرية  
وخير أهلها وخير ما فيها، وأعوذ بك من شر هذه القرية وشر أهلها وشر ما  
فيها".

\* وإذا خرج في سفر قال:

"اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل.  
أستهم ربى أعوذ بك من وغناء السفر، وكابه المظفر وسوء المنقلب في  
الأهل والعمال والولد".

\* وإذا عاد من سفره قال:

"آيبنون، قايبنون، عابدين، ساجدون، لربنا حامدون".  
أرأيتم؟

كل خطوة في حياته، وكل حركة، بل كل حلحة من خلجانه، موصولة العرى بالله،  
ولها ابتهاؤها الخاص إلى الله..

وهو حين يعلم الناس أن يصعوا ذلك، لا يريد منهم مجرد كلمات سرد، وأدعية  
تتلى، بل يريد أن تكون هذه الابتهالات مظهر إيمانهم بالذكور لله، والشكور له.

فهذا هو الله في وعي الرسول وإيمانه..

مصدر الوجود كله، ومصدر الخير جميعه. ومن ثم لا يتحرك إلا مؤثراً وجهه  
شطره، راجياً رحمته وملتمساً عونه.

وما دام ذلك كذلك.

وما دام الأمر كله لله، فمن من مقام الإيمان به، الوكل الحق عنه، والنحو  
الذي يسميه وهذا مصدر الارتباط الروحي الوثيق الذي يمتد في أساليب الرسول هذه  
إلى أسف طرفها والى يرجو الرسول ﷺ لجمع الناس أن يكون لهم منها نصيب.

إن الرسول يريد بهذا أن يعلم الناس في الحجة الرائدة لمطمننة - فحين يحج أحدا في إسلام فيه لله على هذه الصورة، فم عاء في الحصة فاعل ٩  
 إنه يجمع أعمق حاجات النفس بأعمق حمة تو الإيمان بن إنه يؤمن بين حاجات نفسه وحوائج إيمانه، فإذا لصعدت و لمثق التي تنقطع الا نفس . عاء منها منحون ، لي تسببات وديعه نقهر لصحر ونسجد فوق عصفوانه سسلا سربا  
 ون ، لبس يصابون بالصجر، وبالحرع، وبالنأس حين يشعرون أنهم موكولون إلى حولهم وقوتهم لا غير، وحين يتصورون قوتهم هذه ففعة سانه ومعرويه  
 أما حين يُرسون سب الصابر إلى مصدر الوجود الأعظم ويَحْسُون لمدد بلاهائي ابدي يصب في قواهم والذي تصل به طفاهم اتصالا شدا الإيمان رز، هذين قواهم ساعند تنوؤ على لصعب وعلى اليأس وعلى الحدلان.  
 وفي هذا المعنى يقول الرسول قولاً بلسفاً:  
 "أحفظ الله يحفظك، أحفظ الله يجده نجاهك"

إذا سأله، فسأل الله..

وإذا استعنت، فاستعن بالله..

واعلم أن لأمه لو اجتمع على أن يمعوك بشيء، لم يمعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك.

وإن جنموا على أن يصروك بشيء لم بصروك إلا بشيء قد كتبه الله عليهم

هذا هو برهان الإيمان، وهو برهان بتصاهل أمامه كل برهان.

أن يتووى قلبك الذكي على حسن صادق بان الكلمة الأخيرة في كل شيء إنما هي

لله رب كل شيء . وأنه يقدر إيمانك بالله ويقدرته، يحيى نفوذك على كل المعوقات

ولكن هذا الارتباط الذهني والعقلي بالله سبحانه لا يسعي أن يعنى نفس بيد من

المسئولية بل هو على العكس يسمى الشعور بها، ولصبر عنه

فهذا الإيمان بالله المدبر لكل شيء، القادر على كل شيء، يعنى في نفس الوقت

استعبد من البذل والجهد.

ذلك أن الإيمان عند رسول الله ﷺ ليس حاديه مطاف. بل هو مثاق العمل

وفق مرضاة الله

ووجود الإيمان يعنى عند الرسول وجود العمل الذى يقتضيه هذا الإيمان.  
فمثلاً يقول عليه السلام.

"مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ؛ فَلْيُكْرِمْ صِيعَهُ..

وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ؛ فَلْيُصِلْ رَحِمَهُ..

وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُكَلِّمْ حِرًّا وَلَا لَصِيبًا"

هكذا، نسمع الرسول هذا التعصير كثيراً، فاجعل بحير والهدى والصلاح  
براهين الإيمان وبيّنات وجوده.

إن الإيمان بالله يعنى التعرف عليه فى الرخاء، والصبر على الحزن والحير مهما

يتطلبان من عباده.

وما هو ذا - عليه السلام - يقول:

"تَعْرِفُ إِلَى اللَّهِ فِي الرِّخَاءِ، يَعْرِفُكَ فِي الشَّدَةِ..

وَأَعْلَمُ أَنَّ مَا أَحْطَأْتُ لَمْ يَكُنْ لَصِيبًا، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيَخْطُطَنَّكَ..

وَأَعْلَمُ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ..

وَأَنَّ الْمَرْحَ مَعَ الْكَرْبِ..

وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرٌ"

أجل.. تعرف إلى الله فى الرخاء؛ يعرفك فى الشدة. أروع تعبير يقال فى هذا

المعنى لجعل حسن بعدت الرشده نقطة البدء فى السر؛ إلى الله وجوهر التوكل على الله  
فالحطوة الأولى عليك..

وأعلم - كما قال الرسول ﷺ - أن الصبر مع الصبر، فكأن انتصار على أنفسنا وعلى

مؤبقات الحياة ليس مفاجأة نصيبها لأقدار يحب وسائدها بل هو ثمرة الصبر. وثمره  
العمل..

"مَنْ يَسْتَعْفِفْ، يُعَفِّهِ اللَّهُ..

ومن يَسْفِي بُشْبُهُ اللَّهَ

بدا أن الخطوة الأولى التي هي مروكة لـ، والعمل الذي يُلْعَن عرصاً، لا يتبها  
لها النجاح والسداد والبر إذا انفصلا عن الله، وعن الإيمان الذي يستدر عون الله  
ورحمته وعطاؤه.

كما أنهم لا يدركان المقصد إذا أساء صاحبهم فهم حقيقة الإيمان وما يتطلبه من  
متابعة.

وهنا يقول الرسول ﷺ.

".. والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله".

\* \* \*

والإيمان بالله، وعلو الرخاء الإنساني بقدرة لست مجرد عزم يقدمه الرسول  
للمؤمنين.. بل هما حقيقة حمل كل يراهم صدقها العظم

ولس على الدس إلا أن يقربوا بعملهم الصالح من دائره هذه الرحمة الإلهية  
الجرلة، هالك يبصرون القوى مدحوره الهائلة التي يصعب الله في خدمتهم والتي  
يصورها الرسول أبدع تصوير في حديث قُدْسِي يحكه عن ربنا سبحانه:

"إذا تقرب العبد إلى شبرا، تقربت إليه ذراعاً..

وإذا تقرب إلى ذراعاً، تقربت منه باعاً..

وإذا أتاني بحشى، أتيت به رزلة"..

ونتم الرسول الصورة في حديث آخر عن الله تعالى أيضاً فقول عن لدى يصرف  
إلى الله حتى يحبه الله:

".. فإذا أحببه كتب الله له سبعين ألف حسنة، ونصرة لدى يُبصر به"

أرأيته؟

إذا ذهب إلى الله ماشياً يادر الطريق إنك مُهْرولاً

إن الله ليس في مكان فيمشي إليه فهو سبحانه لا يهرول ولكنها لوحه دهره ودة  
يظهر لرسول فيها لحقيقته في يؤمن به، حصه نوصي لإرادة الإنسانية بالله عن طريق  
الإيمان الحق به، هو الوسيلة لوجه التي تحمل من الإنسان ربي، وصدقاً.

وعلى الرغم من أن الإيمان قوة وحده، إلا أنه يعمو بالعمل لصباح، ويرداد فاعلة ويركة عندما تناط، الحياة بغرض ختر وعظم.

وحين يرتبط العمل بالإيمان في تعاليم الرسول وبهجه، يجده يبادر فصوص الإيمان من العرور الذي قد يتبعه لعمل مصالح في نفس صاحبه، وذلك بأن يعرض الرسول في لأفئدة المؤمنين الحصفه لى تؤكد أن الهدى هدى الله، وأن السحر كنه بيده، وأن عبده العابدس وهوى المنصس، وحير الأبرار الحيرين لا يريد الله شيئا، وإلى يرسل بعمه الهدى غدقها على المهدين.

وأمام هذا الحديث لمفيض الذي يحكيه الرسول على لسان ربه الكبير بأحدا انبهار سعيد:

"يا عبادى، ربى حرمت الظلم نفسى وجعلته بكم محرما، فلا تظالموا"

"يا عبادى، كلكم صال إلا من هديته، فاسهدوبى أهدكم"

"يا عبادى، كنكم جانع إلا من طعمته، فاسطعموبى أطعمكم"

"يا عبادى، كنكم عذر إلا من كسبه، فاسكسوبى كسكم"

"يا عبادى، إنكم يحضون بالليل والنهار، وأن أعصر بدوب جمف، فاستعربوبى أغفر لكم.."

"يا عبادى، ربكم س سلعوا صرى فتصربوبى ولئ تسعوبى فتتمعبوبى.."

"يا عبادى، لو أن أولكم، وآخركم، وإسكم وجنكم، كنو على أسمى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئا.."

"يا عبادى، لو أن أولكم، وآخركم وإسكم وجنكم كنوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا.."

"يا عبادى، لو أن أولكم، وآخركم، وإسكم وجنكم قوما فى صعيد واحد فسألوبى فأعطيت كل إنسان مسألته ما بفس ذلك مما عدى إلا كما ينقص المخطيط إذا أدخل البحر.."

"يا عبادى، إنما هى أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفىكم بها، فمن وجد

حبراً فيحمد الله، ومن وجد عمر دلت فلا يلو من، لا نعمه

\* \* \*

أجل لن يبيع العباد نفع الله حتى ينعوه، ولن ينعوا صره حتى يصروا.  
ولو أنهم جميعاً صاروا في لعبه رهيباً وقد نسي فأنفسهم أفدوا، وما رادوا  
بطعهم في بيت الله دره.

وإن الهدى لبعمه الله وحده في ما عليها حتى سر بهم سبابه  
ثم هو بعد هذا ورغم هذا لا يظلمهم سب، لانه سبحانه وبغالى حرم لظلمه على  
نفسه.

وإما هي أعمالهم يُعصيها، ثم يوفىها حقها.  
إن الإنسان حين يدرك عن بيته أن عمله الصالح نعمه من الله عنه، ويوفى منه له،  
فإن هذا الإدراك الصحيح يدرأ عن إيمانه وعمله خطر العزور والرهو، ويحبه من إثم  
التألي على ذوى التراث.

والرسول عليه لسلام يعلم أن الإيمان الوثقو وعمل الصالح يعموان بعداً عن  
تركة النفس والدل بطعتها.

وإنه ليرفع صوته عالياً بهذا الحديث:

"ثلاث مهلكات:

شح مطاع

وقوى مُبِيع

وإعجاب المرء بنفسه."

ويقول الرسول لأصحابه يوماً:

"لن ينجو أحد بعمله.

قلوا: ولا أنت يا رسول الله..؟

قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته."

وعلى لرغم من صطفء الله له وحبايه الى نبيه هي كل لحظة منها عمراً كاملاً في

طاعة الله، فطالما كان يقول:

"إني لامتعر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة".

عندما يرامل الإيمان بالله، عملٌ صالحٌ من هذا الضرار يبقى للإيمان صفاؤه ويغنى،  
ويبقى للعمل تقواه وإيمانه.

ولا سبيل لأن يظل العمل الصالح قرين الإيمان الصادق، إلا بأن يستمدُّ العمل  
جوهره من الإيمان. أن يكون الإيمان بالله صمير هذه الأعمال الصالحات، وأنه دلت لأ  
بصحبها غرور الصانع، لأنه مادام الوقي للحير بعمه الله وحده، فإن نعم الله نُشكر  
بالواضع والعرفان والعربد من الصراعة ولحظه. وبهذا يصير لعمل بعمه إيمان.  
وسمع ديرة الإيمان - عند الرسول - حتى يشمل في حصصها وفي مئوسها ما  
يحسبه الناس أشياء يسيرة وعابرة.

وهنا يقول الرسول عليه السلام:

"لإيمان بضع وسبعون شعبه، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة  
الأيدي عن الطريق، والمحياء شعبه من الإيمان".

\* \* \*

ولنعمل لصالح عند الرسول جدته وأهمته، ومن ثم فهو ينظم شعائره ومباده  
نظماً هندسياً، فلكل عادة فرائضها ثم يوافيها.  
الوضوء - مثلاً - له فرائضه ثم له سنته، وتوافيها. وللصلاة فرائضها، ثم سنتها  
وتوافيها. وللمكة والصوم والحج فرائضها ثم لها سنتها وتوافيها.  
فردا عذرت العادة إلى العمل الاجتماعي في الحياه العامه، ألقيا الرسول يعطيه  
بعض لمكنيه من لحدية وأهميه، فتصير لكل من يمدح هذا العمل فرائضه وتوافيها  
ولفرائض عند الرسول، سواء في أعمال العادة أو أعمال الحبه - بمثل ذلك  
نقدر من الأثر، الذي يجعل الإنسان أهلاً للمثوله.

أما التوافي، فتمثل الاطلاقة التي تجعل الإنسان محباً للمثوله وعاشقاً لها  
وهذا أروع ممدس للعمل الذي يكون الإيمان صميره وبوره.  
إد يسمي توافي الأعمال عند كل الناس بمنى مود من لسط وهو من ثوب  
إد الرسول يراها، وكأنها ذروه بين الثرى مرقعة لألأف.  
ومن ثم نراه يقول حاكياً عن الله سبحانه:

".. ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به .

وعندما يحلو العمل من الإيمان، فإنه لا يعدو أن يكون عرضاً من أغر من الأديه والسلبية والانتهازية..

أم العمل لمرع بالإيمان، البابس به - لا سما الإيمان بالله لعنى الأعنى؛ فإنه الطرر الوحيد من لعمل الذي يواجه مسئوليات الحيه فى عبطه وشعاعه إن الإيمان هو الشئ الوحيد الذى يجعل من العمل - أى عمل - رب له، ومبدأ، وقيمة، ورايه.

ومن هنا فالمؤمن عند الرسول عليه الصلاه والسلام ليس هو من يعمل الخير محسبه. بل ومن يساعد الآخرين على فعل الخير. لنسمع قوله عليه السلام:

"من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً"

وهو يقول:

"لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم

ويربط الرسول هذه الإيجابية الحرة السله فى حمل مسئوليات الحياه. يربطها بالإيمان ربطاً مباشراً فيقول:

"لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"

أعرفون بالإيمان تصويراً أعظم من هذا التصوير. ؟

لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يحمل تبعاته تجاه الناس بنفس الشوق وبنفس الجهد اللذين يحمل بهما تبعاته تجاه نفسه..

ولم يعل الرسول فى حديثه الكريم حتى "يرجو" لأخيه ما يرجو لنفسه، أو حتى "ينمئى" لأخيه ما ينمئى لنفسه . بل قال حتى "يحب" لأن الحب هو أقوى دواع النفس، ومنه سيثق أعرق حاجاتها ورغائها..

فليس يكفيك لكى تكون مؤمناً أن ترعب لأخيك أو تنمئى لأخيك. بل يجب أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك.

هنا، وفى هذا الحديث يرتفع الإيمان، ويرتفع العمل الذى صممه الإيمان إلى

مستوى أسمى تبعات الوجود والحياة !  
وفى هذا المجال أيضاً يقول الرسول:  
"الدالُّ على الخير كفاعله".

فما دمت نحب الخير لنفسك، والإيمان يعرض عليك أن تحبه لغيرك، وحتى حين  
نعجز عن فعله، هو خير وصالح فإن الإيمان يعرض عليك أن تدل الآخرين على هذا  
لخير وسديهم إلى هذا الصلاح، فلعل فيهم من يكون أهدر منك عس، فمن ما أعجزك  
إدراكه.

وهنا يقول الرسول:  
"قرب مبلغ أوعى من سامع".  
"ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه".  
"ومن دل على خير فله مثل أجر فاعله".

إن تبعات الرشد التي يعرضها الإيمان بالله كثيرة - فإذا عجز إنسان عن إدراك  
بعضها، فإن ذلك لا يبرر له حصص الآخرين على أن يحدوا حدوده ويضعفوا ضعفه بن عبه  
أن يكون أمباً على حقيقة الرشد، وعليه ألا يكتفها عن الناس، ويقدم إليهم بدلاً منها  
فسفة عجزه وهواه، فإن فعل فقد أضاف إلى ضعف بُشاته خاتمة إيمانه.

هذا رسول الله يقول:

"ومن أشار على أخيه بأمر عثم أن الرشد في غيره فقد حبه"

وسمع الإيمان دروة محدة في وعى الرسول حين يتدنى حقيقته  
وحصمه أنه ليس مكلياً للإنسان بعد ما هو بكرم.  
ومن عجب أن ذلك المعنى يكشف عنه ذلك الحب الذي يحسه نحن نقطه  
انصع في قصة الإيمان - ذلك هو الإيمان بالغيب.

والإيمان بالله يتطلب عند الرسول الإيمان بالغيب، وهو عليه السلام بشخص ذلك  
الغيب في الملائكة، والكتب المرسل، والرسول، واليوم الآخر، والعذر خيره وشره.  
\* "قال: فأخبرني عن الإيمان.

قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالعذر  
خيره وشره".

أفي الإيمان بهذا، ما يصعب قصة الإيمان؟  
أنى، وكيف؟

إن لدى يؤمن بالله لا يجد أية صعوبة في الإيمان ببقية الأركان فـالله ذاته غيب  
بالنسبة لوجود الحسنى كنه، بل هو سبحانه أكبر مما نرى ذلك العيب الرحيم.  
قد آمنت بالله، وهو غيب، يصير من السر أن يؤمن بغيره للغيوب.  
وإن خير ما يحدد حاجة الناس إلى عقيدة دينية، هو الكشف عن مصمونها  
الإنساني.

وأمم عميدة الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث وبالقدر، نجد مصمونها  
الإنساني تقدمنا إلى أقصى حدود التقدم.  
\* فالملائكة هم قوى الحير غير المنظورة

\* ولكتب والرسل، هي قوى لحر المنظورة التي أدت دورها على رص وبن  
صعوقا أى هي التراث الإنساني الحي النابض في الأرض بكل لغة السماء  
\* وللموم الآجر، هو البعث بعد الموت. وهو يعنى أن الإنسان أجل حطراً، وأبهى  
ذكراً من أن ستهى بتلك القسوية العميقة التي تأتي فجاء فسرعه من وجوده، به أعظم شأنًا  
من أن ستهى هكذا كالشهاب. بل إن له لقاء وحلواً  
\* وللمدر يعنى أن الحياة لا تتحبطها العشوائية ولا الصدفة المبهمة، بل يحكمها  
قدر حكيم عليم لا حصر لقواسه وشرائعه.

ويعنى عند الرسول حصنه أخرى لها أهميتها التي لا تُصاهى، وهي أنه لا يوجد في  
العالم كله، ولا في الكون كله قوة تستطيع أن تفق في طريق لمشيئه الإلهية، أو أن تعزل  
إرادة الله.

وهذا بدوره يعنى أن الإنسان الذي يمسك الله بمقاديره إنما يأوى إلى ركن شديد،  
وبما تُبديه في حياته قدره لا يجد ولا يعلو. وإن كل حير يباله، وكل صر يُصه، فإنه  
لا ينبغي أن يكون مشار زهوه، ولا مشار جزعه.

بل عليه أن يوطد إيمانه، ويرعز وجوده بحبر مسمه لله و ليسم بحكمه في  
نفس يوفى الذي يمارس فيه بعباده، ويحمل أمانته وفي الأسباب والمواهب التي ذُيعب  
للسير معها وفي صحتها.

فالمصموم الإنساني لهذا الإيمان يعني أن الإنسان موضع تكريم عظيم.

\* لأن الذي يوضع على طريق قدمه قوى الحير المنظورة كمرسلس، وعبر المنظورة كالملائكة، يهديه ويشد أزره

والذي لم يخلق ليعنى كما يعنى الهوام، بل خلق ليعنى، ويستأنف حياته في حدود أبدى لا يؤدبُ أبداً بنهاه. لا يمكن أن يكون إيمانه بهد مدعاه لحلمه ويقهره. بل هو يحمره إلى منء حياته اندسا بالحير والتعوى حتى يؤهله ذلك لاستئناف حياته بعد الموت في مُستوى رضى وعظيم.

وهكذا يبدو الإيمان بالله، وبالعب قوة تقود آمل الشربة نحو مصيرها الأفضل والأمثل.

وهكذا يرى رسول في هذا الإيمان مصدر تكريم ومحدد للإنسان.

\* \* \*

والإيمان وبعض عند الرسول مستنونه عسى، لا مسئوله كفاية "يُ نهيهم بيعة الوجود لكل فرد بذاته. لا يعنى أحد عن أحد بيمينه وعمله.

"يا معشر قريش، لا تأبى الناس بالأعمال يوم القيمة وتأبون بدينها بحملونها على رقبتكم، يقولون يا محمد يا محمد فأقول هكذا " !

وأشار بيده إشارة معناها فأعرض عنكم..!

ولعد أكرمه عمه أبو طالب إكراما عظيماً، ودافع عنه ما كان حاك دوعاً مجداً، وامتدح دينه جبهة في شعر تحدى به كفار قريش.

وكان بود الرسول لو يستطيع أن يشمع له عند ربه، لكن الله بهاء.

وإيمان الرسول الذى يكفى عالم بأسره، ثم يعنى عمه الأثر لديه شيئاً

وهكذا، وقف لرسول يعلن فى أسف:

"يا عم السبي محمد، لا أغنى عنك من الله شيئاً " !!

\* \* \*

ألا إن أروع ما تنمى الحياة البشرية من دروس، هو هذا الدرس

\* الإيمان لحق، ولعمل الصالح معه الوجود - كل وجود -

\* لا محابه فى موريس لله

"يا فاطمة بنت محمد..

"يا صفية بنت عبد المطلب، وعمة رسول الله

"أعملا لأنفسكما، فإني لا أعي عنكما من الله شيئاً..!

ذلك لأن الإيمان فطرة

والفطرة هي إرهاب من الحقيقة في كل نفس وقلب.

والفطرة لا بد أن تعمل لكي تعطى بها الروح بكامله واستمرره.

وكم ينتهي الحسد، ويرل به الموت، إذا كف القلب عمله كذلك يسرل لعطب

بالروح إذا كفت الفطرة عن عملها.

وهذه لفطرة لا تراها الرسول أسطورة، أو رمزاً مبهماً بل هي البصيرة التي أودعها

الله أفئدة عبده، وهي بالتالي حجة الله على خلقه.

من أجل ذلك فهي فطرته دكيه وعلمته، وهي لا تستمد مطمحها وحجتها من وراء

لحسن. بل من قلب لتكون مستمدتها ومن بمادج الحسن والمادة تستطهما.. من

الرهرة.. من لصحرة.. من الفطرة.. من الأنملة والتدب.. من السحاب والرعد و ليرق.. من

اختلاف.. بين والنهار.. من الحياة.. من النمو.. من الموت واللى.. من لقول و لصمت.

من الدس، والدواب والشجر، والأنعام.. من الشمس، والقمر، والنجوم..!

من هذا الكون الذي لا بد أن يكون له خالق يستمد الفطرة مطمح إيمانها بالله

وهي لا تلجأ إلى معرفة الله عن طريق شخصه، فليس لله سبحانه شهادته مبلاد ولا

بطاقة شخصه!! إنما يعرفه حل وعلا عن طريق آثار رحمته وقدرته وعظمته.

وهكذا يرى الرسول يقول:

"تذكروا في حق الله، ولا تفكروا في الله فصولاً."

إن الإيمان بالله لا يعرف عند الرسول طريقة الفصول والتطلع في، ليبحث عن

حقيقته

وحين سمع في العنق بوارع الفصول الصل لسأل عن الله ما هو؟ ومن أين ؟

وكيف؟ ومن الرسول لا ندعو صحابا هذه البوارع لأكثر من أن يُدبروا حديق

أبصارهم وبصائرهم شطر آثار العذرة الإلهية. شطر هذا الكون لمذم، حيث يرون الله

في كل معجزات الكون.. وفي كل درأته..!!

وعندئذ سيهتمون مع الرسول:

"اللهم أنت السلام..

ومنك السلام..

نباركت يا ذا الحلال والإكرام"..!!

"لا إله إلا الله..

ولا نعبد إلا إياه..

له النعمة..

وله العسل..

وله الشاء الحسن..

"لا إله إلا الله..

مخلص له لدين

ولو كره الكافرون."

\* \* \*

ولما كان الإيمان بالله فطرة..

ولما كانت الفطرة نقيتها وربي يقفها بالله عن طريق المعرفة و لأمل

من أجل ذلك لم تكن الشكوك لمبوءة للإيمان تشكك عند الرسول إيماناً ولا

خطراً..

وهذه من أعظم نظرات لبوء حصاده وبرا، فالشكوك، سي تراود لعمل أو لوحداً

في إلحاح والتي نرحم لبعض علامات استمهم حائره.. والتي تحاول أن تجلي الإيمان

عن مكانه في أفئدة المؤمنين.. هذه الشكوك لا يراها الرسول إلا دليلاً على حيوية الإيمان

وشبابه.

يروى ابن مسعود رضى الله عنه هذه البيا عن بعض أصحاب رسول الله صلى

"قالوا يا رسول الله، إن أحداً نحد في نفسه ما لأن يحرق حتى يحرق

حممه أو أن يحرق من السماء إلى الأرض، أحب إليه من أن يكلم به.

فاجابهم الرسول قديلاً: ذلك مخلص الإيمان..

وفي رواية أخرى للمحدث قال الرسول.

"وقد وجدتموه - يعنى حديث النص لمطوى على الشك - أوقد وجدتموه ؟  
ذلك صريح الإيمان" !!

وفي رواية ثالثة يقول الرسول

"الحمد لله الذى رد كيد الشيطان إلى الوسوسة" ..

فهذه الشكوك لسبب إلا وسوسة لا نصب من الإيمان مغللاً، بل تتحد قوى الحياة  
فيه وتملاً شرايته يقطعة وعافية..!!

وهذا الموقف من رسول الله، السلام بحه الشك، يمثل أعظم خدمه يؤدى لفصحة  
الإيمان، إذ أراح النفس الشرية من معاناه هذه لشكوك التى لا يبد منها .. وبدلاً من أن  
يجعل منها حصصاً عسداً سعيداً لإيمان طوبه فى مفاهيمها - جعلها عنه السلام جرماً  
من عملة الإيمان ذانها  
"ذلك مخض الإيمان".

وبذلك يحل تلك المعركة فى لحظة واحدة، وإلى الأبد

كما أن هذا الموقف يمثل الإيمان الراضح للرسول. بأن لإيمان بسلطة فطره، وأن  
هذه الفطره المؤممه لا تتجرع الإيمان وإنما بحناه فى بداهه لنظم من أمامها كن محلولاب  
الريغ والصلال.



الفصل الثالث

## عن أزمة الإنسان



للولوجود الإنساني أزمة . مثبت معه، ويطور، ولا يزال بحاجة وبنوكه  
وهذه الأزمة تدول الوجود الإنساني كله عند الفلسفة، وسأول بعضه عند الدين  
فالإيمان بالله، لدى بشكل لدى الفلسفة جرماً هاماً من أزمة الإنسان، ليس عند  
الدين وعند المرسس إلا مفحاً للأزمة الإنسانية كلها، وعلاجاً شافاً منها  
من أجل ذلك، ونحن نتبع أحدث الرسول الى تعرضت لأزمة الإنسان، لا نقف  
عند أزمة الإيمان بالله، لأنها لا وجود لها كأزمة في هذا المحال  
إن الإيمان - عند الرسول - هو كما قلنا في الفصل السابق، فطره يهدي لحقيقتها  
بفسه

وحتى حين نتعرض هذه الفطرة لإلحاحات الشك - وهو من وجهة نظر الدين -  
لموقف لوحد ائدى يمكن أن يجعل من قصة الإيمان أزمة إنسانه - نقول حتى حين  
يحدث ذلك، فإن علاج هذه الحالة عند الرسول هو أن سأنف الفطرة نفسها، غير عابثه  
بهد، الشك، وغير واقعته عنده، ولا متلكنة بجانبه.  
دبت لأن هذا الشك لا يمثل أزمة، ولا حصومه - بل هو عند الرسول وكما ذكرنا  
من قبل، رد فعل لحركة الإيمان وحيويته.

وإذا حدث أن شكّل هذا الشك أزمة، فإن ذلك يكون من صبح الإنسان نفسه من  
صبح العمل لدى متصرف هذا لوهم العابر، ومضى يفتنه وينعده، حتى جعل منه فلسفه  
ومسهباً وأزمة..!!

أما الرسول عليه السلام: فقد حرّ صراوة الشك بماً حين يجعله "صريح الإيمان"  
و "محض الإيمان".

وصيحي أنه لا يجعل الشك ذاته محض الإيمان إنما يقصد شعوريا به  
إذا انتهى شعور بالشكوك العرصه عند هذا الإدراك السديد بأنها لا تشكل أدنى

خطر على الإيمان، وأنها ليست موضع مواجده عند الله، فإن هذا كميل بأن يُعنى  
الشك كآزمة ويحيله إلى رصيد للإيمان.

إن كل طرة في ملكوت الله، وفي كونه المملوء بالأسرار المدهشة، لترتد إلى  
صاحبها حادثة إيماناً فطرياً صادقاً بأن الصدقة لم يشد هذا البلاء العظيم، وإنما لهذا  
الكون خالق، هو رب العالمين.

أما أزمة الإنسان مع العيب، فمأثرة سواء كان هذا العيب مصيره، وما بعد موته من  
عقبي، أم كان قدراً سبق به الكتاب وأسطر بالإنسان إنجازه.

وأحسب أن أحاديث الرسول وهي بواجه مسائل العصر ولفظه، كانت تبصر  
وتحس معاناة الإنسان هذا الجانب من الإيمان.

رب أحاديث الرسول في هذا المجال سحرك وكأنها بواجه أرمه، أرمه فكر وشعور،  
يُحسها الرسول عند الآخرين، ويسمع همسها داخل صمائرهم، ونسدى في حديث  
المؤمنين عنها، واسألهم حولها.

فكيف وجهت أحاديث الرسول وهذه أرمه الإنسان مع مصيره وأرمه مع قدره. ٢٢  
إن روعة المصير تتمثل عند الرسول في البحث بعد الموت ولكن كيف يعوب  
لناس وكيف يبعثون، ولماذا..؟

هنا في يسر قد وبدأه محكمة يجيب الرسول:

كتموتن كما تتامون.

ولبعثن كما تسعظون.

ولتجرون بالإحسان إحساناً.

وبالسوء سوءاً.

هذه هي القضية في غير تأزم أو تعقيد..

كما تنام، يموت.

وكما نستيقظ، تبعث.

وكان ليوم وسمطة بذكر يومى بالموت والبعث. وبدرى يومى عنهما !!

إن حين نام نعب عن الحياء. وحين نستيقظ نسأف الحياء.

فالموت والبعث كذلك.

بند أن الموت هو عياب طويل، وانفعال إلى مسوى آخر من الحياة.

ولماذا...؟

ليجد المحسن مَنوبة إحسانه.  
وليجد المسيء عاقبة عدوانه.  
ويستأنف الناس الحياة هناك - كل في المعركة التي أعدها لنفسه أثناء مقدمه في  
ديار.

ولكن كيف يعيشون هؤلاء الذين تحولت أجسامهم إلى رماد ؟  
يجيب الرسول عنه الصلاة والسلام حين وقف بين أصحابه ذات يوم خطيباً فقال:  
"يا أيها الناس،

إنكم تحشرون إلى الله حُمأةً غراءً، غُراً - كما بدأنا أول خلق نعبده، وعسداً  
علماً إن كنا فاعلين"

أجس، هكذا أنشأ القرآن العظيم  
"كَمْ يَدْعُوا وَلَوْلَ خَلْقِ نَعْدِهِ"  
و "مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَحْيِيكُمْ إِلَّا كَتَفْصِي وَاحِدِهِ"  
و "قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رُفْسٌ؟"  
فمن يحييها الذي أنشأ أول مرة!!  
فانقصية عند الرسول في منتهى اليسر.

وإذا ما سئل:

- كيف يُبعث حي من حمئة رماد...؟!

يجيب من ثلاً

- وكيف يُخلق حي من فطرة مَي؟!

إننا ندرك في لأرض بكرة جافة - حبه بكرة مثلاً، أو حبه قمح، فإذا بها تنمض حياة  
وتنبثق من تحت التراب شجرة تهتز خضرة وعنفوان.  
هذا المشهد يمثل عند الرسول أصدق براهين البعث والحياة الأخرى.  
سئل عليه السلام هذا السؤال:

"يا رسول الله: كيف يعبد الله المعلق...؟

فأجاب السائل قائلاً

"أما مررت بوادي قومك جدياً، ثم مررت به يهتزُ حصراً

"فذلك آية الله في خلقه، وكذلك نحي الله الموتي"!!

وليس شرط البعث أن يبعث الموتي بنفس جلودهم الأولى وأشعارهم وأظفارهم.. بل اسمهم فيه هو أن الفرد الإنساني الذي جاء الحياة وعمل بها وعاش أيامها، ليس يكون الموت حذم مثله ووجوده، بل إن له لمبعث آخر في حياة أخرى.  
ذلك أن الرسول يؤمن بأن الإنسان روح وجسد..

والروح لا تفسى.. بل ولا تموت.

وهذا الروح هو جوهر الإنسان، وجوهر بعثه كدلت.

"إنما سمعة المؤمن طير يعلو في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم بعثه". هكذا تحدث الرسول.

على أن أزمة المصير الإنساني بالنسبة للفرد إنما تتركز مهولة ومخوفة في الموت نفسه. هذا الحدث البيولوجي الذي يهتر منه رعباً ورفقاً.

وعلى الرغم من أن شمول المأساة يخفف من وقعها، فالموت رغم شموله جميع الأحياء من بدء الحياة إلى مُنتهاها - لا يزال الهول الذي يبعث في حنايا الجرع والألم.

وكل محاولة لحل أزمة مصيرنا - تحمق لا محالة إذا هي عثرت عن تفسير الموت تفسيراً يطمئتنا ويجعل بيننا وبينه جواً من الثقة.

ولقد واجهت أحاديث الرسول ظهيرة الموت على الهج الذي يريل عنه ضراوته ويأسه.

فهو أولاً - ليس قباء مطلقاً لا يلتقي بعده الأهل ولا حبيب بل هو شغال بملوه لهء وخلود.

وهو كحادث عسوى ليس معه لروح الإنسان الطيب الصالح

من يحكي لنا الرسول صورة الموت للذين عاشوا حياة خيرة فيقول:

"إذا خُصِر المؤمن أُنْتُ ملائكة الرحمة بحريرة يصبء..

فقولون: اخرجي راصيه مرصبة عنك إلى روح وريحانة ورب غير غصيان..

فتخرج كأطيب ريح المسك..

ولقد قال له بعض أصحابه يوماً :

"يا رسول الله، إنا لنكره الموت".

فأجابهم عليه الصلاة والسلام.

"ليس ديت، ولكن المؤمن إذا حصره الموت بُشِّرَ برؤوس الله وكرمه؛

فليس شيء أحب إليه مما أمانة فأحب لقاء الله، وأحب لقاءه".

وإله لمن لطيفي أن يكون هذه الصورة المريحة للموت مثوبة المؤمن

وايطاعن. ومع ذلك، فإن الرسول عنه السلام يرجو في العصر الطيب لكل أولئك

لذين يرجون رحمة الله ويخافون خطاياهم.

هذا "أنس" صاحب رسول الله يقول:

"دخل النبي على شاب وهو في العوب، فقال: كيف تجدك؟

فقال: أرجو الله، يا رسول الله وأخاف دنوبي..

"فقال ﷺ: لا يحتملان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما

يرجو وأمنه مما يخاف".

ويرسل الرسول روح الصلوات رُحَاء فطمشه، ويث الرجاء في الله والأمل في

رحمته بشأ رحباً فنقول:

"من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة".

فإذا عرفها أن كل إنسان في ساعة احتضاره يتطلع قلبه إلى عون الله ورحمته، وأنه

يتجه شعورياً، ولا شعورياً إلى الله مؤمناً به، مبهلاً إليه، شأه في ما عاب عصره كنه.

إذا عرفت ذلك بصورة، الباب الذي يفتح الرسول للأمل في رحمة الله بعه لقاءه،

وبعد لقاءه.

هكذا توجه أحد حديث الرسول أرميه المصير مواجهه بيعت الأم، ونهب لسكيه،

وتجعل الغيب صديقاً وأتياً..!

فكيف واجه أرميه وجوده؟ أرميه بين قدره واختاره..؟؟

\* \* \*

من القدر باعتبار السس التي جعلها الله فياً للكون وللأشياء نظم سيرها،

وبحكم ثبوتها، لا نسب مدعى في فكر الإنسان ولا في شعوره..

ولكن القدر بوجهه الآخر، أي بعبارة قوة حكمه في حطوات الأسرار  
وسعيه، هو الذي يمثل جانباً من أزمة الإنسان.

وهذا المفهوم للقدر مراث إنسي لا يذهب إليه ولا يباريه لعدد من  
وحدتهم، بل وكثيرون سواهم من غير ذوي الدين.

واندى بشكل أزمة في هذا المفهوم، هو - أولاً - وضع السجدة قبل السبب و - ثانياً  
- إلغاء الاختيار الإنساني..

وببدأ يقول: إن القدر بمفهومه هذا، أي بعبارة حكمه مسبقاً على حياة الإنسان  
وسعيه ومصيره، قد اعترفت أحاديث الرسول بوجوده.

"لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، وحى نعم أن ما أصابه لم يكن  
ليخطئه، وما أخطاه لم يكن ليصيبه".  
ويروى "أنس" رضي الله عنه هذا النبأ:

"كان رسول الله ﷺ بكثير أن يقول: يا مُعْتَبِرُ القُوتِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ،  
فعلت يا رسول الله، آمنا بك وبما جئت به فهل تحذف علينا..؟"

قال نعم، إن العلب بين أصبعين من أصابع الله يعبد، كيف يشاء."

ويكنى إلى أي مدى يعارض الإنسان بالقدر على هذه الصورة مع الأخبار الإنسي  
لدى لايد من بؤره لكي تصح الإنسان مثلاً ؟؟

إن لإجابة عن هذا السؤال لا تكشف عن مكانة الأخبار فحسب، بل ونساعد على  
كشف المفهوم الإنساني المتطور لعقيدة القدر.

وإن لملتقى بالإجابة عن السؤال في أحاديث الرسول على مرحلتين:

أولاهما: تُطالب المؤمنين ألا يجعلوا من القدر موضوع جدل فلسفي بكثرة  
سرايق وسعومعه صراوه، المراد... فالقدر بصورته تلك نوع من العيب، وأولى صفات  
المؤمنين أنهم يؤمنون بالغيب.

ويصاحبهم بالعبء ليس دليل يحلف من معه نفوق لأن كل تفكير معوق مسير لا  
يرضى لنفسه أن يحجر على المستقبل، ولا عني ما لم يعلم بعد من أسرار الكون والحية.  
فلا تنازع إدد حول القدر في شريعة الرسول.

"خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن ساذج في القدر، فعضب حتى احمر وجهه، كأنما فُقي في وجسه الرمان، وقال أبهذا أمرتم؟ أم بهذا أرسلت إليكم؟"  
 "بما هلت من كن فيه حتى سارعوا في هذا الأمر، عرفت عنكم لا تنازعوا فيه."

أما المرحلة الثانية: وهي امتداد للمرحلة الأولى، فهي شرح المفهوم الإنساني ولو بقي للقدر وفيها بطلت الإنسان بالعمل، وحمل مسئولية حبه كنها، ليس دست محبته من ولا يمدن بالسبب و لتتجه بأعوار العلاقة الحميمة بينهم صورة من صور لقدر دانه:

سأل الصحابة رسول الله يوماً:

"يا رسول الله أرأيت أشيء سداوى بها هل مرد من قدر الله شيء؟"  
 فأجاب عليه السلام: هي من قدر الله.."

من العلاقة بين السائق وأسيبها، والتي تمثل أهم فواين الحدة الإنسانية، بأحد مكنها: إدد لا كشيء خارج عن القدر، بل كوجه من وجوهه.  
 وبحكم لرسول لربط بين لأساب والسائق حين يجعل المحصر لطى - مثلاً - واجباً فيقول عليه السلام:

"إذا سمعته يخطعون بأرض، فلا تدخلوها وإد وقع برص وأسم فيها، فلا تخرجوا منها".

وحيث سئح أحديث لرسول ويوحدها، بعد المطالبة بالعمل وإقرار المسئولية الشخصية واصحى، يتدين الناس في جهرة وبيان..  
 ولثويات المربية على العمل الصالح، والعقوبات المربية على العمل السيء،  
 كل ديت يطق به موكت طوبل من أحديث الرسول.

هل تقرر هذه لأحديث مسئولة الإنسان، في الوقت الذي لا يؤمن فيه بوجود

مبررات هذه المسئولية؟؟

بداهة، لا..

دون فكيف يحل هذا لافص بين كون الإنسان معذراً لأحكام قدر مكسوب،

ومحارباً في نفس الوقت لأعماله ثم مسئولاً عنها ؟

ينى أصعب السؤال على هذا النحو، لأن المتحدثين في مسألة القدر تعودوا أن يصوغوه كذلك.

كنى أعترف بأن وضع السؤال هكذا، بعيداً عن الهمم الصحيح للمسألة، ويُذيق من الحذل بعقيم الذي لعل الرسول كان يقصده حين بهي أصحابه عن السدوع في القدر وأحسب أن المسألة توضع وصفاً سيديداً وصحيفاً حين يُجعل السؤال عنها هكذا.

ما دامت كل أحداث الرسول تؤكد أحسب الإنسان ومسئوليته فما معنى الإيمان بوجود قدر..؟

ويجب في ضوء أحداث القدر نفسها، بأن مستوى هذا الإيمان ووظيفته - شحذ كس طاقات الإنسان وإبهاص قوى الافتحام والمخاطرة لديه

لأن الإيمان بالقدر لا يقول له: تم، وانتظر قدرك. بل يقول له: قم، وكشف قدرك. أجل، وإذا كان قدر كل مت يرادف مستقبله المغيّب المجهول أعنى إذا كان بمستقبل المغيّب قدرًا مكتوبًا، فاكشاف هذا المستقل قدر أيضاً.

وإن الرسول ليربط ربطاً محكمًا بين عملنا كقدر، وغنا كقدر حين يقول: **اعملوا، فكل ميسر لما خلق له.**

في هذا الحديث مذاقاً آخر للقدر، فالقدر ليس ما يعتدك عن، لعمل بل هو قوة تيسر لك العمل وتيسر لك العمل.

إن الإيمان بالقدر يعنى أن تهص قائماً إذا أصابك مصيبة، وألا تُجسر مرارها، لأنها قدر لم يكن من تلافيه بد..

من معنى إيمانك بأنه لم يكن من تلافيه بد، أنه لا فائدة من أن ستهلك أعصابك في الندم وجترار العُصص والمرارة وإفاء عمرك في: **"لو أبى فعلت. وما ليتنى لما فعل."**

إن الإيمان بالقدر يقول لك ساعتد، قم. انهص حذار أن تنحول إلى حطام.

إن الله معك، وإذا كان أصابك هذا الضر بما كسبت يداك، فعند الله مفرح العيب

ومغائب الموض..

لتسمع حديث الرسول هذا:

**"المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير."**

أحرص على ما ينفعك. "واستعن بالله ولا تعجز..

"وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا، لكان كذا، وكذا، ولكن قل  
قدَّر الله، وما شاء فعل".

يهد الصوب المبارك الذي يهدي الإنسان قدراً

أحرص على ما ينفعك

واستعن بالله، ولا تعجز

يهد الصوب ليشرق من حلال ربيبه وكلعابه أصدق معاني العذر وأجمل مرامي  
الإيمان به.

والحرص على ما ينفعك، هو حرص على قدرك، وهو نقل هذا المدر من عالم العيب  
إلى عالم الشهادة، والتطبيق.

إن الإيمان بالقدر - هذا الإيمان الذي يكامل يحتمه العمل واعتباره مساوياً في  
الأهمية والوجوب للإيمان بالله.

لإيمان بالعذر عني هذا الوضع - وهو وضعه الصحيح - لا يعني إلا تزويد الإنسان  
بكل قوى القلب والتفوق.

إن يبيك بأن حولاً ما لبث صحفاً سطر في السك. وأنت لن تاله إلا إذا  
انتقلت بنعمت دون نائب أو وكيل لتأخذه وتلقاه.

هد. ليقين لن يجعلك تشغل عن الذهاب أو بنام قير العيس منتصراً أن بطرق  
، يعود ياهت بل ستحفرك إلى الحركة المعتبته والسمي المشاق إلى حيث ينظر العال.

إن هذه صورة مبسطة للموضوع، فإيمانك بأن قدرك لن يحطت. وأن سعيك  
وعملت لإدراك هذا العذر محتومان حمية القدر نفسه، إيمانك هذا لن يشط عزمك، بل

مبشراً حركتك بالأمل، وقسمك بالشوق.

وهكذا سجل أحاديث الرسول أزمة الإنسان مع القدر

أحرص على ما ينفعك

واستعن بالله ولا تعجز

\* \* \*

بعد ذلك تحيء صحن أزمة الإنسان أفدح وأهم أنواعه - تلك هي أزمة ملوكه.

ولست معنى السلوك بمعناه الوعظي، ولا بمعناه الأخلاقي لمدرسى، بل بمعنى معناه الأعم ولأرحب. معنى معناه الإنساني كله، الذى يمثل موقف الإنسان من كل علاقاته بنفسه، وبالحياة، وبالأحياء جميعاً:

فقد كانت الحياة الإنسانية فى كل مجتمعها لا تستقيم بها مرة، لا إذا استقامت علاقاتها التى تربط بين قواها المختلفة ووحداها المعاشية؛ فإن الفرد الإنسانى كدلت لا يستقيم لحياة أمره، ما لم يسر وفق دستور تلك العلاقات.

وعلى الرغم من أن العلاقات الإنسانية تمثل معراج استغنى الإنسانى فيها فى نفس الوقت تمثل لباب المفصلة وجوهر الأزمة ذلك أن كل ريف يتبناها يعكس نفسه فوراً على الحياة كلها وعلى من فيها..

ودلت ثباتاً، أنها من صنع الناس ومن ثم فهم يصنعونها من أهو نهم ومكرهم ما يبعده عن الشداد والصدق، وصحح أن الإرادة الحرة للوع الإنسانى تستصر كثيراً ولكنها مع الأسف - تستصر أحياناً، وبعد أن يكون الخطأ المتعدد قد أوقع أحياناً كثيرة فى أحطبوط زائف يطوق حياتهم.

إن نوع العلاقات الإنسانية، وحظها من الصدق الموضوعى أو الريف المتطهر يشكلا أخطر القوى العاملة فى حياة السلوك الإنسانى - رفعة وخطا.

وإنسان كنوع. والإنسان كفرد. كلاهما شرك فى ذات العصر الذى تقصى به تلك العلاقات؛ لأن كليهما يسر بمنى الهج وعلى نفس الطريق والعلاقات الإنسانية متوعدة ومجددة، وإن كانت الفهم إلى سها هى دائماً سبه وواحدة.

وكثيراً ما نمد التعاليد فى عمر نوع من العلاقات اسعد حق وجوده. وعندئذ يعرض السلوك الإنسانى ليثله بيدد الكثير من رويته وسكيتته ورشده.

من أجل ذلك، فإن واجب كل رساله كبرى يحى لتصحح أوضاع الحياة؛ ولنصنع القاطلة البشرية على طريق الهدى والحيرة إنما يبدأ بحرام ضرورة التعير والتصور.

وهكذا رأينا لقرآن يشى حملات دائمة على الذين كانوا يحسدون، لى الأرض، ويرفضون رؤية الجديد ويقولون:

"وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ"

ولمعد كان أفسى ما عاده الرسول من مرؤد مرش راجعاً إلى عصية بالو جد عسى

علاقات رائفة تربطها بمفائد وأصنام وتقاليد لم تعد لها في حياة الرشيد مكان

وقف الرسول عليه السلام يقول للمؤمنين:

"أبغض الناس إلى الله تعالى ثلاثة

\* مُبَحَّد في الحرم.

\* مُبْتِغ في الإسلام سة الجاهلية.

\* وَمُطْلَبُ دم امرئ بغير حق ليهرق دمه.

إن لإسلام جاء ليعلن إنهاء الجاهلية وبروع مرحله جديدة تساهف بها قوة الهدى

و الحير والتقدم طريقها

فكن مُبْتِغ في الإسلام سة الجاهلية، إنما يربف العلاقات الجديدة ويُورده

وإنها لفئة ناهت في الذكاء والعظمة أن تصع الرسول هذا لدى يُحاول أن يُفزع

في لإسلام ظلمات لجاهلية وبعا ليدف مع الملحد في الحرم واسمطرد حيه بريته

سرفعه.

د شبه بس الثلاثة تام ومتكامل

د لستت بزفحم تعاليد صاله على منهج الهدى والرشد، يشبه لإلحد في الحرم،

وأيضاً تتمثل فيه جريمه المطرده الظالمه لأجبال بريته بُعة إرهاب حمها في حيه جديدة

وهدى جديد..

وبقول عليه السلام:

"من سكن البادية جماً.. ومن اتبع الصيد غفل."

فحتى من الناحية الشكلية، يعني أن تكون البيئه في المستوى الحضارى تتقدم

، الإنسان تحت لواء القيم الفاصله الى تهدى حطاء.

\* \* \*

إن علاقات بالأشياء يجب أن تكون دائماً صادقة وصحيحة ومده هي الخطوه

لاولى في حن أرمه السلوك الإنسانى وبافصانه .

ومهما يكن من أمر سوعها وتجدها فإن ثمة معياراً لا يحطن بحب أن ساط دائماً

ليه - ذلك هو الحير..

إن بحقيق الحير العام يسعى أن يكون غايه السعى الشرى

وكن فرد يصوغ أعماله وفق الحير، ويملاً نفسه بحب الحير، فذلك هو صا حب

للاقات الصداقة الصحيحة .

وهنا نسمع الرسول يقول سائلاً أحد أصحابه:

كيف أصبحت يا زيد...؟

فيجيبه:

"أصبحت أحبّ الخير وأهله، وإن قدرت عليه بأدب إليه، وإن فاسى حرت عليه، وحننت إليه.

فيقول الرسول عليه السلام:

"تلك علامة الله فيمن يريد..

أجل، إن هذا الطراز من الناس هو ما يحبه الله.

- الذين يحبون الخير وأهله.

فإذا أسعفتهم قدرتهم سارعوا إليه.

وإذا قعد بهم ضعفهم حاربوا عليه، واشتاقوا إليه.

هذه أصدق سمات دوى العلاقات الرشيدة بالحياة.

وإن طريق كل فرد إنساني يريد العلب على أرمه سلوكه ليبدأ من هه

جعل الخير قبلة أعماله.

وحسب ذا ستابه القصور والتمصير، من الولاء المطوى عليه قلبه للخير سيحمله

دائماً قريباً من السداد وعافية الضمير.

ويضرب الرسول أمثالا كثيرة لمادج الخير كاشفاً بها عن البص الإنسانية السبل

الذى يجعل العمل خيراً.

فتأخذ منها هذا المثال:

"يسما رجل يمشى بطريق. اشتدّ عليه العطش فوجد بئراً، فرل فيها فشرب،

ثم خرج فإذا كلبٌ يلهث. يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ

هذا الكلب من العطش مثل الذى كان قد بلغ منى، فرل البشر، فعلاً خفّه

هه، ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب، فشكر الله له، وغفر له". ١١

وهناك رواية أخرى للحديث تجعل بطل العصاة بع

هما هه العمل الذى استأهل شكر الله ومعرفته. ؟

إنه عمل يسير وهين.. ولكنه خير..

وهي هذا المثال الذي يصبره الرسول للخير مجد كن خصائص الخير.. فيه روح الوحدة، التي لا تسأل: من؟ ولا ما؟ الشمس وإنما تلس بداء الواجب الذي لا يتمثل في كونه جليلاً، أو سيراً، وإنما يتمثل في كونه واحداً لا غير  
حين يصنع لباس علاق بهم ببعضهم وبما حولهم على طريق الخير، فإن حظ هذه العلاقات من الصدق، والصبوب يظل واقياً.

إنا نعيش داخل حياة نبع بالضرورات وبالعربات.

هناك الثروة، والمنصب، والجاه.

هناك الفراغ، وهناك العمل.

هناك الصحة، وهناك المرض..

هناك الناس.. ولأشياء..

هناك النظم.. والتقاليد.. والعوانين..

ثم هناك، لنص برعباتها التي لا تقف عند حد.

وهناك العمل، ولغريزة في مباحهما الأبدى.

وإن علاقنا بكل هذه الأشياء هي التي نحدد نوع سلوكنا ونوع حياتنا

وهنا نلتقي برسول الله يقول:

"نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراع".

هذا أول رخص وأخطره يواحه الإنسان في علاقته بالحياة، ألا يحس استثمار

صحته؟ واستثمار فراغه. أن يعين نفسه، فيعثر صحته في غير نفع، ويعثر فراغه في غير خير، فتتحول حياته إلى صمعة حاسرة!!

من أجل ذلك يوصي الرسول فيقول:

خذ من شببك لهرمك.

ومن غبك لعقرك..

ومن صحتك لسقمك."

نوع علاقتنا ورباطنا بالصحة وبالفراع، بداية هامة لبدء الحياة.

وإن الوقت عند رسول الله ليحول إلى صمعة رابحة إذا، هو متى بأي عمل سامع

لصاحبه وللناس - من أكثر لأعمال جلالاً وخطراً، إلى إمالة الأذى عن الطريق، أو

التبسم في وجه صديق.

و لعمل الإنسانى عند الرسول يتمثل في جهاد دائم بالنفس وبالعمال في سبيل الحق والحبر. فإن لم تكن ثمة قدرة على فعل الحبر، فلا أقل من تجنب الشر.

سأله أعرابي يوماً:

"يا رسول الله، أى الناس خير..؟"

فقل عليه السلام:

رجل جاهد بنفسه وماله..

"ورجل في شعب من الشعب يعبد ربه ويدع الناس من شره".

العلاقة بالناس يجب أن تهدف دائماً إلى إمداء الحبر المستطاع لهم، ونحسبهم كل شر من جانبنا.

ونسمو هذه العلاقة إذا مارست دورها في غير شعور بالاستعلاء على الآخرين. لذين هم أقل توفيقاً وهدى.

ذلك لأن العلاقة إذا انتابها هذا الشعور تحولت من غير أن يشعر صاحبها إلى شمنة وتعسر، وهما الحالتان اللتان تحلطان كل عمل صالح، كم تحلق الموسيقى الشعور..

وهنا نسمع الرسول يقول:

"من غيّر أحاه بدسب، لم يمت حتى يعمله"

ويقول:

"لا تظهر الشمنة بأحبك، فبرحمه الله ويبتليك"

من تعذير الظروف التي تعمل في الآخرين وسبب ضعفهم ليست دلالة على فقر صاحبها وعظمته فحسب..

بل ودلالة على أنه يحمل قلب قد نفوق على الريع والقساوة.

ونسمو هذه العلاقة بين الإنسان والناس، بتسجعة المصول عنه.

هذا رسول الله يتحدث عنه

"إن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه".

ويروى "أنس" رضى الله عنه هذه الواقعة فيقول:

توفي رجل من الصحابة، فقال رجل: أبشر بالجنة.

فقال له الرسول: "وما يدريك؟ ثعلبه يكلم فيما لا يعنيه، أو يحل بما لا يلقصه".

إن الرسول لا يرفض هذا رجاء البشرى لإنسان ميت، ولكنه يشهر هذا الموقف الحاسم ليلقي هذا التحذير الشديد من كل فصول شرير عسى أن ترك المرء ما لا يعنيه، لا يعنى أن سحلى عن واجبه تجاه أسفد الآخرين التى يستطيع تصحيحها.

فمن عناصر العلاقات الرشيدة بالناس وبالجماعة، التواصى بالحق. يقول عبادة بن الصامت:

"يا أيها رسول الله ﷺ على أن تقول بالحق أبدا كذا، لا تحذف فى الله لومه لأنتم".

إن لرسول ليرى فى هذا التواصى شعيرة من شعائر الله وذكر نهض فوقه، لحياء. "و لذي يصى بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم".  
ولأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحد مظاهر التواصى بالحق ولحجج وجدوى لأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليست ماثلة فى تقويم الصدوك الإنسانى وحسب. بل هى ماثلة بصورة أهم وأحل فى أنهما - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - خير وسيلة للمحافظة على قيم الحياء نفسها وإبعاد الريف والتجريف عنها. من أجل ذلك كان معظم المعروف، واستهجان المنكر فرض عسى كل فرد إنسانى - حتى هذا الذى يعجز أحيانا عن فعل معروف - ويعجز أحيانا عن تجنب إثم - عليه أن يرفع صوته، بما يحبه النصيحة، واستهجان الإثم. لأن هذا سبيل محسوم يكى يبقى للقيم العاضلة سلطانها وصدقها.

وكل صنوف لعلاقات، إنما يحدد مصدرها علاقة المرء بنفسه. هذه نقطة البدء تماما.

وإن لستقى بكثرة من أحاديث الرسول تقول للإنسان: "عندك نفسك".

"أبدأ بنفسك"

وبكى ليست أرمه الإنسان في علاقته بهمه أن يبدأ بها أو لا يبدأ فكس، سان يعرف أنه لا بد أن يبدأ بهمه إسم الأرمه هي نفسه ذاتها وأحاديث لرسول عليه السلام في هذا المحال تحدد لنا معالم الأرمه السلوكية للنفس الإنسانية، حيث تتمثل في:

- \* انحواء لدى يوحشها عندما تفقد إيمانها..
- \* اليأس الذي يهشها عندما تفقد سلطانها على برعائها.
- \* لردى الذي يحق بها عندما يبالغ في الفعل، أو يبالغ في، سرك أي عندما تكون مفرطة في الخير.. أو مفرطة فيه.
- \* لحرب الأهليه التي يعاينها حين يفقد العقل والعزيمة السلام والتعاضد، وتتحول النفس بينهما إلى أرض قتال..!!

\* \* \*

فأم لحواء والمراع، فقد عولجت أرمه النفس لإسائه مبهمة بالإيمان. هذا الإيمان الذي يراه الرسول فطرة مستقره في ضمير كل إنسان يولد و لدى يملأ النفس بحلاوته أمتا ورجاء وقوة.

\* \* \*

أم لئس والقنوط، فلا سجيها شيء مثل ما يسجيها استحوذ الخطأ و. برعب لائمة على النفس. هنايك تفقد النفس سلطانها على أمرها، وتفتتها بقوتها، ثم يصعب أو يروا أمليها في النجاة، وأنفذ تصاب بشر ما يمزقها. و لرسول عليه الصلاة والسلام، يدرك تمام الإدراك أي خطر ما حق ينده اليأس ويدمر به الأنفس.

وإن أحاديثه وتوجيهاته لتند حص كل استسلام لهذا الموقف، وسيله لهذا أن يذكر النفس بأن الأمر كله لله وأن أبواب رحمته وقصه لا توصد أبدا!!

فصنع إلى حديثه هذا:

"يقول الله عز وجل: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أريد. ومن جاء

بالسبعة فجزاء سيئة سيئة مثلها أو أغفر".

ثم يحدث أحاديث معيضة عن معصية الله ورحمته فذكر الناس داء بأنها أوسع من دنوبهم وأكبر من خطاياهم.

فدأب يوم يبصر الرسول ومعه أصحابه، أما قد صمت طمعا إلى صدره في رفق وحب ورحمة.. فيسأل أصحابه:

"أترون هذه طارحة ولدها في النار..؟"

فيجبون: لا، والله.

"فيقول عليه السلام: الله أرحم بعباده من هذه بولدها"

ويعرض الرسول في إقناع النفس برحمة الله الواسعة. ويضرب لها مثلا حميدا

فيقول:

إن الله تعالى مائة رحمة أرسل منها رحمة واحدة - بن الجس و لابس،

والبهائم، والهوام - فيها يتعاطفون، وفيها يتراحمون، وفيها تعطف الوحش

على ولده، وأحر الله تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة"

هذا هو المثل البالغ الذي يصور به الرسول رحمه الله سبحانه.

فما افترض أن رحمة الله مائة جزء فإن كل مظاهر الرحمة في الأرض، بما هي

جزء واحد.. وثمة تسعة وتسعون جزءا يرحم الله بها عباده، ويصمد بها جراحهم.

وهذه لوحة أخرى يصممها الرسول صورة عذبة بأهلة لرحمة الله

"بدني المومنين يوم القيامة من ربه حتى يصع عليه كفه، فيقرره بدنوبه فيقول:

أتعرف ذنب كذا..؟"

أعرف ذنب كذا..؟ فيقول: رب أعرف، فيقول الله له: فلاني قد سترتها عنيك

في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، ويعطى صحيفة حسنته."

\* \* \*

في واحدة من الأحاديث، رحيه مرهرة كورود الربيع - صور الرسول رحمه ربه وأرض

في وصمها، قد لا للنفس ليشره لا تقطى من رحمة الله ولا تفقدى أبدا يقينك بهدربه

على ان تثبت من الوحل، وتظهر لك من الإثم، وإلبسك لباس التصوى. ونوحيك بالرحمة والمغفرة والمثوبة.

وصحيح أن الرسول خوف النفس الآثم من عذاب الله وكان لابد أن يعمل . فليست أرمه النفس ولا مارق الحبة في أن للشر عقاب . بل تكون الأرمه والمارق لو لم يكن ثمه طريق للعودة إلى الخير وإلى الرحمة مفتوح على أوسع أمام النفس.

وإن الرسول يؤكد وجود هذا الطريق يؤكد أن الله أكثر شوقاً إلى عبده ليدرس أبعادتهم المحيطية عن رحمة وأنه يسطر إليهم بميله - وكنت يد به مسمى - ويدعوهم إليه "إن الله يسطر يده بالليل ليوب مسمى النهار ويسطر يده بالنهار ليوب مسمى الليل".

صورة حلوة لحنان الله وحرصه على عباده

ويحكي الرسول عن الله عز وجل هذا الحديث:

"يقول الله تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي".

فمن حيث علاقه النفس بالله حسن يعليها على أمرها أي خطأ أخلاقى، يمسح لرسول دوره، الأمل في الخلاص فيحبر أن العثرات والأخطاء ليست لحجاب الحب في لرصيد سلوكنا.. بل إن المستقبل مليء بفرص الخير . وليست العبرة بالبدايات وحده بل وبالنهايات قبلاً.

وهنا يقول عليه السلام:

"إنما الأعمال بخواتيمها".

\* \* \*

بعد أن الرسول لا يكتفى بهذا في طمأنينة النفس ودعم ثقته بدورها ومعونتها على تحطى اليأس الكجم عن تورطها في الخطأ، بل إنه لسلك لهذه العاية الكريمة سبيلاً أخرى .

وسيله هذه المرة أن يصح الأخطاء الأخلاقية في مكانها الصحيح فهي ليست

انعوى للمردة التي تصرع الإنسان بها بل هي إقرار طبعي للشطط البشري.  
 يشبه تمام الإقرار الطبيعي لشططنا المصنوعي.  
 وكل إنسان عرضة لأن يائثم ويخطئ.  
 ولدين لا يائثمون ولا يحطون قط هم موسى وحدهم، لسبب يسير، هو أنهم  
 لا يتحركون.  
 ويوضح الرسول هذا المعنى ويؤكد به يؤكد يكشف عن إدراكه للأهمية القصوى  
 التي يربتها على اقتناع الناس به.  
 يقول عليه السلام.  
 "و لذي نبي سده لو لم يدبوا لذهب الله بكم، وحاء يقوم يديون  
 فتعفرون الله تعالى، فعفر لهم"..  
 بداهة، وأكثر من الداهة، أن الرسول لا يرد أن نحصى الدس بهد، على أن يحصوا  
 لدنوب ضمن هواياتهم !!  
 بما هو يكشف عن حقيقته حيه، هي أن الناس لا ينبغي أن يصغوا، إلى أخطائهم،  
 البأس من محو الأخطاء . ولا الأس من رحمه الله وقدرته على تدليل مستأثم حسرات.  
 ويريد الرسول لأمر وصوفا حينما نظر إلى الخطأ، كفرصه سح لصاحبه يد، هو  
 تموى عليه، بجرته عيه بالموعظة والوع، فعول عليه السلام في حكمه بالعة ومشرفة.  
 "لا حلیم إلا ذو عشرة. ولا حکیم إلا ذو تجربة".  
 بهذا يحل نصف الأزمة . أزمة النفس في مجال السلوك الإنساني  
 وبهذا يهيئها الرسول عليه السلام للعمل الصالح، وهما يجيء دور الآفيس. الثالث  
 والرابعة السنن أشرنا إليهما من قريب،  
 وهما المصلحة في العمل . أو المصلحة في سرك العمل . والصراع بين العمل  
 والغريزة صراعا يشمل في النفس حربا أهلية.  
 وهذان الآفان ونفسا الصلة، حتى لكأنهما افة واحدة، وهما شكلان نصف  
 الأزمة. وما كان الرسول عنهما غافلا.  
 فهو - عليه السلام - في صوء بديره للطبعة الإنسانية ونصعها يدرك أن لا عدال  
 في الطاعة لا يقل أهمية عن الطاعة نفسها.

وهو يعاون النفس البشريه على بحطى أرمها، فدعها لسرك، لتطرف فى بعض، حتى حين يكون هذا العمل عباد.

\* "إن هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق؛  
\* فإن المنبت لا أرضا قطع، ولا ظهرا أبقى."  
"إن هذا الدين يسر.."

ولى يشاد، الدين أحد إلا غلبه . فسددوا، وذربوا، وأبشروا. "   
إن الإيصال فى العبادة ذاتها فى عر أناة وقصد قد يبعث فى النفس الملل   
والعمل حين يشوبه الملل بعد الكثير من بهاته وشاطه.   
من أجل هذا يقول، عليه السلام:

"عنكم من لأعمال ما يطعمون فإن الله لا يمل حتى يملوا"

والتطرف فى العمل يملأ النفس بالإرهاق الذى يجعل العمل يصطرب بيس يديها   
وينلعم، ويأتى على غير وجهه السديد.

وهذا، ومن أجل هذا يرجع الرسول عن التطرف ويهين، حتى لو يكون لعمل صلاة.   
"ذا بعض أحدكم وهو يصلى، فليرفد حتى يذهب عنه السوم، فإن أحدكم   
ذا صلى وهو باعس لا يدرى لعله يذهب يستعمر فيست نفسه"   
وحين يرى رجلا قد صام وهو مفر بأمره أن يعطر ويقول:

"إنه ليس من البر أن تصوموا فى الحر، وعليكم برحمة الله عز وجل لئلى   
رخص لكم فاقبلوها."

بعل أحدا، لا يتصور أن يدود رسول عن العبادة إذا أوعلو، فيها وبالعوا فى   
المرهد منها.

بيد أن الرسول محمدا عليه السلام خير - وأى خير - بطبيعته لبشرية   
وبحب جاهد، ويحمها الكامن فى الروح والراحة   
وهكذا نسمعه يقول:

"إن لربك عليك حقا، وإن لنفسك عليك حقا."

وهو لا يرسل هذه لتوجيهات إرسلا عابرا بل هو يعنها، ويعنى أن يصوع بها   
ومنها قنون العمل والعبادة.   
ولا يتسامح مع أى عابد أو عامل يجعل المبالغة أسلوب عمله وعبدته

ولنصغ إلى "أس" رضى الله عنه يروى هذا البأ  
 "حاء" بلانه رهط إلى بيوت السي ﷺ يسألون عن عبادته  
 "فما أحبروا، كأنهم نقالوها ودلوا- أين نحن من السي ﷺ وقد غفر له ما تقدم من  
 دبه وما تأخر.

"قال أحدهم: أما أنا، فأصلي الليل أبدا..  
 "وقال آخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر  
 "وقال آخر: وأنا أعزل النساء فلا أتزوج أبدا..  
 فحاء رسول الله ﷺ إلهم صال. أسم الدين فلم كد، وكدا  
 "أم والله إني لأختكم لله، وأنتكم له، لكى أصوم وأفطر وأصلي وأرقد  
 وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني".

\* \* \*

إن العقل و غريزة. بل إن الطبيعة الإنسانية، بكل احتياجاها وخصائصها لتبلغ في  
 هذه التعاليم الرشيدة تكاملها  
 وإن الرسول لبوفق من كل مطالب النفس بوقعا عادلا وحصيفا .  
 وطالما كان يقول لأصحابه:  
 "ساعة .. وساعة" ..!!

أى أعطو أنفسكم حقه في العمل وحقه في المرح.  
 عطلوا في غير مشقة، وامرحوا في غير تبذل.  
 و لرسول عليه السلام يعلم أن الإنسان روح وجسد. نور وطمس. ونسك هي أمة  
 الإنسان الكبرى - صطراع الخير والشر، في داخله، والسبب والعصف بين قوى الروح  
 وقوى الجسد.

يرسم الرسول لهذا الصراع صورة، هذا معناه:  
 "ما منكم أحد يصبح إلا ومعه ملك يديه. ب عبد الله هلم إلى الخير  
 وشيطان يتأديه: بل هلم إلى الشر".

وإن لتركيب النفس والجسد للإنسان ليجعل الخطأ الأخلاقى إقرارا حتميا لا  
 مهرب منه ولا مفر.

إن، الاستقامة الكاملة ليست من حظ البشر بحال.

وهكذا يقول الرسول.

"استقيموا، ولن تحصوا" ..

ولم يطمع الرسول أبداً، أن يحسب الناس الخط بصورة تامة

إنما أراد ألا يصروا على الخطأ

وإصرار على الخطأ، وليس الخطأ ذاته، هو آفة الإنسان.

ويرى، رسول أن قوى الروح عالية مهما يكن بمرء البشري وثورة الحسد

يقول "أنس" :-

"كتب عند النبي ﷺ، فجاءه رجل، فقال، يا رسول الله، إني أصبت حذاً،

فأغفمه علي، ولم يسأله، وحسرت الصلاة فصلى النبي ﷺ، فلما قضى النبي

الصلاة، قام إليه الرجل، فقال، يا رسول الله، إني أصبت حذاً، فأقم في

كتاب الله تعالى، فسأله الرسول، أليس قد صبت معاً؟ قال، نعم. قال،

ادهب فإن الله قد غفر لك ذنوبك".

في هذا الأسلوب من معالجة النفس ومعاومته الإثم، يشير الرسول إلى عامل هام من

عمل، يتفوق الحلمى، هو ألا تقصى العسر في إحمرار التدم الذي يولد اليأس، من عيب

أن تصاعف من حسنات وأن تسمى فضائلك ثم تدعها هي حين سمع وتتكاثر تعطى

أخطاءنا، ونلاشها.

ليس الإنسان المستقيم عند رسول الله، من لا حائل له

بل هو الذي تفوق أرياحه خسائره.

هو الذي ترجع فضائله أخطائه.

وإن هذه النظرة لتشكّل وتحمّد في الممران الذي يحدث عنه الرسول كأداة

لصحة الأعمال وتقسيماها..

فلما كان عنه السلام يذكر الناس بأن مجاهدين معموده يرجحان حسب بهم عسى

سبب بهم.

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها..

"فمد رجل يمين يدي رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله، إن لي مملوكين يكذبونني، ويخونونني، ويعصونني - وأشنهم وأصرهم، فكيف أنا منهم؟"

"فقال له الرسول: يحسب ما حذوك وعصوك وكذبوك ويحسب عفتك إياهم. فإن كان بعدد ذنوبهم كان كفرك، لا لث ولا عنت. وإن كان دون ذنوبهم كان فصلا لك. وإن كان فوق ذنوبهم فنص لهم منك"

"قالت عائشة فتسحى الرجل فجعل بكى وبهت، فقال رسول الله ﷺ: أمم اقرأ كتاب الله تعالى. "وتضع الموارث العسط ليوم القيامة فلا يظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أبيها بها، وكفى يا حبيب"

"فدنا لرجل، والله يا رسول الله ما أحد لي ولهؤلاء شيئا خير من معارفهم، أشهدك أنهم أحرار"

إن التحيل لنهائي لمكرة الميران وصورة، برسم الموقف الممتنع قطعه ورحمه وسما الذي وصفه لرسول من الطسعة الإكبر مقدرا، ما قصدها لهاثله، ودعيه الناس كما أسلموا ألا يبنو تموفهم لأحلافهم على أنصاف معركة حاسره يحولون بها محو طباعهم.

بل أن يجعلوا سبيهم لهذا النوع سمية ما معهم من فضائل، حتى يكون حسبهم أربى من سببهم وضعهم أكثر من إثمهم، وحتى يكون بواعث النوع لديهم أمس ووسد من نورع الحنف والهيوط، على أن سير إلى جانب هذا محاولاتهم المعدية للنجوح عن الإثم.

وهنا يقول الرسول:

"وأتبع السيئة الحسنة تمحها"

\* \* \*

وهي توجيهات الرسول بشأن أزمة السلوك هذه، مجده عليه السلام يعطى أهمية بانه مبدأ - الوقاية خير من العلاج - وكلمة الوقاية، هي في الاصطلاح الديني لتقوى ويرى لرسول عبه السلام أن الوقاية، أو التقوى خير سبيل لتعادي كل أزمات سلوك ومآرقه.

ولكن كيف نكون هذه الوقاية، أو هذه العوى؟ هـ نجد الرسول يقول:  
 "لا يبلغ لعبد درجة المعص حتى يدع ما لا بأس به، حدرا مما به بأس"  
 إذا كانت أولى مراحل العوى والوقاية، يبدأ من ترك ما به بأس فمن نعم هذه  
 التقوى وقمنها بنمثلة ما لا بأس به، إذا كان نعم احتمال عظمة إقصائه إلى ما به  
 بأس..

أى أن يترك الإنسان أحيان ما أحل له فعله، حدرا مما حرم عليه فعله.  
 والرسول عليه السلام يبني قاعدته هذه في العوى على مبدأ "سيكلوجى" مسسم  
 فيقول:

من حرم حول الحمى، يوشك أن يقع فيه.

ويزيد المعنى وضوحا فيقول:

الحلال بين، والحرام بين، وبينهما أمور مشبهة فمن ترك ما شبه عليه من  
 الإثم كان لما استبان أترك، ومن اجتأ على ما يشك فيه من الإثم، أوشك  
 أن يواقع ما استبان.

"ألا وإن حمى الله ما حرم، ومن يربح حول الحمى يوشك أن يو فعه  
 فأخذ زمام النفس - ولكن فى غير مصر - بعدا عن مزالق الطريق خير سبيل  
 لئلا بها

ولكن كيف نتبين ما ليس به بأس، مما به بأس..؟  
 هـ يصع الرسول قاعدة عامة ومعيارا لا يحطى، فيقول:  
 البر ما أطمأنت إليه النفس.  
 والإثم ما حاك في صدرك، وخشت أن يطلع عنه الناس  
 وبعد. فنستطيع لأن أن نبصر خطوات برية النفس ونجسبها أرمة السلوك منحصه  
 هـ فى هذا الحديث.

اتق الله حيثما كنت..

وأتبع السيئة الحسنة تمحها..

وخالق الناس بخلق حسن..



الفصل الرابع

# عن فضائل الحياة



عن فضائل الحياة، يحدث أبي عبد الله "رُوع حديث  
والحياة عنده - عليه السلام - لا يفصل عن الاحياء فهي منهم وإليهم،  
ولنجد الإنسانية قواعدها وفصلها التي إذا أحدث فرصتها ساعدت البشر على  
أن يكونوا صالحين، خيرون، سعداء،  
ولفضائل الحياه قد استهتت التي توازي أهميتها البالغة.  
ورعاية هذه الفضائل وسميتها من أعظم أعمال الإنسان وأهمها بالمعقوبه  
كما أن الإساءة إليها إساءة إلى الحياة كلها  
وكل محاولة لتربف هذه الفضائل، جناية بركب لا صدّ جل، أو حلس، أو  
ثلاثة.. بل ضد الحياة في مداها البعيد.  
من أجل هذا يبدأ الرسول فيضع هذه القاعدة:  
"من سنّ سنّة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيمة"  
"ومن سنّ سنّة سيئة، فعليه وزرها، ووزر من عمل بها إلى يوم القيمة"  
إن هذا الحديث بمنّ مُشر في وجوب رعاية فضائل الحياه وهي التحدير من  
محرقتها،  
وهذا طبيعي من رسول جاء يسمو بالحياة، كما أنه إدراك شديد لقيمة الحياه  
ودورها  
لقد وجدت لحياه قبل الإنسان، فهو صنف طارئ عليها. وهي أبقى منه، فليس من  
حظه أن يسوء إليها - بل إن واجبه ألا يظّل كيوم جاءها ووجد عليها - بل لا بد من أن  
يصبف إليها الكثير من لحر والجمال.. فهذا هو دوره، ومن أجل ذلك جاء..  
وإن ما يُسمى بالحياة الإنسانية، لمثل الطور الأرقى في مسيره الحياة على الأرض،  
فكل إساءة لفضائل الحياة الإنسانية، هدم لروح الرقي في الحياة كلها  
من أجل ذلك، ليس من حق إنسان ما قعد به صعبه عن اللحاق ببعض تلك الفضائل

أن يُهون من شأنها، وأن يعطى لدم من مرزب تركها والحلى عنها، حتى يصبحوا ورياء سواء، وحتى لا يصحى عجره عن إدراكها ما حداً عليه. بل إن واجبه ألا يُصيف، لي حطينه عجره حطنة جحوده. واجبه أن يرفع الصوت على بعمة هذه، لعص ثل وحنيتها وتقديسها، وإن خافه التوفيق في إدراك بعضها.

ذلك أن قص لل الحاء لسبب - كما قلنا - منك لحسن، بل هي ملك للحياة جميعها. حتى لو قصر حبل بأسره في تحقيق هذه المقاصد أو بعضها، فإن بقاء احرمه لها وشعوره بقداستها، ينبغي بها أهمها اللازمة للأجيل المعينه. ولنضرب لهذا مثلاً.

إن سكان الأرض اليوم يعاربون ثلاثة الاف مليون سمة إلا قليلاً. أرأيتم هذه الأعداد الهائلة ؟ ثلاثة الاف مليون سمة تقريباً ؟! بعد مائة عام لا عر لس يكون على ظهر الأرض أحد من هذه الثلاثة آلاف مليون..!! سيكون الموت قد طواهم جميعاً !!

وحلال مائة سنة دليه متمش ثلاثة او أربعة الاف مليون أخرى، وعد مسهى تلك لمدته الكسة . ستكون تلك الأعداد الهائلة قد احتضت هي الأخرى. وهكذا يهوم الزحام وبعض. بينما الحياة ماضيه باقة. !! فكلما بهيت لها فص ثلها ونمت، كان ذلك حيراً للأحياء الواقدين جميعاً..!!

وكل دغم لمصائل الحاء لس دعماً لها في زمان بعنه، ولا هي حبل بدانه. بل هو دغم بها م بعيت لحية على وجه الأرض . ومثوبه هذا الدغم نلاحق صاحبها م بعيت الحياة على وجه الأرض.

و لأن، لنقرأ حديث الرسول مرة أخرى.

"من سن سنة حسنه، فله اجرها وأخر من عمل بها إلى يوم القيمة"

"ومن سن سنة سيئه، فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيمة" !!

وحدث آخر بصور بلغ بصوير إيمان الرسول عنه السلام بمسئوليه كل فرد عن قوانين الحياة ومصائلها:

"لن من من نقتل ظلماً إلا كان على ابن دم لأول كفل من دمها، لأنه

كان أول من سن القتل".

ولقد تعلم الرسول هذا الدرس العظيم من العراب حسن قال له

"مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ، أَوْ فَسَدَ فِي الْأَرْضِ فَأَكَّثْتُ قَتْلَ النَّاسِ  
جَمِيعًا.."

"وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا."

إن فضائل الحياة مثل أحببها.. تماماً.. فمن رُثِفَ عَصِيْلُهُ مِنْ فَضَائِلِهَا فَكَأَنَّمَا رُثِفَ  
لِحَيَاتِهِ جَمِيعًا.

\* \* \*

وقول الرسول عليه السلام "مَنْ سَمِيَ حَسْبُهُ فَلَهُ أَجْرُهَا" إلى آخر الحديث. قوله  
هذا يشير إلى أن تسمية فضائل الحياة - حرء هام من عملية رعايتها وطبقتها - شريطة أن  
يكون هذه التسمية مبداءً وانتشاراً لخصائص الفضائل ذاتها.  
وهذه هي ما عبر الرسول عنها بأنها "سنة حسنة".

فإذا كانت التسمية مُسَخَّاةً لخصائص الفضائل وانحرافاً عن جوهرها فتلك هي  
"السنة السيئة".

ولئن كانت فضائل الحياة تصان بالعمل الذي يعطى العدو. فإنها كذلك تصان  
بالقبول الذي يحفظ الخرقه.

فواجب كل إنسان أن يدعو - كما ذكرنا من قبل - إلى احترام فضائل الحياة حتى  
حين ننحرف عن بعضها.

وهنا نسمع الرسول يقول:

"يَمْعُوا عَنِّي وَلَوْ يَدُ فَرْبٍ مُبْلَعٍ هُوَ أَوْعَى مِنِّي سَامِعٍ، وَرُبُّ حَامِلٍ فَعِيٍّ، لِي مِنِّي  
هُوَ أَقْبَى مِنِّي."

إن العمل في سبيل ذكر الفضائل متعاوٍ حسناً بين الناس  
ولكن، طرء هذه الفضائل يجب أن يحىء بالإجماع؛ لينقى للحياة الإنسانية  
ضميرها وروحها.

وإن الرسول ﷺ يشجعنا على اتباع هذا المصلك بكل صدقه ومبشر به فدايت يوم  
سأله أحد أصحابه في أسى قائلاً:

"يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرَّجُلُ يَحِبُّ الْقَوْمَ وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْمَلَ عَمَلَهُمْ. ۚ؟"

"فَأَجَابَهُ الرَّسُولُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَائِلًا:

"المرء مع من أحب.."

أجل، إن المرء مع من يحب، ومع ما يحب. فحبك الحبيب، وحبك الفصائل.. حتى في حالات صعقت تجعل لك في الفقه المبارك مكاناً ويصرب الرسول ﷺ لهذا الحصة مثلاً بآهراً فصور لك جماعه جالسو في مسجد يعبدون الله، ويذكرونه..

وهذه في أقصى المسجد، قعد رجل وحده، لم يأخذ مكانه بينهم عابداً وذاكراً.. وصر ملائكة الرحمة بهذه الجماعه العابدة، فتركها ثم سعى بصره عسى ذلك الجالس بعيداً، ثم يقول بعض الملائكة لبعض فليساركه أبص، فهؤلاء القوم لا يشعرون جليهم، أو حسب نص الحديث النبوي:

"هم القوم، لا يشق جليهم"!!!

إنها صورة رائعة تبين أن لعلاقة القصة بالحبر وبالعصبة قدرها وثوبها.

\* \* \*

وفصائل الحياه - كما يرام الرسول ﷺ - تتمثل في كل قسم الحبر و الحق والجمال. تتمثل في كل ما أمر الله به أن يوصل.. وسكون حسا أن تعرض بمودجاً لأمهات هذه الفصائل التي تشكّل روح الحياه وصبرها.

وأول ما يلماه في هذا النمودج - الحب.

\* الحب

إنه لبص عني رأس فصائل الحياه وبعد الطريق أمام كل قوى الحبر فيها - وفي حص الرسول ﷺ عني الحب، وبوصايته شأنه يبدأ بتطهير مابعه - وذلك بأن ينحني عسه كن دواعي الوصولية والعرص أجل لس الحب عند الرسول ﷺ "هأنا تجارب" بين دجرين، بل "مبتقاً" بين روحين ولكي بأني الحب من مابعه الطاهره. ثم لكي يبقى ويستصر على معوقاته لا بد أن يحرّد من كل عرص رائل، ومبعة رخيصه. وذلك بأن يكون خاصاً صفاً متعوقاً.. وذلك - مرة أخرى - بأن يكون لله رب العالمين

لحب بهذه المثابة يقف في المكان الأول من صف فصائل الحياه جميعها  
ها هو ذا الرسول ﷺ يتحدث:

"أفضل الأعمال الحب في الله، والبعض في الله"

ويقول أيضاً عليه السلام:

"يقول الله بارك ونعالي وحت محتى للمحائس في، والمجالس في،  
والمنازات في.."

ويرفع لحن، إلى مستوى أصبح به طريقاً إلى الإيمان وذلك حين يقول  
الرسول ﷺ:

"والذي نفسي بيده، لا يدخلوا الجنة حتى يؤمنوا ولا تؤمنوا حتى يحبوا"  
وردت الصلاة ولصم بمثلان عند الرسول أهم وأحل أركان الدين، فإنه  
لرفع إلى مساوئها كن عمن من شأنه أن يُخرج فرض الحب، ونحوه، الخلاف بين  
الناس، فيقول عليه السلام:

"لا أحبركم بأفضل من درجة الصلاة، والصيام، والصدقة ٩٢"  
قالوا: بلى يا رسول الله  
قال: إصلاح ذات البين \*

\* \* \*

وإيمان الرسول ﷺ بالحب، جعله يسع كل عمل يسهم في إيناعه وإنعائه فيجعل  
من شعره وعبادة وقربى - مهم، يكن هذا العمل سراً وعابراً  
فالرسول ﷺ يريد للحب أن يعلن عن نفسه، وألا يظل محبواً، يحب لجنوح  
يقول عليه السلام:

"إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره أنه يحبه."

والرسول ﷺ يريد للحب أن يدعم وجوده، فلا يقوم بين الناس من بعيد  
إد آتى الرجل الرجل فسلأه عن اسمه واسم أبيه وممن هو، فبه أوصل  
للمودة..

ورداً كانت كل علاقة بين اثنين عرصه للتعبيرات الطهرية والخلافات العنيفة، فإن  
الرسول عليه السلام لا يريد أن يسمح لهذه الخلافات بمحدورها لا يسمح لها بأن  
تتحول فقط، إلى خصومة وقطيعة - من أجل ذلك يجدد بحرمها عامل الرمن الذي سمي  
لخلافات للإفادة منه في دعم نفسه فيجعل الرسول ﷺ الأيام الثلاثة أقصى أمد مسموح  
به لبقاء الخلاف.

"لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث لال، سبب، فعرص، وعرص هـ، ويعرض هـ،  
وغيرهما الذي يبدأ بالسلام".

الحل - لا يسمى أن يريد الهجر - إن وقع - عن ثلاث؛ حتى لا تعرض العلاف  
الحبيبه لنصدأ، فإذا هي استطاعت، فالإثم كبير  
بقول عليه السلام،

"من هجر أخاه سنة، فهو كسفٍ دمه" !!

ولكن نهي المحبة ربه نامة، يعنى الرسول بسحبة كل أسباب سوء عنها، فسوء  
الظر، و لنظفل والحسد - وكل هذه الآفات يعوق نمو المحبة وتتحدى بها هـ، وإذن  
فيؤجر عنها الرسول ﷺ زجراً شديداً.

"إياكم والظر؛ فإن الظن أكذب الحديث."

"ولا تمسوا.."

"ولا تجسسوا"

"ولا تفسوا."

"ولا نحاسدوا"

"ولا يباغضوا"

"ولا يذابروا"

"وكونوا عباد الله إخواناً"

وبه عليه السلام ليردري كل وشاة نال من حُب امرئ لأخيه.

ولقد كان يهرب بنفسه المثل والقذوة. فيقول للناس

"لا تبعوا مني شيئا فربى أحب أن أخرج، لكم منشرح  
الصدر" !!

وهو يصون الحب الذي يجب أن يكون جوهر العلافات الإنسانية كلها، من

القصص شديد الذي يؤدي الناس ويدمر روح الله ما هو ذا يقول.

"يا معشر من أسلم بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين،

ولا تعيروهم، ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإن من سيع عوره أخيه نسيح الله عورته

ومن يتتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله" ..

ويقول عليه السلام:

"إِنَّ رُبَّ بَيْعَتٍ عَوْرَاتٍ النَّاسِ أَضْدَبُهُمْ أَوْ كَذَبَتْ عَنْهُمْ"  
 رُبَّ رَسُولٍ يَتْلُو بَدْعَ بَعِيدٍ، بَعْدًا، كُنْ مِطْلَقُ الْإِسَاءَةِ إِلَى رَابِعَةِ الصَّدَقَةِ وَنَحْبٍ.  
 فَلْتَقْرَأْ هَذَا الْحَدِيثَ الَّذِي لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَعْقِيلٍ  
 "إِذَا كُنُوا ثَلَاثَةً، فَلَا يَسَاحِي اثْنَانِ دُونَ الثَّلَاثَةِ؛ فَمَنْ دَلَّكَ يَحْرَهُ" !!  
 وَيَسْعَ رَسُولٌ يَتْلُو هَذِهِ الدَّقْنُ فِي قِطْعَةِ عِظْمَةٍ فَمَقُولُ:  
 "لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَجْلِسَ بِرَأْسِ الْإِسْلَامِ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا"

ويقول:

"بَصِّمُوهُ، يَذْهَبُ لَعْلَ وَيَهْدُوا، تَحَابُّوا وَيَذْهَبَ لِسُخْبُهُ"  
 وَهُوَ لَا يَدْعُ أَيَّ فِرَاعٍ بَعْدَ مَهْ لَهَجَرٍ أَوْ السَّامِ، إِلَى هَذِهِ الرِّبْطَةِ الْجَدِيلَةِ بَيْنَ النَّاسِ،  
 وَلَا يَنْزِلُ لِأُخُوَّةٍ وَلِمَحَبَّةٍ عَرَصَهُ لِلدَّبُولِ، بَلْ يَجْعَلُهَا دَائِمًا مَصْبًا لِلْاهْتِمَامَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ  
 السَّيْلَةِ..

حَتَّى عَظَمَ الْإِسْلَامَ نَحْدَ الرَّسُولِ ﷺ مِنْهُ قِرْصُهُ طَيِّبُهُ لِإِنْعَاشِ عَاطِفِهِ لِأَحِبِّهِ  
 وَإِرْثَاءِ فَصِيلَةِ الْحُبِّ. !!

"إِذَا عَصَى أَحَدُكُمْ مُحَمَّدًا اللَّهُ فَشَمَتُوا، وَقُولُوا يَرْحَمُكَ اللَّهُ"  
 وَلِنَعْدِ لِعَبِيرٍ فِي الطَّرِيقِ قِرْصُهُ لِلنَّسْدِ عَلَى الدَّبْسِ قِرْصُهُ لِلْمَصْفُوحَةِ الَّتِي تَمُوتُ عَنْ  
 طَرِيقِ الرَّاحَةِ.. الْمَصْفُوحَةُ حَتَّى الْعَلْبِ وَوَلَاءِ الرُّوحِ.  
 وَإِنَّ الرَّسُولَ لِيَجْعَلَ الْمَصَافِيحَ هَذِهِ شَعِيرَةً وَعِبَادَةً  
 "مَا مِنْ مُسْمِيٍّ يَلْعَنُ مَصَافِيحًا إِلَّا عَمِرَ لَهَا قَلْبٌ أَنْ يَنْفَرَا"  
 وَرِبَارِهِ الْمَعَاذِي وَعِيَادُهُ الْمَرِيضِينَ مِنَ الْعَرَضِ الْحَيْرَةِ الَّتِي تَسْعُ لِعَسْكَرِيَّاتِ الْحُبِّ أَنْ  
 تَرْتَفِعَ، إِلَى مُسْتَوَاهِ.

وَمَا يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ:

"مَنْ عَادَ مَرِيضًا، أَوْ أَحَالَ لَهْ فِي اللَّهِ تَعَالَى، بَادَاءَ مَرِيضٍ أَنْ طَبِيبٌ وَطَبِيبٌ  
 مُعْشَاكٌ، وَتَبَوَّاتٌ، مِنَ الْجَنَّةِ مَرَلًا.."

وَلَكِنْ يَكُونُ لِحُبِّ طَبِيبٍ وَسَوْنًا، فَإِنَّهُ لَا يَسْعَى لَهُ أَنْ يَنْحَطِلَ حَقُوقَ الْأَهْلِ وَالْجَبْرِ  
 فِيهِ. بَلْ لَا يَنْدُ أَنْ يَبْدَأَ بِهَؤُلَاءِ، فَيُعْطِيَهُمْ حَقَّهُمْ كَامِلًا عَمْرٍ مَمْنُوعٌ.

"خيركم خيركم لأهله. وأنا خيركم لأهلي".

حبر الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخيرهم عند الله خيرهم لجاره  
 "ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره"

\* \* \*

واحب لدى الرسول ﷺ، أنسى من أن يكون وسيلة للمحبة.

فسر معنى الحب أن نحبي من يحب محاباه ندفع العدل، ونحق ثمنها فأشد  
 يتحول الحب إلى أمانة وجور.

وحين يواجه هذه المحبة في عالم الرسول عليه السلام قرب بل قد في قدرته  
 وسلوكه العظيم.

ولقرأ هذا أولاً وهو بيا يحكمه الإدم على كرم الله وجهه محدث به أحد

الصحابة:

"ألا أحدثك عنى وعن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وكاتب من أحب أهله

إليه..؟

"قلت بلى.."

"قل إنها حُرَّت بالرحى، حتى أثرت في يدها واستمت بأعقره، حتى أثرت  
 في نحرها. وكسب البيت، حتى أعيرت ثيابها "فأثنى النبي ﷺ بخدم،  
 فميت لها لو أنبت أبك فأنه خادمها ؟ فأنته، فوجدت عنده شعلاً  
 فرجعت، فأبانا من العبد، فقال: ما كان خادك ؟ فسكت. فميت، أب  
 أحدثك يا رسول الله ﷺ إنها حُرَّت بالرحى، حتى أثرت في يدها وحملت  
 بالقرية، حتى أثرت في نحرها.."

"فما أن جاء الخدم أمرتها أن تأمك بسجدهم خادف يعقب حرماً هي  
 فيه.."

"فقال لرسول ﷺ لآله أضي الله با فاطمه، وذى مريضة ربك، وعملى  
 عمل أهلك..".

هـ كانت المحبة حقاً لا جوراً.. بل هي حق وليست محاباة أبداً.

فما طعمه رضى الله عنها - لم يطلب لنفسها بدعاً من دون الناس. وربما طيب  
 ما هو حق للناس جميعاً  
 وطمعة - كتب ملء قلب أبيها، فلم يحب الرسول ﷺ أحداً من البشر كما أحب  
 بنته العظيمة فاطمة عليها السلام.  
 وعنى الرغم من أن طعمه طالب بحق، إلا أن الرسول ﷺ كان قد أسهج نفسه  
 ولأهل بيته مبدأ فحواه أن يكون وآل بيته آخر من يظفرون بمطاب الدنيا حين وجود لذب  
 على المسلمين ببعض عطاياها. وأن يكون وأهل بيته، أول الجباة إذا جاع الناس  
 وآخر من يشبع إذا شبع الناس..!!  
 فلم ذهب أحب، ساس إليه ترحو حادماً كان لا يزال في ضعف ليس من لم  
 يظهر بعدُ بحدوم.

وإذن فإن دور طعمه لم يأت بعد - وقد لا يجيء أبداً. !!  
 وحس، ألمى وجهاً نوجه - حه ومدؤه، لم يصطدما، بل حلما معاً كجا حتى مَلَاث  
 حاملين شرف المسئولة إلى دروه التعوق اللانق ياسان في مسوى محمد بن عبد الله !!  
 إذ أردنا أن نضر أعظم نكریم للحب، وأروع ولاء له، فمن مثل هذا، لسهج، وهذه  
 النعالم فلس لهمم أن يحب.. ولكن المهم أن يكون حبا صادقاً وأميناً، وبعبارة وحده  
 أن يكون حياً حياً..

\* \* \*

ومن فصل تل لحده لى يوصى بها الرسول ﷺ، ويعرف له قدره  
 - التعاؤل:  
 إنه الربيع الذى تنتعش فيه الملكات والعدرات الإنسانية فتعمل في عبطة وبتة ح.  
 وإذ كنت الحبة عند رسول الله ﷺ مجال العمل الصالح النافع فإن أسهل  
 والرجاء بصيران عبادة يثاب عليها صاحبها  
 أجل، إن، لتفاؤل ليرتفع في وعى الرسول ﷺ وشريعته إلى منزلة العبادة ولقرب  
 وإنه ليحير أن الله سبحانه لا يريد عباده إلا متعائلى دائماً ذلك أن التعاؤل يعنى حسن  
 ، لظن بالله، واتساع الرجاء في رحمته وبره  
 يقول الرسول عليه السلام.

"قل الله عز وجل. أن عند ظن عدي بي، إن ظن حيراً فله، وإن ظن شراً فله"

ويوصي الرسول ﷺ قائلاً:

"لا بموس أحدكم إلا وهو بحسن الظن بالله عز وجل"

وجوهر التعاؤل عند الرسول ﷺ، بمثل في لارتباط النسي والصلح والمهال  
بكل مسؤوليات الحياة.

هذا جوهر التعاؤل، وتلك غايته:

وهنا يقول الرسول عليه السلام:

"إذا همت الساعة، وفي يد أحدكم فسلة فليعرضه"

عن هذا الحديث العظيم بمثل العير الهني لعصية التعاؤل كلها  
فمن الذي كان ينظر عن رسول تحدث طويلاً عن أهوال الساعة أن يطبق هذه  
الصحة العتة الخلافة...؟

إن هذا الحديث يشبه تماماً أن نقول:

"إذا جاءك الموت وفي يدك عمل فأنمه..."

إن التعاؤل يجد في حديث الرسول هذا، أقوى نصير، وأرحب أمل  
فحتى أهوال القامة التي لا تشبهها أهوال، لا يبعي أن سبب المرء تعاؤل روحه،  
وسكينة نفسه، وإقبال المعتبط على العمل...!!  
إن مشاؤ الحب لكثرة، وكثيراً ما يهرب الناس منها إلى اليأس قائلين إن يأس  
أحدى الراحتين..

وإن لحياة الإنسان لرحر بأولئك الذين سمون بحوب لحصلهم من ماعينهم.  
إن مجرد هذه الرفرة التي يطلقها اليأس تحت ضربات الرمي وصراوة العيش، لا  
يقبلها الرسول ﷺ، بل هو يرفضها ويدحضها؛ لأنها تصعب التعاؤل.  
وصعب التعاؤل عند الرسول ﷺ يعني صعب الإيمان بالله، وصحالة الثقة في نفسه.  
وهنا نسمعه عليه السلام يقول:

"لا يتمني أحدكم الموت.. إنما محباً، فله يرداد وإما مسيئاً فله  
يستعنت.."

مطو رابع ١١

إن الإنسان في حياته كلها يس قوز يطمع منه في مزيد.. أو إخفاق يرجو أن يجاوزه ويتفوق عليه.

من أجل ذلك، لا يرى الرسول ﷺ مبرراً لليأس.

وفيم ييأس الإنسان..؟؟

وفيم يتمنى الخلاص من الحياة..؟؟

إنه إما أن يكون محصاً، فالحياة فرصة ليرداد إحساناً

وإما أن يكون مبيثاً، فالحياة فرصة له وم صفعه ويخول مسانه إلى حسابه.

ولنصنع لهذا الحديث أيضاً:

"لا يحسن أحدكم الموت لصر أصابه، فإن كان لا بد فاعلاً، فليقل اللهم

أحسني ما كاتب الحياة خيراً لي وبوقتي إذا كاتب الوقاه خيراً لي"

، به حسن يسبد اليأس بالإنسان ويعليه على أمر، يرده عليه السلام إلى من بيده

المقاليد ورليه المعصير.

، به بقاء على مصره لتعاؤل وحيويته يصول لمن عمى عليه اليأس اسبيل، وإن

لحياة والموت بيد الله . فدعه أن يحار لك منهما أسعد ميقات..!!

\* \* \*

والرسول بما معه من بصيره، يبعد دوماً إلى أعمق القضايا والمشكلات.

فهو يور بصيرنه يدرك العلاقة الوثقى بين اليأس والطمع..

أجل، إن الذين لا يعرفون الاعتدال وهم يحددون مطالبهم من الدب، يعيشون في

هم مقيم..

وهمومهم تلك، تفودهم إلى اليأس والصياغ.

وإن أكثر لناس قدره على التهلل والتعاؤل. هم أكثرهم قدرة على المناعة، وعلى

الاعتدال فيما يطلبونه.

أولئك هم السعداء حقاً.

وما أعذب وأصدق محمداً وهو يقول.

"من أصبح منكم آمناً في سربه معدي في حسده. عنده قوت يومه، فكأنما

حيرت له الدنيا بعدا فيرها.."

، الذي يعبنا في عبارة "عنده قوت يومه" هو مدلولها الصمى، لا الحرفى.

والرسول لا يهين الناس عن الأذحر المسروع، بل هو يدعوهم أن يحدوا من غناهم لغيرهم.

وإنما نعى هذه العبارة مثلاً يضرب للقبعة التي يجب أن يسري بها الناس وهم يخوضون غمار الحياة.

والشراء لرائد عن الحاجة ليس سبلاً إلى السعادة بعدد ما هو طريق إلى الشقاء.

يقول عليه السلام:

"تبسَّ عبْدُ الدرهم والدينار."

وإن تحديد مطالبنا في الحاضر، وعدم التوسُّع فيه توسُّعاً بحليه الشره والطمع،

له خير طريق لكي نربح أنفسنا، ونريح الحياة.

وعسى لبس أنعى للتعاؤل وأصون للعبطة والسكينة من غنى المال.

"لبس العني عن كثرة العرض"

"ولكن العني عني الفقر"

هكذا يقول الرسول:

ويقول أيضاً:

"إن هذا المال خضيرٌ خلو"

"فمن أخذه بسخاوه نفس، يورث له فيه.."

"ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه.."

"وكان كالذي يأكل ولا يشبع.."

بمعنى "سحاوة نفس"، القناعة والاعتدال وبدد الهباء.

ومعنى "إشراف نفس"، التهالك والطمع.

وفي هذا الحديث يرفع الرسول من قدر المال إذا توسَّست إليه بأنفس مترفعة

مطمئنة.

ويحذر من شره، إذا أساقب وراءه الأمان لاهتة، طامعة، مسعورة..

\* \* \*

إن الربط بين الترفع عن الطمع، والتعاؤل لكشف عن جوهر التعاؤل وحقيقتها.

فحقيقة التعاؤل أنه الحالة التي لا تقع فيها النفس تحت ثقل لفرع ووطأته.

وقد فرغ الإنسان من عدو مرير - بيد أن العدو محمى من حذنه يوماً

وفد يصرع من مرض معص - بيد أن المرض يوماً سيرول.  
 أما حين يكون دواعي الصرع مقعده فى نفسه لا طارئة عليها .  
 حين نصير جرماً من ذات نفسه، فهذا هو الصرع لدى روح النفس بحب وطأه ثم  
 ترزح، حتى تفقد كل أمل فى التفاؤل والعبرة.  
 وإن الطمع ليصنع ذلك كله.  
 إن اطمع قدر الرذائل جميعاً على تحويل طاقه الإنسان إلى "عدد نفسه" .  
 هذا التعبير تفرز على الدوام مزيداً من الطمع..  
 وتقرر بالتالى مزيداً من الكآبة، والناس، والصرع  
 إن الطمع والتعلق ثواباً  
 ولا يذهب الطمع إلى نفس، لا ويقول له انقلو حدى معك..  
 ولطامع لا يريح لحاء ولا يحياها، إنما يحسرها ويعاينها.  
 من أجل هذا عرف "ابن عبد الله" العظيم كيف يؤمن التماؤل ويحميه حين كشف  
 عن الطمع كافة مهلكة، وخصم وبيل.

\* \* \*

و لرسول - عبه سلام - لا يكتمى بـ إعطاء التماؤل مصمومه الحق. وفيمة الكبرى  
 على النحو الذى رأينا فحسب.  
 بن به لجنبه فى كل مظهره وأشكله حتى اليسير منها والمألوف. فهو مثلاً -  
 يحب التيامن ويوصى به.  
 يقول

"بدأوا بـيامكم"

وتقول عائشة رضى الله عنها:

"كان رسول الله ﷺ يحب التيامن فى شأنه كله.."

وهو أيضاً، يحب لأسماء الحسة التى بوحي بالبشر، ويشجع على التسمي بها  
 وهو يهى الناس عن انطير والتشاؤم ويوصيهم إذا خرج أحدهم من داره فرأى، أو  
 سمع ما يكره ألا يسسم لشاؤمه ويصرف عن عزمه بل عليه أن يمضى قدماً وأن يهرم  
 هوأجس نفسه وتشاؤمه بهذا الدعاء.

"اللهم لا طير إلا طيرك.

"ولا خير إلا خيرك.

"ولا إله غيرك.

"اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت.

ولا يذهب بالسيفات إلا أنت.

\* \* \*

ويمثل التعاؤل عند الرسول قوة من قوى المجمع، يجب سعيها ورباؤها.

ولا يسعى سلب لأمن سكينتها، وتعاؤلها، حتى لو يكون ذلك في سبيل ترويضها على الفصيلة والحير.

ذلك أن الخير لا يأتي به الشر.

وإن عراء النفس بالتشاؤم لشر نفسي إلى شرور.

من أجل هذا يقول الرسول ﷺ:

"إذا رأيت الرجل يقول: هلك الناس، فهو أهلكهم"

ن. لوعاظ والمصلحين، هم أحق الناس بتدبير هذا الحديث.

فهم من كثرة ما يتحدثون، وأيضاً من طول ما يعانون، يحلو لهم أن يقولوا: فسد الناس.

بيد أن إصدار الأحكام الناس على الناس بهذا الأسلوب قد يصلح أن يكون ثاراً من العش، ولكنه عند الرسول ليس الأسلوب العويم في هداية الناس ويحث قوهم نفسه نحو الهدف الصالح، فربما كان أم بعداً

وذلك لأن النفس تحيا بالتعاؤل وبث الأمل.

وهنا يقول الرسول:

"بشروا، ولا تنفروا".

ويقول:

"من لا يرحم الناس، لا يرحمه الله".

إن لرسول عليه السلام إد بومى بالتعاؤل، وإذ يوضح لنا مفهومه وحقيقته على النحو الذي رأينا.

به ، إذ يفعل ذلك ليركبا معهم العلاقة الوثقى بين الحياه الصالحه والحقه ،  
والتعاؤل ، المتاهل .  
ذلك أن الحياه تلمس على الناس مسئوليات لا تنتهى ، وبجانبهم بالكثير من  
لمواقف و ، لمصاعب والمشكلات .  
وما لم يكونوا مسحين دوماً بروح العطية ودك ، العلب ، وبهلل النفس ، فرب  
الصعوبات تقهرهم من أول الطريق .  
والإنسان - كما يراه الرسول - لم يخلق للهيمه ، إنما خلق للصور الممثل فى  
بمجاز الدور الذى من أجله برأه الله .  
ومن ثم أعطى لرسول فضيلة التعاؤل ، بل ضرورة التعاؤل كل هذا الحظ من  
لاهتمام .

\* \* \*

ومن بين فضائل الحياه ، وقف الرسول طويلاً عند هذه الفصيله :  
الرحمة .  
إن لرحمة من فضائل الحياه ، بل من قيمها التى أفدها الاستعمال اللغزى كثيراً  
من معناه الحق .  
فالرحمة اليوم كثيراً ما تعنى عند الناس مجرد موقف يعنى يتسم بالأريحيه التى  
تصدق بها على الآخرين .  
هى موقف رثاء لآلام الناس ، أو موقف عوف لهم . بيد أنه فى كلتا الحالين نوع من  
أنوع التصديق والتفضل .  
لكن الرحمة . عند رسول الله لها مفهوم آخر ، هو مفهومها الحق العظيم  
- فهى صريبه الوجود ، للإنسان وأولى بعائه ، والذى لا يعطيه لا يستحقه  
يقول عليه السلام  
"مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يَرْحَمُ"  
"لَا يَرْحَمُ اللَّهُ ، مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ"  
- وهى آية التكامل الإنسانى أيضاً .  
يقول عليه السلام :

"لا تُنزع الرحمة إلا من شقى".

- وهي - ثالثا - عَصَبُ التكافل الإنساني.

مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وباطنهم مثل لجسد، إذا شكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

هذه هي الرحمة عند الرسول:

ضريبة الوجود..

وآية التكامل..

وحقُّ التكافل..

\* \* \*

إن الرشد الإنساني لا يفصح عن نفسه بسمه ما، مثلما يفصح عن نفسه بالرحمة.

والرحمة فوه نفسه لا يملكها إلا أهل العزم العظيم.

وإن من اليسير على أي امرئ أن يكون قسداً؛ لأن القسوة رفير العز، ترفره في غير مكلف أو مشقة.

لكن ليس كل إنسان قادراً على أن يكون رحماً؛ أي أن يكون لرحمة طابع حيته، وجوهر علاقاته.

ذلك أن الرحمة بمفهومها الذي أسلمناه تتطلب من قوة العزم وعظمة الروح ما يجعل صونها العاقل لودود أعلى ريباً وأبعد حُكماً.

ولقد كان الرسول يعلم الناس هذه الحقيقة ويجعل الرحمة عصراً مُسيطرًا في كل شيء..

حتى البعد والتكليف - لا بد أن يُمارسها الناس في رحمة.

حتى قواعد الحياة وفرائدها لا بد أن تؤخى الرحمة في وضعها وسعيها.

يقول عليه السلام:

"إن أعظم المسلمين في المسلمين جرماً؛ من سأل عن شيء لم يكن محرمًا عليهم، فحرمته بسبب مسأله".

إلى هذا المدى، كان الرسول يكره أن يتسع حول الناس دائرة التحريم والمحظور، فتصو بسبب ذلك دائرة حرمتهم الحرة واختيارهم الحر، فتعظم المشقة، وتتضاءل الرحمة..!!

ولقد كان الرسول يؤكد هذا المعنى لأصحابه، فيقول:

"بما يُعْشَمُ ميسرين، ولم يُعْثُوا مُعْسرين"

وكان قد أرسل ولداً على قوم رؤده يهده، لوصيه العطفة:

"بشروا، ولا تنفروا"

"وبشروا، ولا تُعْسروا".

وإنه عليه السلام يقول:

"من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة.

"ومن يسر على معسر في الدنيا، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة.

ومن ستر على مسلم في الدنيا، ستر الله عليه في الدنيا والآخرة.

والله في عون العبد، ما دام العبد في عون أخيه

\* \* \*

ولأن الرحمة مسئولية، لا نافذة.. وواجب، لا صدقة..

فوق.. لأنها، كذلك، فإن الرسول لم ينظر إليها كصدقة مُبادلة بين اثنين.. ولا

كموثة دافئة يبدلها بقرص لقرص، و تصديق لصدق لا عبر

لا.. بل هي حق الناس كافة. وواجب الناس كافة الجميع يبدلونها، و لجمع

يأبونها.

يقول عليه الصلاة والسلام:

"لن تؤمنوا حتى تراحموا.

قالوا يا رسول الله: كلنا رحيم

قال: إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه.. ولكنها رحمة العامة" !!

\* \* \*

هكذا الرحمة عنده.. لا تتحرراً، ولا تحسراً، بل تُبدل لكل الناس بدل السماح

ومرة أخرى نقول: إنها لا تُبدل كصدقة.. بل تُبدل كحق ومريضة.

"أعط الأجير أجره، قبل أن يجف عرقه".

هكذا قال الرسول.

وهو في الحديث البالغ يجعل الرحمة أكثر من واجب .

إنه يجعلها ضمير كل واجد . وضمير كل عذالة .

فإن كان الواجب والبذل يتطلبان إعطاء الأجير أجره؛ فإن الرحمة لى هى ضمير هذا الواجب وهذا العدل، تتطلب أن يكون العطاء فى أوانه حتى يكون سداً، ووفاءً، ونجدة .

أجل..

"قبل أن يجف عرقه"...

كذلك يقول عليه السلام وهو يتحدث عن حق نوع آخر من الأجر - أولئك الذين يعملون فى خدمة المنازل .

"إخوانكم خولكم جعلهم الله بحب أيديكم فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يطعم . وليلبسه مما يلبس . ولا تكلفه ما تكفه . فإن كلفه ما يعليه فليعه عليه"

فها أيضاً - إذا كان الواجب والعدل يتطلبان منك أن تطعم خادمك وتكسوه، فإن الرحمة التى هى ضمير هذا الواجب وذاك العدل تدعوك لأن تطعمه من نفس طعامك، ونسبه من مثل لباسك وكسائك، وأن تعنه على العمل إذا شق عليه العمل !! وعلى هذا النسق تعصى القاعدة على الدوام . قاعدة أن الرحمة يجب أن تكون ضمير كل عمل .. ضمير كل واجد . ضمير كل قانون .

فحتى فى العقوبات المشروعة التى لا يعطى الرسول نفسه حق التصرف فيها ، يهتف بالرحمة، ويجعلها ضمير القانون وضمير العدالة .

ها هو ذا عليه السلام يقول:

"أدروا الحدود بالشبهات"

ويقول، وما أهره حين يقول:

"إن الإمام إن يخطئ فى العقوبة، خير من أن يخطئ فى العقوبة"

ويقول عليه السلام:

"إن الله يعذب الدين يعذبون الناس فى الدنيا"

\* \* \*

عن الرحمة عند ابن عبد الله لست بافلة، ولا صده.  
 بما هي روح، لعدل، وريغ الحياه، وصمير الحق والواجب وإله - عليه الصلاة  
 والسلام - لبقدها ويقدر الرفق الذي هو مظهرها  
 فلنصغ إلى حديثه الوثوق:

"عن الله رفيق، يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على سواه"

ويقول:

"من يحرم الرفق؟ يحرم الخير كله".

ويقول - اللهم من ولي من أمر أمتي شئ شئ فشق عليهم، وشفق عليه.

ومن ولي من أمر أمتي شئاً فرفق بهم فارفق به".

عن الرسول عليه الصلاة والسلام، يريد من كل الناس أن يكونوا رُحماء

ذلك أنه يعلم ظروف العسيرة التي يعمل البشر داخلها، ويعلم أن في الحياه

لدى من الشواظ والألم ما لا يحتاج إلى فسوة تربده. بل إلى رحمه تكسر حدة الألم،  
 وتجعل الحياة محتلة وطنة.

وإذا كانت الرحمة عند الرسول لا تتجزأ بالنسبة للناس، فهي أيضاً لا تتجزأ

بالنسبة لمحبةها. وبالنسبة لكل ذى حق فيها..

ومن هم أصحاب الحق فيها..؟

إنهم عند الرسول لبسوا البشر وحدهم، بل وكل كائن حي.. الحيوان، والطر،

والهائم..

نظروا..

"دخلت امرأة النار في هرة حبستها، فلا هي أطعمها، ولا هي تركنها تأكل

من خشاش الأرض.."

ونظروا أيضاً هذا الحديث:

".. والشاة إن رحمتها، رحمتك الله..!!"

وبصير على الصلاة والسلام، بصيراً صامراً ومجهداً، فيقول لصحابه:

"أفلا تنقون الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟"

وحسب حين يذبح الناس الحيوان ليأكلوه، يجعل الرسول الرحمة واجباً وصميراً

وحنى حين بديع الناس الحيوان لأكلوه، يجعل الرسول الرحمة وحب وصغيراً  
فيقول:

"إذا ذبحتم، فأحسوا الذبح. وليحد أحدكم شمره. وليرح ذبحته"

\* \* \*

وبعد فإن الرسول ليُعطي التعبير النهائي لإجلاله الرحمة وتقديسه، بها، حين  
يجعلها عنوان الأوحاد لدوره كله ورسالته كلها.. بل وحين يجعلها جوهر هذا الدور،  
وهذه الرسالة فيقول عليه السلام:  
"إنما أنا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ..!!"

\* \* \*

ومن فصائل الحياة الجليلة حدثنا الرسول عن:  
- الوفاء..

وحين يتحدث "أبو عبد الله" عن الوفاء، فلا يُسبك به مثلٌ حبيب..!!  
إن أحاديثه - عليه السلام - عن الوفاء، كأحاديثه عن كل شيء تبدو وكأنها تُشكّل  
قانوناً، وترسمُ منهجاً..!!  
والوفاء في أحاديث الرسول حق، وواجب  
حق لك عند الآخرين..  
وواجب عليك تجاههم  
وإن الرسول عليه السلام لصنع يده على بطنه البدء الصحيح في واجب الوفاء  
وفصيحته.

تلك هي: الوفاء لأهلك ولعشيرتك الأقربين.  
فما نُسمّيه "بر الوالدين" و"صلة الرحم" ليس إلا أوليات الوفاء، وبدء مسيره  
وعمله، فإذا كان الوفاء يمتدّ حفظ حقوق الصُّحبة والعشرة وإجلال ذكراهما دوماً، فأُتية  
صُحبة أحق بالرعاية، وإحلال من صُحبة الوالدة والوالد..؟؟  
إن الرسول يتحدث عن هذه البداية، حين جاءه سائل يسأله عن أحق الناس بحُسن  
صحبته، فإذا هو يجيب قائلاً:

"أمك.. ثم أمك.. ثم أبوك.. ثم أهلك، فأهلك"

ويجيب سائلاً آخر فيقول:

" . أمك، وأبوك.

وأختك، وأخوك

ومولات - أي قريبك - الذي يلي ذلك.. حق واجب، ورحم موصولة.

ولأن لودء جوهر بر الوالدين، نجد الرسول يصنع على رأس الهرم كله، حفاظ

الإنسان بالمودة الدافئة لكر ذكرى يحمل غيرها.

"إن أهر البر، صلة الولد أهل وذأيه.."

ولقد جاءه رجل ذات يوم يسأله:

- يا رسول الله، هل يعنى من بر أبوى شىء أبرهما به بعد موتهما؟؟

فأجبه الرسول:

"نعم، الصلاة عليهما والاستعمار لهما، ونهاد عهدهما من بعدهما..

وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما. وإكرام صديقهما"

وفى تعالم الرسول وأحاديثه برى الوفاء للوالدين يكاد يرحم الولاء لأكثر فروع

الدين وأركانه..

فد ب يوم ذهب شاب إلى الرسول، حث حرى بينهما هذا الحوار العظم:

قال الفتى:

"يا رسول الله، أب يعنى عسى الهجرة والجهد أبعنى الأجر من الله تعالى.

"فقال الرسول: هل من والدك، أحد..؟؟

قائه نعم كلاهما..

"قال الرسول: وتبعنى الأجر من الله تعالى..؟؟

قائه نعم..

"فأب الرسول: فارجع إلى والدك، فأحسن صحبتهما."

\* \* \*

ويسى الوالدين فى حق الودء، الأقارب، والحران.. فالوفاء للرحم عند رسول

شرط الإيمان..

"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليصل رحمه"

ولم كان الناس قد يهربون من صلة الرحم مخافة تكاليفها المادية، فقد أباهم

الرسول أن يخافهم تلك باطله وأن صله رحم لا تفقر صاحبها، بل هي باب من أبواب الرزق، وسبب من أسباب النجاة والخير.  
 "من أحب أن يسط له في رزقه ويسأله في عمره فليصل رحمه"  
 ووفاء كل من لزوجين لصاحبه، له عند الرسول مكانة وقداسته.  
 ولا مسمى هالك لوفاء هذين اللذين امتزجت حياتهما، وصار كمن واحد..  
 يقول عليه السلام:

"لو كتب امرأ أحدًا أن يسجد لأحد، لأمرت الزوجين أن تسجد لزوجها"!!

ويوصي الأرواح بمثل ذلك فيقول:  
 "استوصوا بالنساء خيرا، فإنهن عوان عندكم" ..

\* \* \*

ويشتمل حق الوفاء بعد هذا للجوار..  
 وهدم الرسول بحق الجوار والوفاء للجار بضرورة إدراكه لا ريب.. عنه اسلام..  
 لمحوى العلاقات الإنسانية وحقوقها.  
 محاربه هو أقرب الناس إليك، ومن ثم فإن عسك قريبه من دحائله وأسره.. من مشاكلك وآلامه..

فمحمود حقوقه عليك، وأنت نصيحة وبمسه يعني أنك ستكون أكثر حدودا بحقوق الآخرين الذين لا يقومون منك بهذا القرب ولا يرسطون بك هذا الإرباط ..  
 وأهم حقوق الوفاء للجار، ألا يأسه من جاره مائة، أو محاربه أو مكروه.  
 وإن الرسول عليه السلام لحمل هذا الحق نواصم الإيمان، فيقول:

والله لا يؤمن .

والله لا يؤمن..

والله لا يؤمن..

قبل من، يا رسول الله ؟

"قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه.

كذلك يدعو الرسول إلى أن تكون الحسى والمودة سبل لتعامل بين

لجارك وجاره.

"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليحسن إلى جاره"

ويقول عليه السلام:

"خير الأصحاب عند الله، خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله، خيرهم لجاره" ..

ونعمد ذراعا الوفاء، حتى يؤدبا الحبة لكل ذي يد ومعروف.  
يقول عليه السلام:

"من أسدى إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما يكافئونه به، فادعوا الله له" ..

وللودعاء الطبيب من ذوى الممارل والمكانة حقهم من الوفاء و لتوقير .

"ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا" ..

كما يقول عليه السلام:

"أنزلوا الناس منازلهم" ..

و لوفء للأصدءء بمثل هى تعالم الرسول، وهى ملكه مكانا علنا.

و لوفء للصداقة يعنى عند الرسول شىئا أعظم من المجاملة ..

به حمل كل مسئوليات الصعبة فى غبطة وأمانة ..

"أنصر أخاك ظالما، أو مظلوما ..

"قبل أنصره مظلوما .. فكيف أنصره ظالما ..؟؟"

"قال: تحجره عن الظلم، فإن ذلك نصره" ..

إن لوفء للصديق يعنى عند رسول الله الارتفاع بمستوى الصداقة إلى دروة

كمالها لميسور، وجعلها على الدوام علاقة طاهرة ونظيفة .. وذلك بالتصريح لأمين.

"إن أحدكم مرآة أخيه .. فإن رأى به أدى، فليمطه عنه" ..

إن وفء الصديق لصديقه يعنى فى تعالم الرسول ألا يسلمه، أو يظلمه، أو يحدله،

أو يكذبه.

وبعبارة واحدة قالها الرسول:

"لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" .

لكن إجلال الرسول للوفاء، وإجلاله لصداقة دفعه إلى التحوط في اختيار الصديق.

إن وءء لقاتل لقاتل مثله، لى يكون له من ثمرة لا زيادة عدد صحبه هم ووءء لص للص مثله، أو عاش لعاش مثله، أو مرشش لمرشش مثله، لى يثمر، لا مزيدا من الإثم والسوء.

وءءء مثل هذا، لا يلوث فصيلة الوءء فحسب بل ويلحق بحقوق لناس وأمههم الأذى والروع.

من أجل ذلك، يتحوط الرسول فى اختيار الأصدقاء حتى إذا التقى ثمان على حب ووفاء، كان فى لقاتهما الحير، لعمسهما وللناس يقول عليه السلام.

"لرجل على دين حيله، فسظر أحدكم من محال"

إن صديقك، هو الامتداد الطبيعى لك، ومرة الصداقه أسها يعوصك عن طريق الصديق، العزايا التى تنقصك.

فإذا اختر أحد أصدقاءه من بين الوصوليين، والمناقصين، والكذابين، والحونة، والمرششين..

إذا، اختار أصدقاءه من بين الدين لا يرون الحاء إلا سيجارا وكأس ولا مكررا وغدرا.. ولا نعمة وأمانة. فإنه بذلك يعرض حياته لأفدح خسرا ن يعيق بها.. وكل وفاء يشد هذه الصداقات بعضها إلى بعض لا يره الرسول إلا بحرب لفصيله الوفاء ذاتها، وإلا تعاونوا على الإثم والعدوان.

ورب الرسول عليه السلام ليصرب مثلا لكلا الفريقين، الفريق الجديد بالصحة، والوءء. والفريق الذى ليس له فى الصحة ولا فى الوءء نصيب، فيقول:

إما مثل العليس الصالح، والجلس السوء كحامل المسك، وبافح الكير.

"حامل المسك إما أن يحذيك - أى يعطك - وإما أن يباع منه.

وإما أن تجد ريحا طيبة..

وبافح الكير إما أن يحرق ثابك. وإما أن يبعد منه ريح خبيثة"

ويزيد الرسول هذا المعنى وصوحا وحسما إذ يقوله

"من أعان ظالما سلط عليه".

وانصداقة عون، والوفاء لها عون وأي عون.

من أجل ذلك حرص الرسول وهو يتحدث عن الوفاء، وعن الصداقة أن يحذرننا من سوء الاختيار حين نتعامل أو نسيء اصطفااء لأصدقاء.

\* \* \*

ولا يقف الوفاء في منهاج الرسول عند هذه الدوائر وحدها، بل إنه لسداح، ويتراحم حتى يسع الناس جميعا.

فالوفاء الحق، هو الذي يبذل نفسه لكل الناس.

فهذه الصعوف الهائلة من مواطنك، ثم من البشر جميعا، إنما يعملون من أحسن الأشياء كثرة، ويسدون إليك مفاع شتى فلا بد أن تكون وفي لكل الناس من يعرف، ومن لا يعرف.

ووفؤك للناس يعني أن تؤدي دورك في الحياة في أمانة وصدق حتى تكون نافعا لهم جميعا.

- إن جمع الناس إحوة.

- وكل فرد مطالب بأن يرجو للأخرين ما يرجوه لنفسه من خير.

هذه بريجار هي قصة الوفاء للبشر لدى الرسول وفي تعاليمه.

فهو عليه السلام يقول - أولا:

"كونوا عباد الله إخوانا".

ثم يرسم - ثب حق هذا الإحاء هي قوله.

"لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".

\* \* \*

ولآن سنفل إلى فضيلة أخرى من أجل فضائل الحياة. تلك هي

- الأمانة

إن أحاديث الرسول عن الأمانة لكثيرة.

وإنها تصور في توميق عظيم المكانة الجليلة للأمانة، والدور العظيم، الذي يؤديه في

تماسك الحياة الإنسانية وترشيد الجنس البشري.

وعندما يتحدث الرسول عن الأمانة لا يتحدث عنها كمجرد فضيلة بل يمدو في

تعاليمه وكأنها جواهر العطرة الإنسانية كلها.

اقرأوا هذا الحديث:

"إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة.."

فبيل أن يجيء للناس رب لا يهدي من ربهم كان معهم الجوهر في قلوبهم. كان معهم الأمانة..

ومعنى أن الأمانة في جذر القلوب أنها كم ذكرنا جواهر العطرة، فزاد صعب الأمانة من أحد، فقد ضاعت منه فطرته.. وأدميته..

أي قدس للأمانة أبلغ من هذا القدس. ١١٩٤

ورسول الله لا يتحدث عن الأمانة ذلك الحديث، لغير السريع الذي يصورها في

صورها العادية كحفظ الوادئع مثلا..

كلا.. إنه ليراهم عماد الأمر كله. أمر الحياء والأحياء وإنه ليتحدث عنها في

شمول فطن عظيم.

فكل مسئولية أمانة.

والمسئوليات من أعلاها إلى أدناها ليست سوى مسئوليات مكررة للأمانة.. من

أجل ذلك، فالرسول عليه السلام وهو يتحدث عن الأمانة، إنما يتحدث عن مسئوليات الحياة كلها، والأحياء جميعا.

وإن أحاديثه الكريمة السديدة لسلسل في الأمر بها والحسن عليها من بدء

مستوياتها إلى منتهائها

انظروا..

"إذا حدث الرجل أخاه بحديث ثم التفت، فهو أمانة.."

إن الثقة الذي يتحدث مع آخر، سبب عن رغبته في ألا يكون هناك ثاثة يسمع

حديثه.

من مجرد هذه الرغبة، واللمحة العابرة، تجعل الحديث عند الرسول ﷺ أمانة يجب

أن تصان وتحفظ.

وانظروا أيضا

"إن من أعظم الحسان عند الله يوم المصامة.. الرجل يقص إلى امرأته،

والمرأه تُفضى إلى زوجها، ثم ينشر أحدهما سر صاحبه !  
 وحفظات استجوى بين الرجل ووجهه، لها كل هذه الحرمه حرمه الأمانة، وحق  
 لأمانة

على هذا لسوق يتبع الاحديث المباركه مستويات الأمانة كلها حتى يصل بنا  
 إلى أمانة المال، وأمانة الحكم.  
 أما المال، فالأمانة فيه أن يؤخذ طيباً حلالاً، في غير خيانة أو إثم.  
 "إن الله طيب، لا يقبل إلا طيباً".

وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال:  
 ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِلَىٰ مِمَّا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۖ ﴾  
 "وول. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ ثم ذكر الرجل  
 طيب لغيره، أشعث أعبر نمد مدته إلى السماء! يا رب، يا رب، ومطعمه  
 حرم، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وعدى بالحرام، فأني يستحب له " ٢٩  
 وسأله سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن يدعو الله له لكون مستجاب الدعوه،  
 فيجبه الرسول:  
 "يا سعد..

أطيب مطعمك، تكن مستجاب الدعوة".

\* \* \*

وإن كل الدين تدور أيديهم في اقتصاديات الناس وأموالهم لتعظم مسئوليتهم عن  
 الأمانة.

ولنحذر دوو مسئوليه كبيرة يرفعهم أداؤها إلى درجات عاليه  
 "أنت جر الصدوق الأمين مع البس، والصدقيس، والشهداء،  
 والصالحين".

وأي غشى يفتقره، لناجر، يلقي به بعداً من صفوف المؤمنين.  
 "مَنْ غَشَّنَا، فَلَيْسَ مِنَّا".

وأما الدين يصلهم بأموال البس وظفه ومصب، فإن مسئوليتهم عن الأمانة فوق  
 كل وصف.

إن الذي يرى الرسول وهو يواجه خيانه من مال الأمانة أو معه في إهاقه، ليرى أمراً عجباً..

فهذا الرسول الرحيم العظيم الذي طالمت الشمس المعذرة ورحب رحمه الله للحط نبي.. يقف أمام الحياه، وكأنه لا حيله له أبداً - ولأول مره يراه يحجل أن يسأل الله المعفرة لآثم - ذلك لأن الآثم هذه المره، حائس.. حان مال الأمانه، وهو

عند الله إثم مبین

لنقرأ هذا النبأ:

أهدى رفاعه بن زيد للرسول خادماً..

وفي غروة وادي القرى أصابه سهم وهو يحط رحل رسول الله ﷺ.

فأقبل الصحابة على الرسول يعزونه، ويقولون عنا له يا رسول الله، لقد ذهب شهيداً.

فأجابهم الرسول قاتلاً

وم يدريكم؟ إن الشملة التي أحدهم من المعاصم يوم خسر، لشعن عليه

باراً!!

شملة ٩٩٠

شملة ساوى درهمين، أو حتى يصعه دراهم، يطرد إثمها صاحبها حتى بعد أن مات

شهيداً.. وبين يدي رسول الله..

، نه لولاء للأمانة ليس له نظير..!!

\* \* \*

إن كل قرش يناله موظف حلسة أو جهره دون أن يؤد له في أحده بحق، فهو غلول

وخبثه.

وفي هذا يقول الرسول:

"من استعملناه على عمل، فرزناه رزقاً.. فما أخذ بعد ذلك فهو غلول"!!

إن الرابطة بين الوظيفة والأمانة تبلغ في تعاليم الرسول وشريعته مبلغاً من التقديس

عجيب..

فهو - مثلاً - يرفض رفضاً مطلقاً أن يقبل لموظف مدينه - مهم يكن - جراء عمل

أداء يدخل في نطاق واجبات وظيفته.

إن هذا مفتوح باب حلقا للحبوة والتعريف في الحقوق العامة

وقف عنه السلام خطيبا ذات يوم فقال:

"أما بعد

فربي أستعمل الرجل منكم على العمل معي ولاسي الله، فيأتي يقول: هذا

لكم.. وهذا أهدي إلي.."

"أفلا جلس في بيت أبيه حتى تاتيه هديته إن كان صادقاً؟"

"والله لا يأخذ أحد منكم شئنا بعمر حمه، لا لقي الله بحمله يوم القيامة.

"اللهم هل بلغت..!!"

\* \* \*

وعن "أمانة الحكم، تحدث الرسول باهتمام عظيم، وألقى بعلمه الهادية إلى

الحكم، والولاية، والقصد، وإلى كل من يحمل مسئولية ذات دل في الأمة

فهذا الحكم بكل ألوانه أمانة عظمى.

يقول عليه السلام عن الولاية:

"بها أمانة. وإني يوم القيامة حزى وبداية، أحدث بحمها، وأدى الذي

عليه فيها."

- ولأن الحكم مسئولية وأمانة، فإن الرسول عليه السلام لم يكن يطمئن إلى لذي

بها لكون عليه.

وإنه ليضع في هذا مبدأ يقول:

"إيا والله لا تولي هذا الأمر أحدا سأل، أو أحدا يحرص عليه"

ويوصي عبد الرحمن بن سعرة قائلا:

"ب عبد الرحمن لا سأل الإمارة فليث إن أوسيتها عن مسألة وكنت ليها.

"وإن أعطيتها من غير مسألة، أعنت عليها."

- ونحقيق أمانة الحكم نفسها عند رسول الله يتحرى القسط والمعدلة.

"إن المقسطين عند الله على ماير من نور عن يمين الرحمن.. وكلب يديه

يمين.. الذين يعدلون في حكمهم وماولوا."

- كقولك بحق نفسها بالثقة ويالحب امتيادليل بين الناس وحكم مهم.  
"خبر أئمتكم الذين يحبونهم ويحبونكم، وفضلون عليهم ويصلون عليكم"  
- واحسار احدكم أعوانه من بين الذين يخلصون للحق، شرط محتوم لتحقيق أمانة الحكم.

وهنا يقول الرسول:

"إذا أراد الله بالأمير خيرا، جعل له وزير صدق؛

إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه.

"وإذا أراد الله به غير ذلك، جعل له وزير سوء

إن نسي لم يذكره، وإن ذكر لم يعنه."

ومعنى أمانة الحكم عند رسول الله ﷺ الإخلاص الكامل للناس، وبحري الصواب  
المحصى في كل ما يتصل بمصالحهم.  
وهنا يقول الرسول محدرا:

"ما من عبد يسرعه الله رعة، يموت يوم يموت، وهو غاش لرعيه إلا حرم  
الله عليه الجنة."

ويقول أيضا:

"ما من أمي أحد ولي من أمر الناس شئاً لم يحفظهم بما يحفظ به نفسه  
إلا لم يجد رائحة الجنة."

- وتتطلب أمانة الحكم عند الرسول نزاهة مطلقة.

"لعن الله الراش والمرثى في الحكم."

ويقول:

"من استعملناه على عمل فكتمنا محيطه فما فوقه  
"كان غلولا يأتي به يوم القيامة".

- وتتطلب أمانة الحكم عملا دائما لخير الناس ونبذة مسخرة بحقوقهم، وأبوابا

مفتوحة لآلامهم وآمالهم.

يقول عليه السلام:

"ما من إمام يعلو به دون دوى الحاحه والخله والمكة إلا 'عسى الله  
 أبواب السماء دون خلته، وحاجته ومبكتته".  
 - وتتطلب قبل هذا وبعد هذا، الرفق والأناة  
 ولقد ابتهل الرسول كثيرا إلى ربه راحا رحمه وبوقمه لكل دى حكم رقيق - فعد  
 عليه السلام:  
 "اللهم من ولي من أمر أمتي شئ فرفق بهم فاروق به"

وبعد..

فهكذا يحدث الرسول عن فضائل الحبة، وإيا لتسميها فضائل بحور في البحر  
 أم هي، فأكثر من فضائل. إنها قيم الصمير الإنساني وقوسه وواضح أن لم  
 نتحدث عنها جميعا بل جئنا بسمودح يومئ إلى نقيه نقت الفضائل، ويدل عليها



The first part of the paper discusses the importance of understanding the cultural context of the research. It highlights the need for researchers to be sensitive to the values and beliefs of the communities they are studying. This is particularly important in the field of education, where cultural differences can significantly impact learning outcomes. The paper then moves on to discuss the challenges of conducting research in diverse cultural settings. It notes that researchers often face difficulties in establishing rapport with participants and in interpreting their responses. To address these challenges, the paper suggests several strategies, including the use of local researchers and the development of culturally appropriate research instruments. The final part of the paper discusses the importance of ethical considerations in cross-cultural research. It emphasizes the need for researchers to obtain informed consent from participants and to ensure that their research does not cause harm or exploitation. The paper concludes by noting that while cross-cultural research presents many challenges, it is also a valuable way to gain a deeper understanding of the world and to develop more effective educational practices.

## الفصل الخامس

[ عن العلاقات العلوية ]

الإنسان، وربه...



يقوم علاقة ، لإنسان بريه على رأس المهام التي من أجلها جاء الأنبياء والمرسلون، وفي سبيل تبيانها وإجلالها كرسوا حياتهم أجمعين - عليهم صلاة الله وسلامه. وقد كان الرسول "محمد" ﷺ الحاتم لمسيره إخوانه المباركين، و لملقى آخر كعنايات الوحي إلى البشر، فقد راح يعطى اهتمامه العميقه و براسحه لتلك لعلاقة الروحانية و لسوكنية التي تصل لإنسان بريه الكبير المعدل، والتي ترفع بدوره مستوى انجده الإنسانية. بي 'على مستويات الكمال لمسور لى الإنسان. وبعد كان آدم لرسول ﷺ طريقة واحدة لإنشاء هذه العلاقة - تلك لى علمه إياها لقرآن الحكيم.

﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَهُوَ يُعْزِزَ عِدَّتَكُمْ وَيُكْمِلْ لَكُمْ دِينَكُمْ وَلَا تَخَافُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

فإسلام الوجه إلى الله سبحانه في إحسان لطاعته وعبادته، وهو جوهر لعلاقة العبودية و لروحة النى تصل العد بريه، والتي تجعل منه "رَبًّا" له عند الله منزلة ومقام ولكن، لكي يسلم الإنسان وجهه إلى الله، ويسعى إليه بالعمل الصالح و لحياة الطيبة، لا بد - أولاً وبداية - أن يكون قد عرفه، وآمن به. إن أولى سمات وجودك، أن تؤمن بالله الذي منحك هذا الوجود وحيى يؤمن به الإيمان لصحيح لصادق، فبمتصك هذا الإيمان أن تعبد ويطيعه

فطرة الله . وبكى يعرف الله  
"ستف فلن"

"جن" فى أعماق كل فرد إنسانى نفس كامن وكمل بوجود الله يقول عنه

لسلام:

"كل فرد مولود يُولدُ على الفطرة"  
 مشيراً إلى قول الله سبحانه في قرآنه الكريم:  
 ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾.

لن لا المسلمون، ولا اليهود، ولا النصارى بل الناس جميعاً الناس معهم فطره الله، وفي أعماقهم المستسرة برهان وجوده وآية ألوهيته ووحديته، وإدراك تراكم فوق هذه الفطرة الصدا، وظلام نفوساً وأعمالاً، فيها رغم ذلك كمية هائلة، وتعبير عن نفسها بشي الرؤى والمشاهد والتجارب، بيداً أما عنها من لغزيب..  
 إن لرسول عليه الصلاة والسلام يبدأ معنا بدعوى إلى نفس العباد للصدا والظلام عن فطره الله الكونية في أعماقنا. ثم الإصغاء لجواها وصوتها. عندئذ سنجد لإيمان بالله، بل سنجد الله سبحانه ملء روعنا، وقلوبنا.

فد. ثم لنا ذلك، فسيكون علينا أن يؤمن برسالة وكنه لكى يعيش ونحيا في نور رسالته، وهدى كلماته. وسوف يحدث المرسلون عليهم صلاة الله وسلامه عن العيب لعظيم بكل ما يحصل به من استمرار سهر الألياب وحفاق تتحدى الجحود، وسيكون عند أن يؤمن بكل ذلك العيب، وسيكون هذا الإيمان محريراً لنا من عرونا. وفي نفس الوقت سيكون مساراً لإيمان بالله. وحادياً لأشواها إلى ما وراء عالم المظنور، ودباب المحدودة.

فالإيمان - كما تعلمنا الرسول ﷺ

"أن يؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وأن يؤمن بالقدر خيره وشره".

إن علاقة الإنسان بربه، تعقد وجودها إذا تكمن عن هذا الإيمان أو إذا آمن ببعضه وكفر ببعض.

\* \* \*

فأما عن الإيمان بالله، فما هو يحتاجه إلى دليل. إن كل ما في يداها الكون العظيم - من قصرة الماء إلى الشحوس والمجرات شاهدة على وجوده. هاتمة بالوحيه وكل ما في الآفاق، وما في أنفسنا دليل وبرهانه.

ويستدعي عن الله سبحانه، لأننا نريد أن نرى «وكانه واحد من الناس أو شيء من الأشياء»، تسع لرؤيته جديداً الصغيرة، ونلمسه حواس الكثرة .  
كذلك يعجز المرء عن أن يحاول التعرف إليه عن طريقها، لأنهم نفس السراهم  
التي تحاول أن يستدل بها على وجودهم، أو بغيره، أو حيزاً .  
لأنه لا يستطيع أن يرى الله جهره، كما يرى الأشياء لنفسه، وهذا من رحمته به  
يقول عليه السلام:

"حجاب النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره" ..

ولقد سئل عليه السلام:

"كف رأيت ذلك؟"

"فأجاب: نوراً أتى أراه" .

إن يعرفه - سبحانه - بأمار قدرته ورحمته التي لم يكن أحد عند وعي الإنسان نفسه .  
به بشرت مع الله في خلق السماوات والأرض والإنسان أجل - هو وحده الذي قال :  
﴿ أَنَا رَبُّكُمْ . فَاعْبُدُون ﴾

ومحاولة معرفته بنفس الأسلوب الذي يعرف به المخلوقات، سذاجة مضحكة .  
من أجل هذا يقول الرسول:

"مكروا في خلق الله، ولا تصكروا في الله، فتصنوا"

بهم . نحائر لصعير الذي سمي "العقل" عاجز عن فهم شيء كثيره بحفل به  
دنياً، بل عاجز حتى يوم عن معرفته أنه أو حصه شيء اكتشفه وخرعه كالقهر  
مثلاً، فأني له أن يعرف بوب الله لعاديه العاصرة من "ليس كمثله شيء وهو اسمع  
البصير" ..

"يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد"

هكذا يعلم الرسول عليه السلام . وإن الناس في كل عصر وجيل يؤمنون بأن  
أباهم واحد، فلماذا يستريب مستريبهم في أن لا رباً وأنه واحد ؟؟  
إن كل كشوف العلم تريد - حتى أصحابها العلماء أنفسهم - ابهاراً بالنظم  
لمدهل والحكمة المعجزة القاتنين وراء كل حركة ووراء كل دقة في هذا الكون  
العظيم .

و لإيمان بالله يعنى أنه قد قام "مثى" بين العبد وربه.

وهو هو د رسول الله عليه الصلاة والسلام تنو عثت بعض بيود هذا المشو:

"أحفظ الله، يحفظك."

"أحفظ الله، تجده تجاهك."

"تعرف إلى الله فى الرخاء، يعرفك فى الشدة."

"إذا سألت، فاسأل الله.."

"وإذا استعنت، فاستعن بالله.."

"واعلم أن العباد لو اجتمعوا على أن يعصوك، لم يعصوك إلا بشيء كتبه الله لك.."

"ولو اجتمعوا على أن يعصوك، لم يعصوك إلا بشيء كتبه الله عليك."

"جف الأفلام، وطويت الصحف.."

وهكذا يرى الإيمان فى حقيقته، فإذا هو "طاقة" حيارة لا يحلّى عن ملاكها والعضّ عليها بالواجب سوى تعنى ومخولها!

وسبأل من الذى لا يتمنى أن يملك هذه الطاقة ؟ وبالسالى، فمن الذى لا يمسى أن يبقى جسده المجهّد، وأثقله المعهظة على مرقأ الإيمان ؟

ولكى أيسر السبل إلى إذا به عنه العفل فى رحام الشكوك والصلاات ؟ ألا إن السبيل إليه ليسير، بل إنه لا يكاد يكون له سبل؛ لأنه معك، وإنه لأقرب من يدك ولسانك وبنائك.

من كل ما يطلب ما حتى نجد الإيمان ملء قلوب، هو أن نوظف فطرة الله فىنا.. لا أن نحدها أو نوحدها. فهى - كما قل من قبل - نويه فى أعماقنا، يقول عليه السلام، وهو يحدثنا عن الله عز وجل..

"إنى خلقت عبادى خفاء كلهم، فأسهم الشياطين فاجدهم على دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطاناً."

فأنت إذن حبيب مؤمناً بالله لو اُخذ الأُحد الذي لا شريك له ولا مثل  
فلماذا تنسى أنك مؤمن ؟

ولماذا تذهب في حيرة معينة، وعصية معصيةك لنبحث عن إيمان ؟ أو عن دليل  
يُمنى عليك الإيمان ؟ ولماذا يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض ؟ ويؤمن ببعض الرسل،  
ويكفر ببعض...؟؟

نجد نُشوة الإيمان الذي صبح الله كلاً ما فكر به وها تفهم ودليله ؟ ولماذا تتوهم  
عبابه عنك وإيمانه منك ؟ لسنا عليك سوى أن نحرك فطرتك وألا نطعمها بحسب سرب  
العمله وإعراض. وهذه آية صدق الإيمان وضروره وبقائيه. فهو لا يحتاج إلى معونة  
عملية ليدلك على وجود الله بل على العكس، يرى الله هو الذي يحتاج إلى ظهور من  
المعونة والتفكير، ثم لا يجد المسريون حيلة، ولا يهتدون سبيلاً !!

به في ذلك، وهو جزء من صميمك. تماماً مثل قلبك وكبدك ورنسك  
ولكن لأنه الجزء البشري فيه، فهو لا يُدرك ولا يعمل إلا بالهدى الروحانية  
أجل إِب محرد لعنه صادقه من الروح إلى العطره التي أودعها الله إِب كونه  
لتحجير طاقة الإيمان وإصاعة أنواره جميعاً..

وحين يؤمن بالله أعنى حس تآلق فطرتك بتورما أودعها الله. فاشد ستؤمن برسالة  
أندين صطهم ليهدونا إله وإلى ما يريد لنا من خير وصلاح.  
وستؤمن بملائكته. هذا العالم الحبل عبر المظور، والحافل بعبد الله مكرم،  
منهم من يحفظنا بأمر الله..

وستؤمن بكتب الله المنزلة لتصمى لنا الطريق..

وستؤمن بالقدر إيماناً يقول لك

"أحفظها، وتوكل".

لسنا على ظهر لأرض قوة مستطيع أن نحول بك وبس حير ما به الله إلبث. أو

ندفع عنك سوءاً، صنعته لنفسك وخلقى الله يبه وبيتك

وستؤمن بحلود الروح، وببعث بعد الموت، لأن رسل الله أخبرونا بذلك كله

صادقني ولأن البداهه ترى في ذلك تفسير حكمه الحق وحكمه لحداه  
وصديق القرآن إذ يقوله

﴿الذي عن الموت والحياء لينوككم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور﴾.

\* \* \*

لمرسلون. لقد حدثني لرسول "محمد" ﷺ عن لكب اسي سيعب، بقرآن، وعن  
الرسول ندين خيموا به. وضرب لمسيرهم الممل الحمل بقصر كبر رحيب وورق، قد  
اكتمل بدؤه إلا موضع لبه لم ياحد مكبها في الباء بعد، وبشكل فرعها ثعبره فيه، ثم  
يقول عليه السلام في بواضع عظيم:  
"فأنا تلك اللبنة". !!

من أجل هذا كان معنى اشراط الإيمان برئائه أن هذا الإيمان يتضمن - في نفس  
اللحظة ونفس السب - الإيمان بجمع إخوانه الذين سيعوه من لآبء والمرسلين..  
ولقد أمره القرآن الكريم أن يقول هو وأصحابه والمسلمون معه إني أن يرث الله الأرض  
ومن عليها.

﴿أما بالله وما أنزل إلينا، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب  
والأنبياء وما أوتى موسى وعيسى، وما أوتى النبيون من ربهم، لا نفرق بين  
أحد منهم، ونحن له مسلمون﴾

وحدثني - عليه السلام - عن الملائكة مؤكداً وجودهم ومحض الإيمان بهم، وهم  
كان "جبريل" الذي نزل على الرسول بالقرآن كله، ولبيت مع لبي ثلاثة وعشرين عاف  
يسدد خطاه، ويعمل إله بعمه الله هل كان إلا ملك كريمة ؟

ولقد رأى الرسول الملائكة كثيراً، فهم يحدون على النحمد عنده يثرون  
خرج عليه السلام يوماً وراء جاره أحد المسلمين وكان مجهداً، فحىء له بدايه  
بركبه فأبى. ولما سئل فيما بعد عن سبب رفضه الركوب قال:  
إن الملائكة كاتب معشى؛ فلم أكن لأركب وهم يمشون".  
ولقد قبل معه الملائكة يوم بدر فأنحه معارك الإسلام، وأكد القرآن هذا لمشهد  
في آياته.

ولقد رأى "جبريل" عليه السلام أكثر من مرة، وفي أكثر من مجسد وصورة

ويبدو أن بعض الأرواح الحرة الظاهرة من البشر المؤمنين، نحول في لبرخ وعند الله سبحانه إلى شيء شبه بالملائكة، أو يؤذن لها أن تشارك الملائكة بعض نشاطهم وتبصيرهم.

يقول عليه السلام عن الشهيد العظيم "جعفر بن أبي طالب" رضي الله عنه رأيت جعفر بن أبي طالب ملكاً يطير في الجنة مع الملائكة بحسب ما...!!! وإن كثيراً من ملائكة الله ليعملون بأمره سبحانه في حفظ المؤمنين على الأرض، وفي توكيدهم، ومباركة جهودهم، وسديد أفكارهم وخطاهم عن طريق المشاركة غير المنظورة والإلهام الحكيم..

كذلك حدث الرسول عن البعث بعد الموت، وجعل الإيمان به حتمًا وفرضًا، وعظمة الإيمان ماثله في إيمانك بالعباد الذي أحبرك به المرملون. هي الإيمان بالعباد عرافين وجليل بعدرة الله وعظمته وبصدق كلماته. على أن الرسول عليه السلام طلب إليه أن يقسم دليلاً مُقنعاً على البعث، أحار الدليل بديهة من البداهة الرائعة والباهرة، سأله سائل يوماً

"كيف يبعث الله الموتى؟ وما آية ذلك؟".

فقال الرسول للمسائل:

"أما مررتَ بوادي قومك جَدْبًا؟"

"ثم مررتَ به يهتز خضرًا؟"

فثبت أمة الله في حلقه، وكذلك يبعث الله الموتى...!!!

إنه يريد أن يقول له ولنا: هل رأيت مثلاً بادرة ما؟ حبة ذرة مثلاً.. أو حبة قمح.. ما هي وما شكلها؟ به جزء صغير دقة من جماد لا حركة فيه ولا حياة. ومع ذلك، فإنها لا تلبث بعد دفنها في الأرض المحدبة حتى تنشق الأرض شقاً وبرق من تحت ترابها وتنبأها بانه خضراء تتألق حياة، ثم ساقاً أو عوداً يحمل، لا الحبة الواحدة، التي ألقيت في الأرض.. بل يحمل مناب الحياة في مصدع عظيم.!!

إن الذي يبعث الحبة الحافاة الباسة المنة في هذا الحلق المحسب قدر على أن يحيي الموتى. ويبدو أن الرسول عليه السلام، لا يضرب بعث الحبة مثلاً لبعث الإنسان بأسلوب مجازي يتبع به تعريب الواقع أو تسديد الافتقار بحسب بل يصريه كصوره

مطابقه لما سيحدث للإنسان عند بعثه ونشوره.

فكما أن شجرة المبحوحى لى سامى عدله منمره إلا سمعت من بعض بعاياها العديمه، وهى بدره المبحوحى.. وكما أن عود، لقمع بسايله لا يردده إلى الحياه إلا حيه واحده نطويها الارض تحت تراها، فكذلك الإنسان - كل إنسان - كل فرد إنسانى - لابد أن يبقى من جسده "بدره" يبعث منها حلمه الجديد يوم يبعث الله من قى لعبور، يقول عليه الصلاة والسلام:

"إن فى الإنسان عظمًا لا تآكله الأرض أبدًا، فيه يُرْكَبُ الخلق يوم يُقامه.

"قالوا: أى عظم هو، يا رسول الله..؟

"قال: عَجَبُ الذَّنْبِ."

ويزيد المعنى توصيحا فى حديث آخر:

"بأكل التراب كل شيء من الإنسان، إلا عَجَبُ ذَنْبِهِ."

"قل: وما هو يا رسول الله..؟

"قال: مثل حبة خردل.. منه تتشأون."

و"عَجَبُ الذَّنْبِ" هو عظمه فى أدنى الضئيل، وعيد مهى لعمود لعمرى.

وهكذا يصعب لرسول أمام واقع، أو على لأقل أمام مثال فى قوه لحقيقة والواقع

فهي حبة قمح جافة متة، يبعث الله منها كائنا يهر خصره وبهجه وحياه..!!

وهذا "عَجَبُ ذَنْبٍ" عظمه جافة مة بعث الله منها إنسانا يتعجر حياه..!!

ثم لماذا نستبعد بعث الإنسان على الله.. ولا نستبعد حلمه مع أن، لغرامة

و لإعجاز فى الأمرين واحد..؟ فمن قطره ماء حلمك أول مرة.. ومن عظمه صمء يبعث مرة أخرى..!!

إن الأمر فى منتهى اليسر عندما يشاء الله..

وإن لشهد عمليتى الموت والبعث كل يوم. ولكننا عنهما عافلون فليد كُرب

الرسول إذن يقول:

"والذى نفسى بيده، لنموتن كما ننامون، ولنبعثن كما تستقظون..

"ولتعجزون بالإحسان إحسانًا، وبالسوء سوءًا."

كما يدم بموت. وكما سيعطى بعث.. ومن كان في شك من الموت والبعث،  
فليعيش، ن استمتع بلا نوم؛ وبلا استيقاظ.

\* \* \*

وفي حاتم حديثه عن الإيمان، حدث عليه الصلاة والسلام عن لعذر  
"وتؤمن بالقدر - خيره وشره".

و الإيمان بالعذر موصول الغرى بالإيمان الحق بوجود الله وبألوهته وحده، وبقدرته  
الكاملة على كل شيء  
ومصدق سبحانه إذ يقول:

﴿ إِنَّمَا أَمْرُنَا لَشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾

وهذا الإيمان ليس مدَّعة تشبُّط وبواكل. بل إنه يُبقي على صاحبه قوة عزيمة لا  
تبقى عسى صعب إلا ذلته.. ولا مستحيل إلا قهرته.  
ذلك أنك حين تؤمن كما قال الرسول:

"أَنْ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِحَطِّكَ، وَمَا أَحْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُضْيِكَ"

فربك أنت تستطيع - ما دمت ماصاً على الطريق المستقيم - أن تعمل بطاقة قوية.  
ولم لا؟ وأنت ساعنها، بما نسند ثقت وعزمك واعتدالك من مالت القوة جمعها، رب  
لأرض والسماء..؟

\* \* \*

ن من يتم له هذا الإيمان بالله، ويملا نكته، ويرسله، ويكبه، وبليوم الاحر،  
وبالقدر مسكون علاقته بالله، وبالعب لعظيم كله قد وجدت عافيه وبوره وسيكون  
عليه آتند أن يتهيا لأعظم هجرة في وجوده الإنساني بأسره. وهي ليست هجرة من مكان  
إلى مكان - بل هجرة إلى الله..!!

إلى رحبه.. إلى لملأ لأعلى من أحياه. مع ختم رسله الداعى إليه بحم  
لكتب - القرآن .. وبخاتم الأديان - الإسلام.  
"إن الإسلام بنى على خمس.

"شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء  
الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان".

يقول عليه السلام:

"المهاجر من هجر ما نهى الله عنه".

ويسأله سائل:

"يا رسول الله، أى لهجرة أفضل؟"

"فبيحبه عليه السلام: أن تهجر ما يكره ريك".

وهجرة إلى الله بالروح والإرادة، وبالمعمل الصالح والقلب السليم - هي أولى

ثمار الإيمان. وفي نفس الوقت أولى صفات بقاءه وبمائه

ذلك أن من الحياء الدنيا لا بشأ نعى ونصل وإنه دائماً لمى مرید

يقول عليه السلام:

"من وراءكم أيماناً، الصبر فيهن - أى - على طاعة الله - ك بعض على

الجر - للعامل فيهن - أى بطاعة الله - مثل أجر خمسين

"قال بعض أصحابه: يا رسول الله: أجر خمسين ما أم منهم؟"

"قالت: بل أجر خمسين منكم".

فهذا الوق الذى يتراءى للرسول، فصوراً تفافم السوء ورحم المعريه، ويطول

عناق الفس - يبادى المؤمن الراعى فى أن يظلو فى جمى الله، لى لهجرة الدائمة

ليه.

وكلما يكثر الفس، واستشر صراوة الشهوات، كدت لدعوة إلى الهجرة أكثر

الحاجاً.

ومرة أخرى، ليست الهجرة ما هجرة من مكان إلى مكان. بل هجرة، لى الله بعمل

صالح وقلب سليم.

يقول عليه السلام:

"الهجرة هجرتان: هجرة الحاضر، وهجرة البادى.

"فهجرة البادى - أى - ما كن البادية أو الريف - أن يحبب إذا دعى ونطيع

إذا أمر..

"وهجرة الحاضر - أى ما كن الحضر والمدينة - عظمها بلية.. وأقصها

## اجراً ..!!

به عليه صلاة الله وسلامه - بدرك ما نعدسه لعائشون في حب السعدن ، لرحمة من  
بو ثب للمعربات واشهوات عليهم وعلى ما معهم من إيمان ونهى  
من أجل هد ، محاجهم إلى هجره لروح أدعى وألرم ، وذلك يكون بسلام الوجه  
واعتب إلى الله في عبادة خالصه - ليس شرطاً أن تكون كثيرة ، وإنما الشرط أن تكون  
دائمة وخالصة.

يقول عليه الصلاة والسلام:

"إن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل.."

ولهجرة إلى الله بالمعنى الذى أيد به لرسول عليه السلام ، متوسله بالإحسان فى  
عبادته - هو السبيل الذى بدعوا إليه سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم  
لهم مع ربنا ويرثنا أفصح العلاقات وأتقها وأسماءها .  
ولقد دعنا إلى ذلك بأحاديثه وتوجيهاته . وقيل الأحاديث ، والنوجيهات دعنا  
باعدوة الحسة التى تحلّى فيها ، ولاؤه المطلق لله ، والتى أعطى بها من المثل لأعلى ما لا  
ظير له ولا مزيد بعده..!

لعد أسلم وجهه لله ، كما سعى لحلال وجهه وعظم سلطانه ، وجعل له سبحانه ،  
صلاته وسكته ، ومحياه وممانه ، وأثرع كل لحظات وجوده وحياته بذكره وحمده وتمجده -  
فمن يكن يصبح أو يمسي .. يعقد أو يمشى - يام أو يصحو .. يتحرك أو يسكن . لم يكن فى  
ليله ونهاره ، فى سره وعلايته ، فى جهده وسكته إلا قاتاً أوأباً يحيا بالله ومعه ، لا يربو لعر  
جلاله ولا تقع عينه إلا على آياته وآلائه ، ولا ينالق فى خاطره إلا سائبهاته وبور جلالة .

"اللهم ربنا لك الحمد.."

"ملء السماوات ، وملء الأرض.."

"وملء ما بينهما.."

"وملء ما شئت من شئ بعد.."

"أهل الثناء والمجد.."

"أحق ما قال العبد ، وكلنا لك عبد.."

"لا تمنع لما أعطى.."

"ولا تمنع لما منع.."

"ولا تمنع ذا الجَدِّ منك الجَدُّ؟؟"

في أي سماء عالية كاتب عِلَّافه الرسول بربه بخلق؟؟ وبأي هيم كتب بعرده  
ونمجد...؟؟

هو د ، إمام المحبين، وإمام العارفين، سائق في ابتهالاله وصراعاه بأثني بمحبور  
المشتق.

ألم يكن يكفه أن يقول: "اللهم رب لك الحمد كل الحمد"، ثم يكررها كيف  
يشاء؟ بلى - كان يكفي! ولكن حبه الدافق، الراجح والمناص بأبى إلا التعبير عن  
فيوصه بأقصى ما يملك المطلق الإنساني من إصاح وتفصيل ويأقصى ما يملك لحساب  
من عدد ومدد...!!

"اللهم ربنا لك الحمد.."

كم؟ وأيان؟

"ملء السماوات"

لكن السماوات لا تكفي روحه المأخوذة بجلال ربه وحبه، فهي تبعي المرند  
وملء الأرض..

والأرض أيضاً لا تكفي.. فليكن المزيد!!

وملء ما شئت من شيء بعد..

إنه يريد أن يعطر الكون كله، يملأه كله - ما هو كثر منه وما سوف يكون - بحمد  
الله وتمجيده؛ لأنه وحده:

"أهل الثناء والمجد.."

ثم لا يكاد عليه السلام يقول: "أحق ما دل العبد"، حتى يعقبها بحصيص تذبذب  
كلما نه حباً وشوقاً وعبودية وإخباتاً، فيقول:  
"وكلُّنا لك عبد..!!"

لقد كان عليه السلام يرفع إلى ربه هذا الحمد في الصلاة، وبعد أن ينهض قائماً  
من ركوعه الطويل الذي كان يسهرقه استمراقاً كلياً وهو يسبح ربه ويقول "سبحان ربي

لعظيم".

إنه يعرف الله حق معرفته . ويعلم أن له ملك السموات والأرض ومن فيهن، وإليه يرجع، لا أمر كله.

من أجل هذا، فهو إله يمجده، وإله يدعو للمجده، إله يريد مجيداً بسعة هذا الكون، وعدد ما فيه من خلق ربا وبعمته.. ثم بعد هذا يقول ويأمر أن نقول لله عز وجل  
 "لَا تُحْصِي ثَمَاءُ عَلَيْكَ."  
 "أنت كما أثبتت على نفسك!!"

إنه - كما رأيت - يذكر الله ويشي عليه، ويريدنا أن نذكر الله ونشي عليه بأقصى ما في الحساب من أعداد وأمداد..  
 انظروا..

"سبحان الله، وبحمده..

عدد خلقه..

ورصاً نفسه..

وربة عرشه..

ومداد كلماته.."

إن هذا التخصيص بالوع وبالأعداد لا يصور المبالغة في تمجيد الله من تصور العجز عن وجود الكلمات والأدوات التي يُمجَّدُ بها سبحانه كما ينبغي له أن يمجَّد.. وهي لا ترتل آيات حمده وحسب، بل وتصدع في إقرار مطلق بأنه صاحب الملك كله ذو الجلال والإكرام.

"اللهم إني أصبحت أشهدك..

"وأشهد حمده عرشك.. وملائكتك.. وجمع خلقك.. أنك أنت الله وحدك لا

شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك.."

هو وحده، ولا شريك له.

وبك هي القصية.. وهذا أول نور يسبح منه علاقتك الوثقى بربنا الذي لا شريك معه ولا كفاء له.. فالرسول عليه السلام يريد لعلاقة المؤمن بربه أن تكون ممثلة لحقيقة إيمانه

وبقيته، وأن يكون قلبا مفعما بحضور الله، وروحاً محبورة بالشوق إليه، وكيف

مسلم دأبه الله رب العالمين.. ها هو ذا يقول، ويعلم أن يقول:

"اللهم أسلمت نفسي إليك..

ووجهت وجهي إليك..

وألجأت ظهري إليك..

ورغبة ورهبة إليك..

لا ملجأ، ولا منجى منك إلا إليك..

آمنت بكتابك الذي أرسلت..

وبنسك الذي أرسلت.."

إن إسلام النفس إليه، وتوجهه الوجه إليه - رغبة في رضوانه ورهبة من سطوته مع

الإيمان الواقف بأنه لا ملجأ منه إلا إليه - كل هذا يعنى حين يصدر من قلب حاشع صادق

متبتئ أن صاحبه قد عرف الله وإذن فعنه أن يحمل ثعبان الرشد التي يهيئها معرفه الله

إن معرفه الله يعنى اليقين بأنه الإله الواحد الأحد الذي لا إله غيره..

وتعنى اليقين بأنه خالق كل شيء ومالك كل شيء..

وتعنى لرغبة العشققة، والحرص الوثيق على طاعته وعبادته ولتمسك من ربه..

وهذا كله يعنى من جديد توحيد..

ولتوحيد الذي يقوم به علاقه الروح ببارئها لا بمثل وحسب في شهادة أن لا إله

إلا الله..

إن هذه الشهادة بالعب وعلى اللسان، بما تمس وثيقة الانتماء إلى عبم الإيمان

والمؤمنين، هي (شهادة جسمية) تحدد نوع المواطنة بالنسبة لحاملها وصاحبها - تحدد

انتماءه لوطن ما.. لكنها لا تحدد وحدها مدى ولائه لهذا الوطن، ولا مدى حبه وأمانته

وإخلاصه..

وهنا، ونحن نبحث في كلمات الرسول وأحاديثه عما يركى علاقتك بالله

وبصحبها، وبهيب، لعافه والور والمعنى، ندرك في سر جوهر توحيد الله وحقيقته.

إله ماثل في كلمات الرسول هذه:

"أسلمت نفسي إليك  
 ووجهت وجهي إليك  
 والرجاء ظهري إليك".

بحرود كامل لملاقاته والابحار إليه.. فليس شيء ما يشعل عنه أبدا.

لا اختيار؛ لأنه أسلم نفسه إليه..  
 ولا مطمح؛ لأنه وجه وجهه إليه..  
 ولا مخافة؛ لأنه ألجأ ظهره إليه..

وردد في الأعمال كلها والطاعات كلها إنما توجه في استنحاء وخشوع وتهوى إليه وحده. لا تلعب ذات اليمين ولا ذات الشمال بحثا عن غيره يرغب؛ لأنه ليس هناك في بهائه وحلله سواه.

ومن لم يملأ الله عينه ونفسه وروعه؛ فقد خسر نفسه. ومن جعل بعض عمله له، وبعضه لغيره؛ فقد خسر عمله. ومن كرس حياته له، ولغيره معه؛ فقد خسر حياته. هكذا يعلمنا الرسول الأمين فيقول:

"يقول الله تعالى في حديث قدسي:  
 "أما أغني الشركاء عن الشرك".

عبارة وجيزة، لكنها فاصلة كالسيف المرفقد. فالله سبحانه أعصى الشركاء عن  
 اشرك، فإذا لم يكفك وحده فادهب إلى من شئت. أما أن تجعل له شريكا من هوى  
 نهواه.. أو أحدا من خلقه يحفه ويرجوه؛ فذلك دس يعلو في وجهك الأبواب. ويهت  
 تسقط به دعوى إيمانك وتوحيدك.  
 إن للتوحيد ينطبع منك أن تكون كل أعمالك وقربائك حاصه لوجه ذي الجلال  
 والإكرام.

فالإخلاص فيما تقوله الله.. وفيما تعمله من طاعة الله وفي مشايرك تجاء الله. هو  
 روح علاقتك بالله..!!

إذا رأيت نفسك، أو رأيت غيرك في عمل من شأنه أن يكون لله وحده؛ جءك  
 النداء الرهيب:

"أما أغني الشركاء عن الشرك"

إن علاقتك بالله، يجب أن تكون محررة لله رب العالمين وكل الطاعات والعبادات التي نبع منها يجب أن تكون خالصة لوجه الله وجلاله. متجردة له..

إن هذا لتعزّد من كل الشوائب والتطلعات بجعل علاقتك بالله في مستوى لقبول وترعا به التي يمحّنها سبحانه عباده المخلصين الأحرار، ويجعل من عبداً ربانياً، ونورا يمشي بين الناس..  
يقول عليه الصلاة والسلام:  
"طوبى للمخلصين."

"أولئك مصابيح الهدى، تنجلي عنهم كل فتنه وظلماء"

\* \* \*

بك حين ترسل بهدية إلى من تحب، أو إلى من ترجو معه ونحوه صره، فإنك تتحرّاه من أجود ونقى ما يملك ويستطيع ويقدّر ما ينقلها هو بالعطف ولشكر يكون حبورك وسعدتك. أما إذا حدث لأمر ما أن رفضها فكم يكون جرعك صاعقا وأليماً؟؟  
وإن الأعمال التي تتعرّف بها إلى الله سواء كانت ماسك، أو أخلاق، أو عطف...  
لتنبؤا عنده سبحانه مقدما كريما حتى حين يكون باعثها الخوف منه، ما دامت خالصة لوجهه الكريم، لكنها لا تعد هذا المعام ولا بعضا منه، إذا كانت لله ولغيره معه..  
يقول الرسول الكريم:

"إن الله - عز وجل - لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا، وبتقى به وجهه".

فمنوع العمل - لا عدده ولا كنه هو الذي يعطيه درجة التموق والقبول.

ووجهة العمل هي التي تفتح له الباب، أو ترده خائبا مدحورا

إن لرب من الجلال ما يجعله يرفض الشائبة هي الاتجاه إليه، حتى حين يكون ذلك الكنى موضع حبه ورصاء.

يقول عليه السلام:

"يا أيها الناس.."

"أخلصوا أعمالكم، فإن الله تبارك وتعالى لا يقبل من الأعمال، لا

ما خلاص له .

"ولا تقولوا هذه لله، وللرَّجِم؛ فإنها للرحم وليس لله منها شيء .

"ولا تقولوا هذه لله، ولوجوهكم، فإنها لوجوهكم وليس لله منها شيء ."

لكم أوصى الله بالرحم، وقدم جفوفها حتى قال في حديث قدسي:

"أب الرحمن. خلقت الرحم، وشعنت لها اسمًا من اسمي"

ومع هذا؛ فحتى هذا الذي اشتق له اسمًا من اسمه لا يمكن له في وجهه أي عمل

يرفعه إلى الله..!

إب بحالهُ لست مسألة الإخلاص محسب - فمن الممكن وجود الإخلاص ورء

عمل يُراد به وجه الله وخير الرحم. إنما القصة قصة توحيد.

فهل نحن مُوحِّدون الله حقًا..؟ وهل تقوم علاقتنا به سبحانه على توحيد خالص

له؟ وتجرّد كامل لهذا التوحيد..؟ هذا هو ما يدعو إليه الرسول؛ لأن هذا ما يريد الله

من عباده. وما ينادي به القرآن، ويهتف به الإسلام

وحين سطع في القلب أنوار هذا التوحيد؛ فإن أي عمل للمؤمن حتى إرادة

حصاة من الطريق، لن يجد له اتجاهًا ولا قبله سوى الله.!

والله سبحانه إذا كان يريد من أعمالنا وعاداتنا أن نحى معبرة عن توحده الحق،

فليس ذلك لأجل أن نريد في جلاله أو في ملكه شيئًا بل لأجل أن نريد في إيماننا وبره من

مقدرت عسى، لسيادة العاصلة على أنفس وعلى الحياة..

من أجل هذا، كان توحيد الله فيما نعمل ونعبد، أي كان الإخلاص لوجه الكريم

ضرورة أكثر من لعمل ومن العبادة - لأن هذا الإخلاص هو الذي يعبر أنفسنا إلى أفضل،

وهو الذي يهب أرواحنا تلك السيادة المرجوة.

ن من . لمعلوم بدهة أن الله غنى عن العالمين، وأنه جل جلاله وعز جلاله لا يناله

عمل أو عبادة، وإنما كما ذكر القرآن الكريم:

﴿يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾

وهو فرح بتقواها، لا لأنها رصيد له.. بل رصيد لنا. ومعراج لتعوقت الروحي لدى

يريد الله منا الصالحين نحن والحساب مصيرنا..

من أجل هذا، لم يكن يعبه من العمل مهما عظم وصغره إلا روحه.. إلا هذا البزار الحمى و الحقى الذى يكشف عن مدى توحيدنا الله فيما نعمل وفيما نعبد ولهذا يحيرنا الرسول عليه السلام أن ثمة أعمالاً صالحة لم يأتها لإسان قط ثم هو يجدها عبد الله بكل ثوابها وبعمتها - كذلك الأعمال التى ينصف لإسان ابتغاء وجه ربه، لكن ظروفه لا تسعفه بإنجازها.

فهد الذى يتمنى أن يصلح بين متخاصمين أو يدفع ظلمًا عن مظلوم، أو يهرج كربة مكروب، أو ينشئ للحير مؤسسة، أو ينجر أيا من الأعمال النافعة والقرب المطلوبة، لا شيء إلا لتقديم إلى الله هديه ونحيبه محضاً له الوجهة والنية والعمل. ثم لا يجد لما يتمنى سبيلاً، يعنى الله وفى صحفته كل هد، الذى ودّه وتسام.

لماذا ؟ لأنه يواياه الطيبه وحّد الله وعرف قدره وأخلص له وأسلم إليه أمره

وفى هذا يقول عليه السلام:

"إنما الدنيا لأربعة نفر..

- "عبد ربه الله مالاً وعبداً، فهو يتقى فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم الله فيه حقاً، فهذا بأفضل المنازل.."

- "وعبد ربه الله عبداً ولم يرره مالاً، فهو صادق الية، يقول: لو أن لى مالاً لعملت فيه بعمل فلان - فهو بسته وأجرهما سواء.."

- "وعبد ربه الله مالاً ولم يرره علماً فهو يحبط فى ماله بغير علم ولا ينقى فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم الله فيه حقاً - فهذا بأحبث لمدارله

- "وعبد لم يرره الله مالاً ولا علماً فهو يقول: لو أن لى مالاً لعملت فيه بعمل فلان - فهو بنيته ووزرها سواء.."

هنا فريقان من الناس:

أولهما - تهو إلى الحير بفسه، لكنه لا يجد إليه سبيلاً فله من الأجر مثل لدير عملوا سواء بسواء..

وثانها - يهتو إلى سوء عبه، ولا يجد اله سبلاً، فعليه بوابه هذه لا عفاً -  
 من الله برحمته لا يعاقب على سريره لم تتحول إلى ذنب - بل بواراً نصاب به علاقه بربه  
 ويحل من الله عبه. وكُم في هذا وحده من عذاب وعقاب !!

لقد شرع الله العبادات والعربات ليكون الوسيله لإحياء الإنسان وإمداد روحه  
 بنصره التوحيد وبوره، ومن ثم كانت المسافه بين بوابان ورضوانه، أقرب من المسافه بين  
 أعماله ورضوانه. يقول النبي عليه السلام:

"يقول الله عز وجل لملائكته إذا أراد عبي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها  
 عليه حتى يعملها، فإن عملها فكتبوها بمثلها - أي سيئة واحدة. وإن  
 تركها من أجل فكتبوها له حسنة.

"وإن أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فكتبوها له حسنة، فإن عملها  
 فكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبع مائة". !!

فه توحيد الله بوحده مجرد بواعثا وحوافها من الرعية إلا إله، ومن الرعية إلا  
 منه - هو الذي يسبر غور أعمالنا ويرى قسما.

فيمجرد أن سوى الحمر ابعاء وجهه، يكتب لك ثواب الحمر على الفور حتى وإن  
 حل بينك وبين فعله..!

ذلك لأن العية من العمل قد أدركت، وهي رؤيتك الله وحده لا شريك له حبس  
 بينك، ليه قلبك وبناياك، هناك استقامت عهدك واستقم طريقك، وأدركت لتعوى  
 التي يريد الله لعباده.

\* \* \*

وتوحيد الله على هذا النحو، يمحقا مقدره لا ينهي. لماذا؟ لأن توحيد هذا  
 يعنى ليمين بأنه لا مُعقَّب لحكمه ولا رادٌ لأمره. يعنى أنه وحده واهب القوة ومناح  
 استوفى. يعنى أنه وحده الصار والنافع.. وإذن فلس لمن وحده وآمن به أن يخاف شيئاً،  
 أو يُجعل أدم خطراً، أو يهرب من شعه، أو يركن إلى قويه التي تحو ونقص.

من تجريد أعماله، ويكرس حداث الله تصحيح بوحيدانه وتؤكد لجوهر إياه،  
 ويعنى بصميمنا المبارك الميمون على أن نجعل من أنفسنا أهلاً لحبه ورضاه وأهلاً

لعبادته ونعمته..

وعندئذ يجد الطريق إليه معوجاً رحباً تدب إليه لآية الكريمة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

\* \* \*

أجل فالتوبة الصادقة الصوح بعد علات بالله مباح الطريق، وبها شاعى من

الله العلى المجد بشرى الصلاح والقبول.

ويعلم الرسول ﷺ أن التوبة، عزم رشيد على حلع كل أوتار النفس والهوى

وسحب. ويطهر جمل من كل المعاصى وأدرانها، والآبام وأهلها، والشهوات

وأباطيلها..

"هى لجوء إلى الله، واحتماء بحمام.

هى برء جميل وجليل من الإثم والفسوق والعصيان. واتجاه بالروح وبالنفس

وبالعمل إلى معرفة الله ورضوانه.

وبلازم التوبة استعذر دائم إلى الله العفور الرحيم.

يقول عليه الصلاة والسلام:

"طوبى لمن وجد فى صحيفته استغفار كثير".

ويُسم عليه الصلاة والسلام - هو الذى لا يعرف له ذنب قط - فعوله.

"والله إني لاستعمر الله وأتوب إليه فى اليوم سبعين مرة".

ذلك أن الاستعمار، ليس فقط لتطهر النفس من الدنس، بل ولتطهيرها من الغضب.

وحين لا يكون ثمة دس ولا غضب، كما هو شأن الرسول الكريم يكون الاستعمار

إقراراً بحلال الرب وصراغة العبد وهو مقام يجد فيه المرسلون والصدّيقون من حلاوة

أرضها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر..!!

ثم إن الاستعمار كما يعلمنا الرسول عليه السلام يمثل دعاءً مستجاباً، حتى ولو

لم يصحّته المرء حاجته.

يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم:

"من لرم الاستعمار جعل الله له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً وورقه

من حيث لا يحتسب."

كما أنه الصمان أن يظل اعلم كالمراة المخلوة تسأل على صفاته وممته رؤى  
الجلال والحق.

يقول عليه السلام:

"من لعلوب صدأ كصدأ الثعالب، وجلأؤها الاسعور"

وعلاقة العبد بربه تتطلب مراجعة مسمرة للبيعات التي تمرصها، والسلوك الذي  
سحمل به هذه التبعات.

إن في حياتك لذب، ومع الذين يحبهم أو يحافهم، تراجع باستمرار مع أنفس  
سوك بحافهم، ولا تكاد تنتهي من لقاء لنا معهم، حتى يستعيد الحديث الذي دار بينك  
وبينهم باحثين عما عسانا نكون قد قارفناه من لحن أو خطأ..

فحديثك إلى الله، وسلوكك مع الله، وأفكارك عن الله، ومشاعرك تجاه الله - كل هذه  
لنى شكل علاقتك بالله سبحانه، لا بد أن يكون موضع تساؤل ومراجعة، حتى لا يرس  
عنيها أخطاء مقصودة، أو تشوبها أخطاء طارئة.

من أجل ذلك أوصى الرسول عليه السلام بالتوبة. فالتوبة هي هذه المراجعة لنى  
يكشف عوائق تدهمت الروحى وأخطاء سلوكنا، فتدرك ذلك كله بالإبابة، والتصحيح  
والرجوع إلى الحق لدى بربه الله، والحرير الذي يرصاه.

يقول عليه الصلاة والسلام:

"أبغ الله حشمة كنت.."

"وأبغ السيئة الحسنة تمحها.."

"وخالف الناس بخلق حسن.."

فلتأمل قوله عليه السلام:

"وأبغ السيئة الحسنة تمحها.."

نعرف منها جوهر المراجعة التي يعطها الرسول اسم "التوبة" وحققته..

فهى ليست مرجعه نظره، أو تأملا فلسفيا. إنما هى تصحيح سريع وهورى لكل  
خطأ.. ومتابعة متساقطة متلاحقة لكل سيئة.

وهذه هى "التوبة" التى يأمر بها الرسول وبراها ضرورة لبقاء علاقتنا بالله

باضرة وظاهرة.

إن حرجنا إلى التوبة نابعة من طمعنا الشريه - فطبعنا قبله لخطأ، بل صبره له، وإن لأخطاء لتعصد منها كما يتعصد العرق من مسام لجسد ويبدأ الرسول برويض النفس بإنقاذها من الاستحاق تحت وطأه لدنس، وفي نفس الوقت بإنقاذها من الإصرار عليه.

يقول عليه السلام:

"كل بنى آدم خطاء

"وخير الخطائين التوابون".

فالمهم في موعظنا من الخطايا ألا ندعها تتراكم وتعلق علينا حلقة بعد حلقة، صارية بكثرتها حصاراً قاسياً ومميتاً حول بل يعالجها أولاً فأولاً..

يعول عليه السلام:

"إذا أسأت فأحسن..

"وأحدث لكل ذنب توبة".

يقول:

"إن مثل الذي يعمل السوء، ثم يعمل الحسنة، كمثل رجل كذب عبه درع صبغه فد حنقه ثم عمل حسنة فدعك حلقة، ثم عمل حسنة أخرى فانتفكت أخرى، حتى تخرج إلى الأرض".

ولا يباي أن يكون الحسنة حسنة إلا إذا كانت مغييرة لمسيئة لى ارتكبت فبالذى يسرق - مثلاً - ثم يتصدق ويحسن، لا يكون الصدقة الحسنة الماحية لحريمه المارقة، بما يمحوه لنزوع عنه ورد الحقوق، لى دويها، ثم يضاعف محو آثاره بعد ذلك فعل الحبر فى شتى صوره وأشكاله، أما أن يبنى الإنسان سادراً مع ديه مميت نفسه بأن له حسنة أخرى ستحل وثاقه، فهنا الخطأ المميت!!

صحيح أن الله سبحانه لى يمحسنت حقل فى حسنة واحدة بآتيه، ولكن صحيح أيضاً

أنه لن يتسامح معك فى إصرارك على خطيئه أو خطايا يعصها ولا يرضيها

وعلى هذه الحقيقة يفتح الرسول أعيننا فيقول،

"إن المؤمن إذا أدب ديب كان بكتة سوداء فى قلبه، فإن تاب، وسرع،

واستغفر، صفى منها. وإن راد راد حتى يغلف بها قلبه.. فذلك هو السران

الذى ذكره الله في كتابه فقال: "كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون"  
 فهنا لا بد - كما يذكر الرسول - من توبة، ونزوع، واستعمار.  
 ويحيى السروع قبل الاستعمار، لأن التعبير الحقيقى هو جوهر التوبة والاستعمار  
 أو حركة اللسان بكلمات الاستعمار فهما يكس كثرتها دون عمل جاد لمحق  
 خطيئة وإفلاح عنها - فعمل غير صالح، يقول عنه الرسول عنه السلام:  
 "المستعمر من الدب، وهو يسم عليه كالمستهزئ بربه.."  
 نعوذ بوجه ربنا الكريم وسلطانه العظيم.

\* \* \*

ويوصى الرسول أن يكون السروع ظهرا وباطنا - سروع عن الفهم، والسهوى - سروع  
 عن الدب ذاته ونزوع عن مجرد الرغبة فيه.  
 وقد يحد الإنسان الإرادة القاهرة، لى بحمله على حسب إثم ما - ولكن أبى له أن  
 يمحوه من تلافيف النفس وقيعان الرغبة. ٩٩  
 هنا يدلنا الرسول الكريم على الطريق..  
 إن أشبه - لدب، أو مجرد الرغبة فيه، أو لا مبالاة شعوريا بخطره - حالة نفسية،  
 أى أنها تدور داخل النفس دون أن - تأخذ جوارحا فيه دور التعدد والعمل  
 وإذن، فعلاج هذا الموقف النفسى، يكون بموقف نفسى مثله - فمادى يكون ؟  
 به اسدم على ما كان، بصورة تجعل النفس شمر منه، وتود لو كان به وبسبب  
 بعد المشرقين..

يقول عليه الصلاة والسلام:

"الندم توبة"

ويقول:

"النادم ينتظر من الله الرحمة".

بيد أن رسول الله السلام حين يعالج الذنوب بالندم، فإنه يريد من لندم  
 ابتداه، لا اجتراره!!

أجل - إنه يريد الدم الذى يدر به خطاياها فور وقوعها، وفور تذكرها لها، وفور  
 كل شهوة عارض من النفس، يها. لكن لا يريد احرارا مصيب، يسبها الرجاء فى  
 رحمته والشوق إلى عافته.

به لا بد من الندم كعلاج لتطلعات النفس لأماراة بالسوء . ولا بد - أيضاً - من استجداءه برفق وحكمة.

عندما نستخدم الكي بالنار كعلاج ضروري لبعض آفات البدن، فربما نستخدمه كيومض الحائط، أما إذا حسبنا أن الشفاء في الإكثار مجرد لإكثار، فإن ذلك كفيل بحرق البدن وقتل المريض !!

فندم بالحكمة في استجداءه، لا بالكثرة لمعية، علاج بتطلعات النفس لأماراة وهو حين يتم بهذه الحكمة يكون نعمة لا بفضة، ورحمة لا عذاباً، وهذا معنى قول الرسول:

“النادم، ينتظر من الله الرحمة..

“والمعجب ينتظر العقوبة”..!!

ومع الندم، يوصي الرسول بالرجاء حتى يحقق مريحها عافية، لنفس وتغافا . وهذا الرجاء الذي بهت سائمه الخابية من أحاديث الرسول ليس أمسة عذله، بل وعداً ناجزاً وحقيقة قائمة، وهو وعد من الله في آيات كتابه وعلى لسان رسوله بالعفو والمعصرة والعافية لمن يركى علاقه بالله بتوبه حائصة يطرح بها أرض كل مؤبقة توبقه، وكل إثم يسحقه. يقول لنا حبيب الله ورسوله:

“التائب من الذنب، كمن لا ذنب له” .

سبحان ربنا الحليم الكريم.. التائب من الذنب، يعود كما ولدته أمه طاهراً، باصراً معافى..!!

ثم ماذا؟ يا رسول الله..؟؟

“إذا ناب العبد من دونه، أمسى الله عز وجل حفظته دونه، وأسى ذلك جوارحه ومعالجه من الأرض حتى يلقي الله يوم القيامة وليس عيه شاهد من الله بذنب”..!!

هذا مَحْوٌ كامل لأثار الجريمة والذنب

إن القرآن الكريم يقول:

﴿يَوْمَ نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

أى أنه ليس هناك عمل مسيى بهت من عقابه، بل ولا تقدر على إنكاره - فشمُ شهود  
 من عليها أَلَسْتَب. أَيْدِي.. أَرْحَلَا. أَبْصَارُنَا وَأَسْمَاعُنَا كُلُّ جَوَارِحِنَا يَدْعُوهَا الرَفِيبُ  
 الْحَسِيبُ الْقَادِرُ لِعَصْدُرِ يَوْمِ الْقَدَمَةِ أَنْ نَعْدِمَ لَتَكْلَمَ، فَتَشْهَدَ عَلَيْنَا بِكُلِّ مَا أَجْرَحْنَا،  
 حَتَّى هَذَا الَّذِي سَيْنَاهُ.. جَوَارِحُنَا لَا تَنْسَاهُ وَلَا تَحْطِطُهُ.

يقول ربنا فى قرآنه الكريم.

﴿ أَحْمَدُ اللَّهَ، وَلَسُوهُ ﴾.

لكن التوبة كما يحدثنا القرآن، وكما رأينا فى الحديث النبلى لرسول الله،  
 كفيلة، د كانت صادقة بأن نضع عا شهادة هؤلاء الشهود المدول..  
 "أَنَسَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَفْظَتَهُ ذَنْبِي..

وَأَنَسَى ذَلِكَ جَوَارِحِي، وَمَعْلَمِي مِنَ الْأَرْضِ، حَتَّى يَدْعَى اللَّهَ وَلَيْسَ عَلَيْهِ شَاهِدٌ  
 مِنَ اللَّهِ يَذِيبُ"

ولس ذلك محصه..

بَلَى إِنَّ الْقُرْآنَ لَبَعْمَرُنَا بِالْبَشَرِ حِينَ يَقُولُ عَنِ التَّوَابِينَ.

﴿ فَأُولَئِكَ يُدْخِلُ اللَّهُ مِثْقَلَهُمْ حَسَنَاتٍ ﴾.

\* \* \*

ويحدث الرسول عن حب الله للوبة وللنائب حديثاً يجعل الأفتده نظير هيامُ  
 بالتوبة وشوقاً إليها.

يقول عليه السلام:

"إِنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِسُوءِ مُسِيءِ النَّهَارِ.

"وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ.

بل أكثر من هذا يقول عليه صلاة الله وسلامه:

"وَلَدَى مَعِي يَدِي، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا، لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ

فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ."

إلى هذ المدى المدهل يحب الله أن يكون عموراً، وأن يكون نوابها شكوراً.

فماذا؟ أهو يشع بذلك حاجة في نفسه؟ حاشه، فهو العسى الحميد، وهو الكير لمتعدل.

إنما يشع حاجات في أنفس عباده حين يحرمهم أن كل أبوابه مفتح لهم حين يرجعون، وكل رحمة ساذغة عليهم حين يطلبون..

فإن أفتهم الخوف من عدله، طمأنهم الرجاء في فضله. ولا بأس أبد منهم بكثرة لدنوب وبمعظم الخطايا - فإن التوبة الصادقة لا تهب التائب عفو الله وحسب - بل تهبه حبه أيضاً:

"إن الله يحب التوابين، ويحب المتطهرين".

بل وبه عطاء أحرم كان يحظر للتائب بيال، دنكم هو فرح الله وحبوره بعوده عبده الغائب التائب!!

أجن، فرحه وحبوره - لا لومه وتوبيعه - وإن الرسول ليصرف لهذا مثلاً - يرحل كمن يسير في صحراء موحشة، حتى إذا وجد شجرة جلس يتعياً ظلها، وعسه اسوم، ثم استيعظ فم يجد راحته بعد دهمت بها عليها من مدح. واستبد به يأمن قائل، وأسلم للموت ينتظره حتى يجيء في أي من طوارق الصحراء والقيء، وفقدان العدا والماء..

وأسلمه لأس لنوم عميق - وفجأة اسعظ كالمأخوذ، وكاد نظير من لفرح، إذا رأى راحته فوق رأسه من جديد - ويقول الرسول عليه السلام:

"لله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن،

من هذا براجلته..!!"

\* \* \*

ولما كانت التوبة ندماً على الإثم، ومروءة على، وعزم وثيق على عدم العودة إليه، اقتضى ذلك أن تجيء والحمد مصله، لمثل به صادقه من العبد على طاعة الله والمصرب إليه.

أما التوبة التي يلعبها صاحب في سكره الموت، فجوابها الحق هيب هيب، يقول الرسول عليه السلام

"إن الله يقبل توبة العبد ما لم يفرغ".

أى ما لم يبلغ مكرات الموت ولحظات النهاية  
وهذا الحديث يكشف عن فضل الله الواسع، فهو يصح أمام عبده أبواب رحمته  
وقبوله حتى النهاية.

وهو إذا كان بعضها دون نوبته ساعة الموت؛ فلأنها ليست توبه بل واحة بم  
يمثله من كذب على الله وخداع له..

كذلك يكشف هذا الحديث الشريف عن الحظر الذى يهدد بتأجيل التوبه  
والتسوية فيها - فلا بد من التمسك متى تكون مسنها وكم من أحياء يتسجلون عافية وبأسا  
وحبورا بلحية يأنبهم الموت بغته فإذا هم فى أكفاهم راقدون.

من أجل هذا يقول الرسول:

"هلك المسوفون.."

ويقول واصفا أعيا على أخطر آفات التوبه.

".. واحذروا التسوية؛ فإن الموت يأتى بغته.."

"ولا يغترون أحدكم بحلم الله عز وجل، فإن الحنة والدار أقرب إلى أحدكم  
من شركاء تعلمه.."

"ثم قرأ ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾"

إن الرسول عليه الصلاة والسلام، يرى فى إرجاء التوبه والتكسل عنها والتسوية  
فيها عقامة خاسره بمصير الإنسان، ومن ثم فهو يدعو إلى العبدرة إليها، وإلى مداومته  
الآخذ بها..

إن هذا لا يدل على نفوى العبد وحسنه بل ويدل على حصافته وجدقه..

يقول عليه السلام:

"الْكَيْسُ من دان نفسه وعمل لما بعد الموت.."

"والعاجز من أتبع نفسه هواها، وبنى على الله الأمانى"

أجل.. ذلك إنسان كئس وخفيف، هذا الذى يحرص نفسه لمراجعة التوبه أولا  
بأول. وإنه بهذا لا يستند حبه وروحه من الأخطار المائلة وحدها بل ويحميها من  
مخاطر لرمز ومعوقاته، ويربح السباق المحتوم الذى تجرى فيه نحن ولايام كهرسى  
رهنة.

وهذا ما كان يعنيه الرسول وهو يعلمنا ويقول:  
بادرُوا بالأعمالِ سبعا..

- هل تنتظرون إلا فقرا متسيا..؟

- أو عى مطع ؟

- أو مرضا ممسدا ؟

- أو حرما ممسدا ؟

- أو موتا مجهرا..؟

- أو الدجال، فشر غائب ينتظر..؟

- أو الساعة، فالساعة أدهى وأمر..

إنه عليه السلام يحذرن محوم المهالك التي تنتظر على الطريق

واللبلى من الرمان حبالى ممتلات، بلدن كن عجيبة

وهو يذكر منها بهذه السبع التي إذا لم يسبقها سقيا، وإذا لم يبادرها بالتوبة النصوح والعادة لحالصة، جابقتها هي بما عملا نفوسا حسرة على صياح لفرصة، وفوات الأوان.

إن التوبة الصادقة، هي بصره النعمة تفرق في حياء التائب ووجوههم، وتجعل أوتدتهم رقيقة..

وصدق أمير المؤمنين "عمر بن الخطاب" رضى الله عنه إذ يقول:

"جالسوا التوابين، فإنهم أرق أفئدة..!!"

\* \* \*

وصدق التوبة وبجاحتها ليس معرويين بنيد الإثم والتعوق على إغرائه فحسب، بل هما كذلك مقروون بنيد القوط والتعوق على شيطنة.

ذلك أن القوط من رحمة الله خطيته فادحه، لأنه يعنى تصور إله عاجز عن المعصرة أو بحيل بالرحمة - حاشا ربنا وسبحانه - كما أنه - أعنى القوط - أكبر عن نول لاسلاق النفس من إسارها،

وإذا كانت قيمة التوبة أنها تحرك من أصمادك العائقة وأعلامك الموقفة - والقوط

لا ريب من أخطر هذه الأصناف وتلك الأعلال. ومن ثم كان خطيئته محتاج إسي، لنوبه منه.

من أجل هذا يعيننا الرسول عليه السلام أن إد توب إلى رب ويخلص له لدين، فإن علينا أن نعلق إليه بجناتين مباركين:  
الرجاء والخوف.

الرجاء في الله، والخوف من الله.

رجاء في رحمته ورصونه. والخوف من غضبه وحدلانه.

\* \* \*

سمع لرسول عليه السلام ذات مرة أعرابيا حدث عهد بالإسلام يدعو ربه ويقول:

"اللهم ارحمني ومحمدا، ولا ترحم معنا أحدا.."

فصحك، لرسول عنه السلام لسداجه الرجل وقال له:

"لقد ضيقت واسعا، يا أخا العرب!!"

لقد حاف لرجل ألا تتسع رحمه الله لكثيرين. فأراد أن يعصرها على نفسه. أو عليها مع الرسول!!

وإن كثيرين من لعنهم نفس السداجه وهم لا يشعرون. كثيرون يدعون وهم من إحابة الله في شئ. وكثيرون يسمحون للبأس أن يحجبهم عن رؤية الرحم الكريم والمجيد الودود.

وعلافة للمؤمن بربه بحاجة إلى حظ كبير من الرجاء في الله. وإلى حظ معدن من الخوف منه. بحاجة إلى محبة، وإلى توقره. ويستعيم هذه العلاقة بعدد السوارن. لدى بسم من شعور المؤمن بالرجاء وشعوره بالخوف. شعوره بالمحبة، وبالنوفير.

إن لدين يستسلمون للخوف من مساءله الله وحسابه دون أن تهب عليهم سمات الرجاء. لعابية يحجبون بعيدا عن العرفاء وهم لا يشعرون ومثلهم الدين يستسلمون للرجاء استسلاما يسيهم حساب الله ويلهمهم عن حقيقه توقره.

وكن احتلال في السوارن بين الخوف والرجاء في قلب المؤمن، يرجع في المحبة إلى طبيعته أو إلى مسلكه بحاهما. أم هما. الرجاء والخوف. فيتبدلان المهمة.

المسبوطة بهما تلقائيا في حذق كبير.

فارجء في شيء ينادى الخوف من صده و لحوف من شيء ينادى الرجاء في أمسه. لكن مرجء النفس هو الذي يعرط في استخدام أحدهما فيطعمى على الآخر، ويجرف النفس في طريقه إلى الإفراط في اليأس بلا أمل، أو في الرجاء بلا كبح من أجل هده، كان الرسول حرياً على أن يخلق المؤمن بجنة حتى الرجاء و لحوف المحبة والتوفير، لكي يبلغ بهما من رضوان الله ويعينه ما تقر به عينه.

والخوف من الله على أنه حال مختلف عن الخوف من غيره..

إن الخوف منه سبحانه وتعالى يكافأ بالمعزة وحسن الثأب، يصرب رسول لهذا مثلاً فيقول:

"إن رجلاً كان فيكم دغسه الله مالا - أي أكثر ماله - فقال لبيبه لما حصره الموت: أي أب كنت لكم؟ قالوا: خير أب. قال: فبني لم أعمل خيراً قط، وإذا مت فأحرقوني ثم اسحقوني، ثم دروني في ربح عاصف  
 "ففعّلوا، فجمعهم الله، فقال: ما حملك على ما صنعت؟  
 "قال: محافتك..  
 "فتلقاه الله برحمته"!!!

فمخافه الله كما يدركها الرسول ليست سلا إلى الرعب والفرع، بل هي حفر إلى لمريد من العمن الصالح ومن التعوى. يقول عنه السلام  
 "من خاف أدلج.. ومن أدلج بلغ المنزل"  
 "ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة"

فالخوف هـ داع إلى الإدلاج، أي المبادرة بالسبر إلى الله قبل أن يمتلىء طريق الحياة بالعوائق والعقبات.

ولقد كان لرسول في مقامه العالي، يخاف الله مخافة من يعرف قدره العظيم، ولقد سئل عليه السلام عندما أخذ الشب يرق من شعر لحيه ورأسه، فقال:  
 "شيبتي هود وأحوابي"

يعنى سورة "هود" وسورة "يونس" وأحوايتها من السور المملئة بالآيات لراعده

والمندرة.

وقرأ يوماً سورة "الدھر" ثم قاله:

"إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون"

"أطلب السماء - أي سمع أريها - وحو لها أن تنطأ"

"ففيها موضع قدم إلا وملك واسع جهته ما جدك الله.."

"والله لو تعلمون ما أعلم لصحكتم قليلاً، ولبيكم كثيراً، ولخرجتم إلى

لصعدات تجارون إلى الله.."

والذي كان يعلمه الرسول عليه الصلاة والسلام، ملأ قلبه خشية الله وتوقيراً له.

ولكن لم يملأه فرحاً ولا رعباً - وهذه مزية الخوف من الله - فهو مهما يكس صعطه ووقعه

على النفس، لا يكاد يرايلها حتى يحلف لها سكونه الأمن وبرد القين

يقول العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه:

"كما حلوماً مع رسول الله ﷺ تحت شجره، فها جب الريح، فوقع ما كان فيه

من ورق نجر، وبقي ما كان من ورق أخضر.."

"فقال رسول الله ﷺ: ما مثل هذه الشجرة؟"

"قال القوم: الله ورسوله أعلم.."

"فقال: مثل المؤمن إذا اقشعر من خشية الله عر وجل، وقَعَتْ عنه دونه،

وبقيت له حسنة.."

والخوف من الله كما يراه الرسول وكما يعلمنا إياه، هو امتلاء المرء بخشية الله

ويأخذه به، وخشيه أنه عبادة وفرابي بعد النفس فيها هاءها وترقب ثوابها !!

ولقد حدث الله عباده عن عطاائه ونعمه وجناته ثم قال:

﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي، وَخَافَ وَعِيدٌ ﴾..

\* \* \*

من أجل هذا، كان الخوف والرجاء تجاه الله عر وجل، وجهين لمصيله واحد،

تركوا به علاقه لعمد بره ويستقيم بها على طريق الدين خطه.

وكان حديث الرسول عن الرجاء قريباً من حديثه عن الخوف أو الحشة، باعتبار أن كلاً منهما مُفَصِّلٌ إلى رحمة الله ورسوالة بقول عليه الصلاة والسلام:

"قال الله تعالى: يا ابن آدم.. إليك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك عني ما كان منك ولا أبالي.."

"يا ابن آدم، لو بَلَغَتْ دُوبُكُ غَايَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَعْرَضْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ."

"يا ابن آدم، لو أَبَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ حَطَايَا - أَيْ بِمِثْلِهَا - ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تَشْرِكُ بِي شَيْئاً لَا تَيْتَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً"!!

فإذا لَقِيتَ اللَّهَ لَا تَشْرِكْ مَعَهُ فِي الْأُلُوهِيَةِ إِلَهاً آخَرَ.. وَلَا تَشْرِكْ مَعَهُ فِي طَاعَةِ، طَاعَةِ الشَّيْطَانِ وَالْهَوَى وَالْحَظِيئَةِ؛ فَإِنَّهُ يَعِدُ نَوْبَتَكَ الصَّادِقَةَ وَيُشَبِّهُكَ عَنَى حَسَنِ ظَنِّكَ بِهِ وَرَجَاءَكَ بِهِ بِمَلَأِ الْأَرْضَ مَعْرَةً.

والرجاء في الله - مع توقيره وطاعته - فصلة العارفين؛ لأنه يعكس فهماً مستقيماً وسديداً لعظمة الله وَجُودِهِ.

وحين وصف القرآن الكريم عباد الله المؤمنين بأنهم الذين:

﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾

قصد أن يعرف الرجاء بهذه الصفة الخاصة من صفت الله سبحانه - وهي إرحمته ليعلم أنها أقرب إليهم من أنفسهم، وأوسع من دُوبِها ويعبر الرسول ﷺ ذلك فيقول:

"لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابٍ فَهُوَ عِندَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي عَلَيْهِتُ عَصِيٍّ"!!

ولسطر إلى اللقطة الباهرة التي يتصممتها هذا الحديث الصادق، فالرسول عليه الصلاة والسلام، يبدأ إعلان هذه البشارة بقوله "لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ"

ومعلوم بداهة أن رحمة الله بكل كمالها وإسعادها أقدم من الحق جميعاً؛ لأنها من أخلاق الله القديم، الذي لا أول لوجوده. فلماذا هذا الوصف في الحديث وما معه.

معه أن الله الذي خلق الخلق يعلم ضعفهم، ويعلم قوى الإعواء والإعراء، ولشدة السعي تقوُّم رغبتهم في طاعة الله وحسن عبادته.

ومن ثم فهو مدحهم، وهو بدتر عريهم بسره الحمل، ويعطى أحطاءهم بعمرانه  
 أنجيل، ويتلقى اعتذارهم برحمته الواسعة...!!!  
 كان النبي بين أصحابه يوما حين رأى أمراء تلعم ثديها شعفى رضيع، وهى تصمه  
 إلى صدرها في حنان مفيض، فقال لأصحابه:  
 "أترون هذه طارحة ولدها في النار...؟"  
 "قالوا: لا والله، يا رسول الله.."

"فقال عنه السلام: فالله تعالى أرحم بعبده من هذه بولدها"!!

به بأحاديثه الكريمه يعرف بفصل الله العسم والعظم، ويدخل فراديس الرجاء  
 ورحمه ولأمن مطمئن مهللين وإبه لبصرت مثلا بماهى في الحمل والصدق فقول.  
 "أمر الله عز وجل بعد إلى النار، فلما وهب على شمتها، التفت وقال: أما  
 والله يا رب، إن كان ظنى بك لعسن..!!"

"فقال الله: ردوم. أنا عبد حسن ظن عبدي بى..!!"

سبحانه.. بسده الحير، وهو على كل شىء قدير.

\* \* \*

وحيث يحقق المؤمن نفسه حظا مكافئا من الرجاء والحواف، يجد نفسه ساجده  
 تلك نحو قصصه أخرى وكبرى، يحل علاقته بربه في أحسن تقويم.  
 تلك هى فضيلة الحياة من الله.

فمع محولات الرقى بروحي وتركبة النفس بنفوى الله يجد المؤمن نفسه فجاءه وهـ  
 حكمت تصرفاته كنه تلك اشعره البهرة. الحب من ربه .  
 لم يعد العذاب والعقاب الحافزين للدين يصرفه عن سوء.. بل لحياة من دى  
 بجلال وإكرام..!!

لحياة من الله، إذا كسا نفسا مؤمنة، أفاء عليها من التمسى والهدى والعطف  
 والاستقامة ما يجعلها قدوة ومثالا..

لحياة لا يحجر صاحبها عن لآثام وحسن.. بل ويحجره عن مجرد استطاع إسى  
 ما لا يلقى. وثرغبة فيما لا طاعة لله فيه..

ولقد علمت الرسول بعدوه ويسلو كه كف يكون الحياء من الله، بس وكف يرتفع الحياء فيصير شكراً لله..

فداب يوم، وقد نورمت قدماء من طول العام في صلاة الليل، ونعصن ما نحت جسمه من كثرة الكاء، سنل- لم كل هذا وقد عمر الله لك ما تقدم وما تأخر؟ فكأن جوابه:

"أفلا أكون عبداً شكوراً"؟

إحابة تنفجر حياء وتوقيراً، يقدمها هذا السي الكريم العائس:  
 "إن لكل دين خلقاً..  
 "وخلق الإسلام، الحياء"!!

فيم كن عباؤه في العبادة والشك؟ أستمع الله العظيم.. أقول عباؤه؟ هو الذي سماء غبطة روحه، وقرة عينه؟

فيم كن بكاؤه الذي كن يبعث من صدره أثناء بعض صلانه وله أريز كاربر المرجل؟

أكان بكاؤه من خوف..؟ هو الذي دل له ربه الكريم:

﴿وَلَسَوْفَ يَغْفِيكَ رَبُّكَ قَرَضَى﴾

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

﴿وَأِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

لقد كن بكؤه المستل، ودموعه الأوابه، العبر الذي يملكه ويهدر عليه ليعلى به حياءه لشديد من ربه العلى الذي غمره بمصله وحبه واصطفائه، والذي كان يلقي د نه بين يديه في ضراعة العاجز عن شكره مهما يفيض في شكره، ويقول:

"سبحانك، لا أحصى ثناء عليك"

"أنت كما أنست على نعمت"!!..

وحين يتم العبد توحيد الله بالإخلاص له، ويحب كل أخطائه بوبة بصوح يعتذر

بها إلى ربه، ويبدأ به عهداً جديداً يعين بأريج عمو الله وعير طاعته.

عندم محمى ذلك لنفسك، فهتئها للروح ناعظم طاعات الروح وأمضى هوا.. مدقة

التوكل على الله.

وإما أقول: "طاقة التوكل" لأن التوكل الصحيح طاقة لا تسهي لأبعد موده  
وآمد اقتدارها.

والغلب العامر بهذه الطاقة يكاد يعضاه تتحول إلى مقادير !!

عندما خاطب الله عباده قائلاً:

﴿وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

كتب الآية الكريمه بدلهم على أصدى والى سمات الإيمان وبر هين وجوده

وكذلك حين ساق المراءى الكريم هذا الحوار الفاصل السريع

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ، فَزَادَهُمْ إِيمَانًا، وَقَالُوا

حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ..﴾

فَالْقَلْبُ بِغَمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَضْعُفْ سُوءٌ، وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ، وَاللَّهُ ذُو

فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾.

فالتوكل بحق دُخْرُ طاقه، ومسح قوة لا نظير لها بين ما نعرف من طاقات وقوى !!

ويبدأ التوكل عند رسول الله بالتوحيد أيضاً - فما دام الله وحده هو الله، وما دام

الامر كله له، والقوه كلها منه، فعيم اعتراض العبد يحوله وقوه ؟

إن تصوبص الأمر لله، وحس التوكل عليه، ودوام اللجوء إليه ليس سوى قرار

بالحقيقه المطلقه، واعراف بوقع لا مهرب منه ولا ريب فيه

وإذا كان الإنسان لا يملك لنفسه بعد ولا صراً، فكيف يملكها له غيره أو كيف

يملكها هو لغيره...؟؟

إن رؤيه النفس والاعتراض بقوتها من شر ما يطمس علاقتها بالله سبحانه

وها هو ذا الرسول يقول صارعاً لربه ومولاه:

"اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين فأعجز . ولا إلى الناس فأصعب" !!

فهو مع ما أنعم الله عليه من بصيرة تنوقد دكاء وسوراً، يحاف أن يكله الله إليها،

ويسأله ألا يتخلى عنه ولو لطرفة عين..!!

إن تجرد العبد من حوله وقوته، ولجأه بحول الله وقوته، به على أنه قد عرف طريق.

ومن ثم، ولكي نظل علائقنا بالله مصداق سور توحده والثقة به - روح الرسوب ير كسى  
فينا الثقة بالله وحسن التوكل عليه.

وبه عليه السلام ليصف المؤمن ويكشف عن أنهى حبله، فيقول:

"أن يكون بما عند الله، أوثق منه بما فى يده".

ويعلمنا أن بدأ أمورنا كلها بسبحاره الله فيها، لكي نفسى بوكلنا عليه مشدود

الأصرة، ولكي يهتدى بخيره الله إلى الصواب والساد فى امر.

يقول عليه السلام:

"دا هم أحدكم بالأمر فترك ركع ركعتين من غير المريضة، ثم لعن - أى بعد الصلاة -

"الله إني أستحرك بعلمك، وأستغدر بك بعد تركك، وأسألك من فضلك العظم؛ فربك تعذر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب"

"اللهم إن كان هذا الأمر خيرا لى فى ديسى ومعاشى وعافيه أمرى، وعاف حل أمرى وآجله، فاقدره لى، ويسره لى، ثم بارك لى فيه.

"اللهم وإن كان هذا الأمر شرا لى فى ديسى ومعاشى وعافيه أمرى وعافى  
أمرى وآجله، فاصرفه عى واصرفه عى، واقدر لى الخير حيث كان، ثم رضى به.

"ويسمى حاجته.

ولقد كان عليه السلام يقول ويعلمنا أن نقول:

"اللهم خر لى واخر لى".

"اللهم دير لى؛ فإننى لا أحسن التدبير.

وحسب يحفظ التوكل الدبد علائقنا بالله من الليله، والاصباح، رأب الرسول

عليه اسلام يرفض، الطير والتشاؤم ويعتمد إد، رأب، أو سمع ما قد يحمدنا عى

لتشاؤم أن ندعو ربنا قائلين:

"اللهم لا طير إلا طيرك..

"ولا خير إلا خيرك..

"ولا إله غيرك..

"اللهم لا يأسى بالחסنات إلا أنت..

"ولا يذهب بالسيئات إلا أنت"

رب بهذه الثقة لعظمته بالله، يستطيع أن يجاور مواقف الشؤم والشيطان، في  
سداد الحياة، وغيرها، وعطاياها..

\* \* \*

و لو كان الحق على ربه سبحانه مقرر بأن العلاقات بين العبد وربّه قد بلغت دروة  
الصدق والكمال بما تنظمه من نور المعرفة به وحسن الظن، وبما النفس  
وهذا معنى قوله عليه السلام:

"لو توكلتم على الله حق توكله؛ لرزقكم كما يرزق الطير - تعدو حماصاً  
وتروخ بطناً.."

فالمؤمن يحمي التوكل ويمسك حصته إذا هو بلغ في ثقته بقدره الله ويعطيه مبلغ  
الطير إلى يده عريتها وإلهام الله الكامل فيها بأن الله رزقها لا محالة وأسها لا  
تبحث عن رزقها، لا بالمقدر الذي يبحث به رزقها عنها. !!

ويثبت هذا الحديث على أن التوكل يعين وحركته؛ بقين بأن الله قد قدر كل شيء  
تقديرًا، وحركة تسعى في جد لا يكشف هذا الممدود واكتسابه  
يقول عليه السلام:

"وَعَلِمَ أَنَّ مَا أَصَابَتْ لَمْ يَكُنْ لِنَحْطَنَتْ، وَمَا أَحْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ"

فحين نعلم هذا، ونتيقنه، نسلحنا التوكل إذن بقوة عظمى تكسح كل ما يعجأ به  
للبالي من مخاوف ومخاطر، وبمكتب من السر يحطى وأبما في دروب الحياة.  
وهكذا لا يعود التوكل بأكمل ولا خذلاناً، ولا إحلالاً للمعود والكيل بين حركته  
دنية يدفعها قلب موصول القربى بالله، راسخ النفس بما عنده

كما لا يبدو وكأنه صرّب من جذاع النفس، بل شحّ لها بالإدراك الحق لعظمته الله

وقدره وهمه. وهو إدراك لا يحصى وهو سلم الأمر لله أن يأخذ بالأسباب  
لتي هيأها الله.

إن الناس جميعاً يحفظون كلمة الرسول:  
"أَعْمَلُهَا وَتَوَكَّلْ".

وهي في بركيها الشديد تعطي التعبير النهائي لحقيقته لتوكل وقد.  
والتوكل - أو يستعير أصح - "روح التوكل" التي نعيشها يحدث هذا، يقتضي من  
الإنسان ألا يسيء الظن بما يختاره الله له، بل يتقبله بقلب شكور وحبّة صادقة.  
يقول عليه السلام:

يقول الله تعالى أنا عبد ظن عدي بي وما معي حيث يذكرني

وهنا تلقي بركة أخرى من ركائز علاقتنا بالله..

دلكم هو الرضا به والرضا عنه. وأصحاب هذا الرضا هم الذين يعيهم لقرآن  
الكريم بآمهم:

﴿ رَضِيََ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَرَضُوا عَنْهُ ﴾.

إن علاقتك بالله سبحانه بهتز صورتها وتعمد نورها أمام أي جرح يعبر به عن فضله  
الله لك وتقديره عليك.

أما التهلل والحمد فيريدانها نوراً وسكينة.

يقول عليه السلام:

"عَجِبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ. إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ"

"إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ؛ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ..

"وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ؛ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ..

"وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا الْمُؤْمِنُ".

حقاً، إن أمره لعجب. هذا الذي يقهر إغراء الحير، فيصع مكان امره به نوصف  
وشكراً، ويهز إغواء البصر؛ فيصع مكان الحرج منه سليماً وصبراً وترفع علاقته بربه  
من حلال هذا السلوك المرغوب إلى حيث لا يعمها نصب ولا لغو.

يقول عليه السلام:

"ذاق طعم الإيمان من رضى بالله تعالى ربا"

فمن رضى بربوبه الله ركعُ أمام قصائه، وسجد لمشيئته  
وكم هي باهرة وآسره ومعتنه هذه الكلمة "رضى" فالله لا يعرض نفسه على الناس،  
ولا يكرههم على اعتناق ربوبيته.  
كل ما هو مطلوب من الإنسان أنه إذا "رضى بالله ربا" فإن عليه أن يعرف حقه  
وقدره، وأن يتقبل قضاءه وقدره.

والناس يرضون بالله ويرضون عن الله ثلثا: إذا جاءهم الخير وعمرهم المعمد  
بد أنهم يجرعون رداً منهم السوء والعلاقة التي تنهص على أساس كهذا لا تبشر بخير  
من أجل هذا حرص الرسول على ألا يكون دُكْرُنا لله وشكرنا إياه ورضانا عنه عند  
حدوث ما يكره، أقل منه عند مجيء ما نحمد. جلس عليه السلام يوماً بين أصحابه قد

"من أعطى، فشكر"

"وابنى؛ قصير"

"وظلم؛ وسعير"

"وظيم؛ فعير"

ثم سكت، حتى سأله أصحابه ماذا لهم يا رسول الله؟

فقال:

"أولئك لهم الأمن وهم مهتدون".

وليلاء الذي يربى بالناس في أنفسهم أو في أهلهم، أو في أموالهم وحياهم، لا  
يسعى أن يهرع علاقتهم بالله وحسن ظنهم به.. لأنه يحمل في مشقه العائنة نعمة كمنه..  
يقول عليه الصلاة والسلام:

"ما يَبْرَحُ البلاء بالعبد حتى يمشى على الأرض وما عليه خطيئة".

ولقد دحس عليه يوماً وهو موعوك، أحد أصحابه، وأحسن وهو صافح لرسول  
بارتفع حرارته فقال: "ما أشد حُمَاك يا رسول الله".

فأجابه الرسول:

"إنا كذلك.."

"يُشدُّ علينا البلاء، ويُضاعف لنا الأجر".

فكبت الحباء ومشاقها لا تذهب بدداً إذا أصب بها المؤمن هـ هو ذا رسولنا  
يتحدث:

"ما يصيب المؤمن من نصب، ولا وصب ولا هم، ولا حر، ولا أدى، ولا غم، حتى  
الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها".

وكل الذي يتمناه المؤمن الصادقون ألا يكون لبلاء الذي يرسل بهم مظهر محمد  
من الله عليهم، أم البلاء ذاته فما يسمى أن يريد علاقتهم بالله إلا رسوخاً وعمقاً وأثراً  
وما هو ذا رسول الله يبشرهم:

أشد الناس بلاء، الأنبياء..

"ثم الأمثل، فالأمثل".

بن هـ هو ذا - عليه صلاة ربنا وسلامه - يحبرنا أن اسلاء قد يكون معرجاً يرقى  
بأصحابه، إلى الدرجات العلى ويقرب بهم من حضرة الملك الأعلى، فيقول:

"إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة فلم يبلغها بعمل، لبلاه الله في جسمه،

أو ماله، أو ولده ثم صبره على ذلك حتى يبلغه الممرلة لتسبب له من الله  
عز وجل".

ويحبر الرسول الكريم في صورة من أبهى الصور إلى يعرفها به رحمة الله وحده  
- أن المؤمن حين يمرض، ويحمله مرضه على الأيis والنأوة، تصرع الملائكة الذين هم  
معه من حفظته إلى ربهم، فيقول الله سبحانه:

"إني أحب أن أسمع صوته".

أجل كم من عباد الله يحب أن يسمع بعريدهم وهم يشكرون..

ولكنهم يفعلون، فينبليهم شيء من الصبر لسمع أنسهم وهم يدعونه، وهم خلاف ما  
يصيبهم من صر، وما يجدون من ألم يطهرهم تطهيراً، ويهشهم لمقعد صدق عبده.  
ها هو ذا عبده ورسوله يقوله:

"ما يرال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفس والولد والعب، حتى يلقى الله  
تعالى وما عليهما خطئة".

وهو ذا يقول.

"من أصيب بمعصيته في ماله أو في نفسه فكفها ولم يشكها إلى الله، كان حقاً على الله أن يعفر له".

بهذه الأحاديث لصدقة يقدم الرسول تفسيراً حقيقياً، وليس مجرد عراء لبلاء ولم يمكن أن يكون وراءه من خير ونعمة.

ولكن الرسول الذي آواه الله الحكمة لا يرمي لعلاقة المؤمن بربه أن تصنع من جاسب، ونسوء من جاسب آخر فهو يحذر من أن يكتسب الرعب بالعصاة والصبر على لبلاء بفشية من العزور ورؤية النفس.

بذلك لا يكاد يسمع واحداً من أصحابه يدعو الله قائلاً  
 "اللهم ارزقني الصبر".

حتى يقول له:

"بل قل: اللهم إني أسألك العافية".

من هو ذا عنه سلام لا يكاد - يوم الطائف - يقول في أيديها المأثور  
 "إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي".

حتى يتبعها من فوره بقوله:

"ولكن عافيتك أوسع لي".

إن إلحاح على الله بالعافية - فضلاً عن حاجه الإنسان إليها - بمثل عبودية معتفـه

إلى الله، ليس معها ما تزهو به من قوة وجلد..

من أجل هذا، ولكي يحيا المؤمن دوماً في نور فطره إلى الله جعل الرسول الدعاء

بالعو والعافية أفضل الدعاء فقال:

"ما من دعوة يدعو بها العبد، أفضل من اللهم إني أسألك العو والعافية"

وتسأله أم المؤمنين "عائشة" رضي الله عنها:

"يا رسول الله، أرايت إن علمت للة القدر، ما أقول فيها؟"

فيجيبها عليه السلام:

"قولي: اللهم إني أعوذ بك من العو قاعف عني".

فالبصرع، لى الله فى سؤال العاقر المعطر صرت من النعى كبر الفيمه عظيم  
اثوابه

والعلى الكبير، يحب عبده الدس بمشون على لأرض هو، ويدعونه بصرف  
وحفيه

من أجل هذا يوصى الرسول بالدعاء، لموى به علاقب بالله وبردهر

\* \* \*

يقول عنه السلام.

"الدعاء هو العباده"

"لدعاء فتح العباده"

ثم بعنما الدعاء بكل شعائره ويحصب على مداومته واستمرار لهجا به.

دبت لأن الدعاء يصور يقا بالله إله، ومعدراً، ووهب و لدى يطلب من ربه

كن حاجانه، ويدكره عند كل مسعى له، إسان حسن المعرفه بالله، وثيق الصلة به سبحانه،

والهيج بدعاء والاسهال إلى الله ودوام سؤاله دليل على توحيدة.

يقول عليه السلام:

"إذا سألت فسال الله..

"وإذا استعنت فاستعن بالله"

ولأن سؤال الله فى كل شىء اعراف بمصله فى كل شىء، فقد أمر الرسول أن

نسال ربنا حاجتنا كلها حتى النزر اليسير منها.

يقول عليه السلام:

"ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى الملح.. وحتى شئبع بعله، ذا انقطع".

ولأن الدعاء عبادة بطالبها الرسول يحصور القلب حين يدعو:

"اعلموا أن الله لا يسجيب دعاء من قلب غافل لاه".

ولأنه مظهر لعن الله، بطالبها الرسول ألا يكون أساسيين فحتص به أنفما دون

الآخرين:

"ما من مسلم يدعو لأحبه بظهر الغيب إلا قال له المثلث، وثلاث مشه".

إن قصه الدعاء ليست من العبادات العادية بحيث يمر بها سراعاً ونحن نحدث  
عن علاقتنا بالله، وربنا لشغل من الموضوع جانباً  
فيها وأنت ندعو الله وسأله، تكشف عن حقيقة إيمانك به، وعن درجة عوديت له.  
وبميت بالإجابة فماذا لما في قلبك من الشئ به، من أجل هذا يعلم الرسول  
ويقول:

"ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة".

لا مكان للشك ولا للتردد:

"ورد دعا أحدكم فلا يعمل اللهم اعمر لى، ر شئت اللهم أرحمى إن  
شئت. ولكن لبغرم المسأله، فإن الله لا مسكره له.

ولا معنى للبأس أمام إرجاء الإجابة.

"يستجاب لأحدكم ما لم يستعجل".

وتبادل العلاقة بين الله وعباده تتجلى فى الدعاء تحلاً باهراً.

فهو سبحانه لا يستجيب دعاءنا فحسب.. بل إنه ينتظره ونحن سماعه. !!

سَلُوا اللَّهَ تَعَالَى مِنْ فَضْلِهِ، فإن الله يحب أن يُسأل.

"وأفضل العبادات، انتظار الفرج".

ويضعنا الرسول أمام مشهد تذوب الأفعدة من قرط حائه إذ يصور لنا ذلك الجلال

المريد عندما يقرب الله من عبادته فى الهريج الأخير من الليل إلى صلاة الفجر، حيث

لأنام يوم.. لا جماعه من عبادته، تحدث جوبهم عى العصب حج وخروا لربهم سُحداً

وَيُكَيِّبُ.. هنالك يعمرهم الرحمن بوره، وبدي:

"أنا الملك، أنا الملك..

"من يدعونى، فأستجب له..

"من يسألنى، فأعطيه..؟

"من يستعمرنى، فأعمر له..؟"

أرأينم..؟ هـ: ربا يبحث عما يعتمد أصوات الصادعه، وبهالانا الصارعه، !!

من ذا الذى يسأله، فيعطى..؟

ومن يريد، فليأخذ...؟

\* \* \*

إن الرسول يؤكد لنا استجابة الله دعاء من يدعوها فله يقينه بقول الله له.  
 ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا  
 فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾  
 وإنه يهتدي إلى الصواب أولئك الذين يتأثرون، لماذا يدعو ولا يجد، جابه؟  
 فيقول: وهو يدعوه يحدث المؤمن ليس يستجيبوا الإجابة من الله  
 "ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطعه رحم، إلا أعطاه الله بها  
 إحدى ثلاث.."  
 - إما أن يعجل له دعوته..  
 - وإما أن يدرها له في الآخرة..  
 - وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها"  
 ولقد قال أصحابه الذين سمعوا منه هذا الحديث: لمشر.  
 "يا رسول الله، إذن نكثر"  
 فأجابهم قائلاً:  
 "الله أكثر.."  
 بل لقد بلغ نفس الرسول بإجابه الدعاء حداً جعله ينها عن أن يدعو على نفسه  
 أو على أولادنا في لحظة غضب.  
 يقول عليه السلام:  
 "لا تدعوا على أنفسكم، ولا على أولادكم، ولا على خدمكم، ولا على  
 أموالكم، حتى لا يوافق من الله ساعة عطاء، فيستجيب لكم.."  
 إن نوع الدعاء الذي نتجه به إلى الله، ودرجه إلحاحه على الله في خشوع وتقوى،  
 ويقيننا بقدرته وبمصلته.. كل هذا يمنحنا علاقة ناصرة بالله.  
 إن الدعاء قربة عظمى مركوبها النفس والروح، لأنه استجابة الله  
 "يا عبادي.."

كنكم جانع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم  
يا عبادي..

كلكم عار إلا من كونه، فاستكسوني اكسكم  
يا عبادي..

إنكم نحفنون باللس و لهار، وانا أعمر، بدوب حمص، فاستعمروني اعمر  
لكم.  
يا عبادي..

لو أن أولكم وآحركم، ورسكم وجكم، قاموا في صعيد واحد فسألوني  
فأعطيت كل سائل ماله ما نقص ذلك مما عدى إلا كما يعص المحط  
إذا أدخل البحر..  
أرأيتم..؟؟

إن الله نزع أبو با أجل، هو. لا يخى. هو الكبير المعتدل، ينادينا كي سألته.  
ويدعونا أن ندعوه ويفتح لنا أبواب رحمته وفصله بعبر حساب.. ويهدا الحبان العامر من  
دى الحلال والإكرام تعثر علاقتنا بالله على شربها العذب المورود. هما الرجاء لدى لا  
مسهى له فى رحمته الله وعطائه. وهما اليقين لكل صاحب نعيم يمول صراعه و استجابة  
دعائه..

إن مربة الدعاء الأولى أنه يجعل علاقتنا بالله سبحانه، فى حركة ربه مسمرة.  
وهى بادل حمى بين الله وعبيده - يحمل من العبد الدعاء، ويحمل من الله الإجابة.. عسى  
لنحو الذى يعلم فيه الخير لعبيده.  
من أجل هذا، كان أحب الدعاء إلى الرسول ﷺ، كل دعاء يصور عجز العبد  
وافتقاره الحقيقى إلى الله.

فهو - مثلاً - يستغفر الله ويدعوا أن يستغفره بهذه الصيغة:

"اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت. خلقتنى..

وأنا عبدك.. وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت"

"أعوذ بك من شر ما صنعت..

"أَبُو لَكَ بِمَعْمَتِكَ عَلَيَّ. وَأَبُوهُ بِدِينِي فَأَعْمُرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَعْمُرُ لِدُنُوبٍ إِلَّا أَنْتَ." ويصف الرسول ﷺ هذه الصيغة بأنها "سيد الاستعصار" فلماذا كانت كذلك؟ لأنّها كما نرى، تحمل كل إقرار العبد، وفقر العبد، وولاء العبد للعلّي الأعلى الذي بيده الأمر وإليه المصير.. ويحدثنا "عبد الله بن عمر" رضى الله عنهما، يقول:

"لَمْ يَكُنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ حِينَ يُمْسِي وَحِينَ يَصْبِحُ،  
 "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدِّينِ وَالْآخِرَةِ."  
 "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي، وَدِينِ وَأَهْلِي، وَمَعْنِي."  
 "اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي."

"اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ نَوَاقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُعْتَالَ مِنْ نَحْتِي - يَعْنِي أَنْ يَحْصِفَ بِأَرْضٍ هُوَ فِيهَا."

إنه - عليه السلام - يعلم المؤمن كيف يحصعون لله في دعائهم، وكيف يرجون رحمته ويحذرون عذابه.. ولروح والطريقه والكلمات لى نلجأ بها لى الله جديرة بأن تتركى علاقتك بالله، وتزبد هذه العلاقة عافيه وبنوراً.

ولكن، لماذا يجعل الرسول الدعاء فتح العباد؟

لأنه يمثل حقيقه الإيمان، ومدى العبر الذى يحمله المؤمن لربه؟

لأنه تجديد مستمر لروح العلاقة، لفائمه بين الله وعباده؟ أجل لذلك كان الدعاء مع العبادة..

\* \* \*

ويكن مع هذا كله، وربما قبل هذا كله - لأنه ذكر الله - وأمرهم بذكر الله بجزء على رأس الركائز التى يقسم الرسول عليها علاقتها بالله سبحانه، لى كمشه شىء وهو السمع البصير، إن علاقه لإسان المؤمن بربه تحقق بذكر الله أقصى كمالها وكنمالها، ذلك أنها تتحول من علاقه إلى "معنه" فيصبح العبد الداكر فى معنه الله وبين أفراد رعيته، يقول عليه السلام:

"يقول الله: أنا عند ظن عبدي بي.."

"وأنا معه إذا ذكرني.."

"فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي.."

"ومن ذكرني في ملا، ذكرته في ملا خير منهم."

فالحديث هنا يعنى هذه المعية الجليلة شكلها حين يحبرها أن المؤمن الذي يذكر

الله في نفسه، يذكره الله في نفسه. والذي يذكره في ملا، يذكره الله في ملا خير منهم.

ولقد سأل رسول الله:

.. أي الأعمال أحب إلى الله..؟

فأجابه الرسول عليه السلام:

"أن تموت، ولسانك رطب، من ذكر الله"

وذكر الله، هو ذكر الله. وسواء كان بالنسيج، أو الاستغفار أو بالنهس.. والهيليل

هو الذكر "لا إله إلا الله" أو كان بقراءة المرائد الجوهر في هذا كله أن يحسن الذكر  
سمه وحقيقته.

لقد سمى الله رسوله "ذكر الله"، فإذا ما انتهى إلى أن يكون مجرد سرد لاسم الله

سيحبه بسبب عجزه وقلب مشغول فما هو يذكر أبدأ. إن معنى ذكر الله وجود حالة من

لحضور الكامل في حضرة الله. والاستحضار الواعي لعظمته وجلاله، ثم ذكره في

حشوع وبقطة ينظم القلب والجوارح معاً.

فالذاكرون ربهم بهذا الحضور هم المعنيون بقول الرسول:

"سبق المفردون"

قال أصحابه:

"وما المفردون يا رسول الله..؟"

قال عليه السلام:

"الذاكرون الله كثيراً. يصعب الذكر عنهم أنفالتون يوم القيامة حفاطاً"

إن مربة لذكر ماثلة في أنه لا شيء يقهر الشيطان مثله.

يقول عليه السلام.

"وأمركم بذكر الله.. ومثل ذلك رجل طيه العدو سراعاً في أثره حتى أسي حصاً حصيئاً فأحرز نفسه فيه.

"وكذلك العبد، لا يسجو من الشيطان، لا بذكر الله"

ومزقه كذلك أنه يطمس بوازع الشيط في النفس. ذلك أن الذي يدوي في جسات

روحه وروعه معني "لا إله إلا الله" إلى فترة طويلة من الوقت الذي يقطعه الذكر في خشوع وتقوى لا يلبث مع مداومة الذكر حتى يجد نفسه سيداً لكل نفسه، سيداً على هواه، مجاوزاً كل آفات الشيط والخذلان.

ولعل هذا ما عناء الرسول بقوله:

"من عجز منكم عن الليل أن يكاهد.

"ويحل بالمال يفقه.

"وجبن عن اللغو أن يجاهد.

"فليكثر ذكر الله.."

جن، إن ذكر الله لن يكون كفارة لكل هذا المعر وحسب، بل إنه قبل هذا سيكون

القوة التي تقهر هذا المعر -كون النور الذي يكتس ظلمات اليأس، والمقدرة التي تجعل من عجز المؤمن خيراً ماصياً، وملاءم عافية الدين والإرادة والضمير.

لقد عني الرسول بذكر الله حتى جعله فارقاً بين الحياة والموت فهو ذا عيه

السلام يقول:

"مثل الذي يذكر ربه، والذي لا يذكر الله، مثل الحي والميت."

وإن أم أنس بن مالك رضي الله عنهما لتسأله:

- يا رسول الله أوصني..

فيوصيها عليه السلام قائلاً:

"أهجر المعاصي؛ فإنها أفضل الهجرة..

"وحفظي على العرائص؛ فإنها أفضل الجهاد..

"وأكثر من ذكر الله؛ فإنك لا تأتي الله بشيء أحب إليه من كثرة ذكره"

إليه لا قرب له ولا عبادة إلا وتمثل وشيخه مبارك ميمونة بس الله وعنده.

ولكن ذكر الله خاصة فضلاً عن كونه وشيخة من أقوى هذه الوثائق، فهو عيد من أعياد الروح أو فرح من أسعد أفراحها!!  
يقول عليه السلام:

"لا يفعد قوم يذكرون الله، إلا حفنهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، وبرك عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده".

بل إن الرسول لحير أن هؤلاء الذين يجتمعون على ذكر الله وحفهم الملائكة يبال من تركهم كل من شهد مشهدهم وشم عيبرهم واقرب من رب صهم، حتى ولو سم يشاركتهم الذكر؛ لأن الله يقول لملائكته:  
"هم القوم لا يشقى جليسهم".

ومجالس الذكر التي يجتمع دوها على خير وفي خير، حاشين لله، باديين، لرياء والبدعة، محاضين له الدين - إنما هي من رص الفردوس وإن تك في الدنيا  
أسم يمر يوم، برحدى سفارات الدول في القاهرة..؟

إن سفارة نفع في أرض مصرية، وتحل مكاناً في شارع من شوارع القاهرة. ومع ذلك فهي بمجرد دخولك من بابها أرض أخرى تسع الدولة التي تمثلها السفارة، وتتمتع بكل حصانتها وحقوقها.

إن مجالس الذكر سمعد فوق مكان ما من أرض الناس، ولكنها في حصنها تتبع أرضاً أخرى.. بل سماء أخرى.. تتبع الفردوس الأعلى وتتمتع بكل ما للفردوس الأعلى من حصانة وجلال وبهاء ونعيم. يقول عنه الصلاة والسلام لأصحابه:

"إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا".

"قالوا: وما رياض الجنة يا رسول الله".

"قال: مجالس الذكر".

\* \* \*

وإن الرسول ليدعونا أن نذكر الله دائماً..

من أجل هذا يعلمنا كلمات نقولها حين نصبح، وحين نغيب، وحين ننام، وحين

تصحو، وحين بعد الدار وحين يعود إليها - وحين يرى المطر، وحين يرى الشمس، والسحاب - وحين يرى أو تلس حدباً - وحين يفرح، وحين لمصه - وحين ترجو، وحين يخاف.

في كل مواقف الحياة وحالاتها.. في كل أوقاتها ولحظاتها، يعلمنا أن يذكر الله رب بكلمات نؤمن، ثم المناسبة.. وحين يكون في مجلس ما ثم ننصتُ عنه؛ فإن الرسول عليه الصلاة وأبهى السلام يشفق علينا أن نكون قد سبنا ذكر الله في مجلس هد من أجل ذلك يأمرنا بعد كل مجلس نشهده، وتبادل فيه الأحاديث العبرة أحاديث حياة الدنيا أن يختتمه بهذا الإتيال:

"سبحانك اللهم وبحمدك"

"أشهد أن لا إله إلا أنت"

"سنعمرك، وأنوب إليك"

ويصف هذه الكلمات بأنها:

"كفارة لما يكون في المجلس."

\* \* \*

ودكر الله يعني بمجيدته والثناء عنه. واستغفاره والتضرع إليه وكثيراً ما كن لرسول يعلم أصحابه أفضل هذه الأذكار فهو يدعوهم، لى الإكثار من:

"سبحان الله وبحمده"

"سبحان الله العظيم"

"لا حول ولا قوة إلا بالله"

"سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر"

وكثير غيرها من آيات التسبح والتهليل والحمد.. بيد أنه كن يعطى حماته خاصة لذكر "لا إله إلا الله" فيقول عليه السلام:

"أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله"

ويقول لأصحابه:

"جذّبوا إيمانكم"

فيسألونه: "كيف نحدد إيماننا...؟"

فيقول عليه السلام:

"أكثر من قول لا إله إلا الله".

وإنّ حديث يفسر حقاؤه الرسول به، وخصّه المستمر عيها - ذلكم هو

"إنهم إنك بعثني بهذه الكلمة، وأمرني بها، ووعدتني عليها الجنة، وأنت

لا تخلف الوعد".

بـ "لا إله إلا الله" هي عنوان الدين كله، وهي جوهره وموضوعه

وذكر الله به يجمع لقلب بحقيقته، فإذا هو أوّل الله وحده، وإذا الشخصيه

الإنسانية كلها تدور في أجل الأفلاك وأقدسها

المهم أن تعرف كيف نقولها، وكيف تذكر الله به، وكيف يرتلها قلبك قبل أن

يردها لسابك.

ولهذا كنه علامة - تلك هي أنت مرمع مع "لا إله إلا الله" في سمو بعد عن كل

كبيرة، بل عن كل صغيرة، وأن تجد نفسك في تعدم مستمر نحو الله، يقول عيها لصلاة

و سلام:

"من قال: لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة".

"قيل: وما إخلاصها يا رسول الله...؟"

قال: أن تحجزه عما حرم الله".

\* \* \*

الصلاة نور:

ويصل، لأن إلى أعظم مشاهد الذكر والعبادة قطبة. يصل إلى العروة الوثقى لنس

لا نصاها عروه في علاقتنا بالله تلك هي الصلاة.

يقول عليه السلام في انتشاء عظيم بحلاوة الصلاة:

"وجعلت قرة عيني في الصلاة".

أجل.. إن المؤمن لا يسمعوا علاقته بالله بدروع ولا بأجمع من لصلاه - هذه التي كان  
 لرسول من شعفه به ، يكثر منها ويطل فيها حتى تورم قدماء ..  
 وإذا دعا مؤدنه "بلالا" رضى الله عنه لإقامتها دل في حور به وشوق إليها  
 "أرحنا بها يا بلال".

إن علاقته بالله تسمو سموها البعد والمجيد كلما خلصت من شوائب لهوى  
 والإثم وخطأ ولم كما بشرا ، فحق عرسه للخطأ دوما ، فمدا هلك يستطيع أن يعبر  
 هذه لأخطاء أولا فأولا ؟ بها الصلاه . ومدا هلك يريد من جلال علاقته بالله ومن  
 به نه .. ؟ إنها الصلاه .

"م من مسلم يتوصأ ، فيسبح الوصوء ، ثم يقول في صلاه ، فيعلم ما يقول -  
 أى يسمه في خشوع وبدير - لا أقبل - أى حرج منه - وهو كيوم ولدته  
 أمه .."

ويضرب لها مثلاً ، فيقول عليه السلام :  
 "أرايتم لو أن بهراً باب أحدكم يعتسل فيه كل يوم خمس مرات . أيبقى  
 ذلك من ذرته شيئاً .. ؟"  
 "قالوا : لا يبقى ذلك من ذرته شيئاً"

"قل : فذلك مثل الصلوات الخمس ، يمحو الله بهن الخطايا"  
 ولقد ذكر الصحابة يوماً رجلاً مات ولم يعرف له جليل عمل في طاعة الله ، فقال  
 لهم الرسول :

"وما يديكم ما بلغت به صلاته"  
 فصلاة لصاحبها نعم الشفع عند الله ، ونعم الأحد بيد العبد إلى رحاب الله  
 يقول "حذيفة" رضى الله عنه :  
 "كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى .."

فهو هو ذا إمام النبيين وحائم المرسلين لا يجد خيراً من ، لصلاه واسطه بيده ويس  
 ربه ، كلمه أمر . فيها يناحى ربه ، وفي سكيتها الحلوة وطمأنتها المريحة يسقى من  
 الله الأمن والنعمة والعافية .

من أجل هذا . قل في حبور وعين .  
 "وَجَعَلَتْ قِرَّةَ عَيْسَى فِي الصَّلَاةِ"

إن أهميه ، الصلاة لعلاقة العبد بربه كأهميه ، الروح للجسد - وكما أن الجسد يعتمد  
 حياته ويده به بمجرد أن يمدده الروح؛ فكذلك علاقتنا بالله تعالى يعتمد دأسها في الرمن لدى  
 تجسده فيه الصلاة وتحرم نفحاتها .

وفي هذا يقول عليه السلام:

"لَا دِينَ لِمَنْ لَا صَلَاةَ لَهُ.."

"إِنَّمَا مَوْضِعُ الصَّلَاةِ مِنَ الدِّينِ كَمَوْضِعِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ"

ويقوله:

"اسْتَقِيمُوا وَلَمْ تَخْصُوا وَاعْلَمُوا أَنْ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ"

إذ في محبر الحياة نلمحنا الخطايا من كل جانب، ونبوء يآثم ما نلعو به من قول،  
 وما سرى إليه من عمل، أفلا محتاج إدد إلى ما يذكر بحق الله علينا، وإلى ما يعمل هذه  
 الأوصار عنا أولاً بأول؟

إن الصلاة هي ذلك المذكر . وذلك المظهر .

ولقد صدق "عبد الله بن مسعود" صاحب رسول الله، إذ يقول:

"تَحْرِقُونَ، تَحْتَرِقُونَ.؛ فَإِذَا صَلَّيْتُمْ الصُّبْحَ غَسَلْتَهَا.."

"ثُمَّ تَحْرِقُونَ، تَحْتَرِقُونَ.؛ فَإِذَا صَلَّيْتُمْ الظُّهْرَ غَسَلْتَهَا"

"ثُمَّ تَحْرِقُونَ، تَحْتَرِقُونَ..؛ فَإِذَا صَلَّيْتُمْ الْعَصْرَ غَسَلْتَهَا.."

"ثُمَّ تَحْرِقُونَ، تَحْتَرِقُونَ..؛ فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْمَغْرِبَ غَسَلْتَهَا"

"ثُمَّ تَحْرِقُونَ، تَحْتَرِقُونَ.؛ فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْعِشَاءَ غَسَلْتَهَا،"

ثم تدمون فلا يكتب عليكم ذنب حتى تستيقظوا"

\* \* \*

الحق أنه لو كانت الصلاة تباع بأغلى الأثمان، لما وجد العاقل مندوحة من  
 شرائها.. فالسكينة التي تُقْبِلُهَا عَلَى النَّفْسِ، واليقين الذي تَبْسِيهِ دَاخِلُهَا، والغبطة التي  
 تُنْشِي بِهَا الرُّوحَ - كل أولئك يجعل منها أئمن ما يطلب المؤمن، ويجعل أوقات أدائها  
 أسعد لحظات الحياة

وإذا كان لا تدرك للصلاة هذه القمة، ولا تجد فيها وبها حلاوة الإيمان، وجلال القرب، ويزد اليقين؛ فلأننا لا نؤدبها كما ينبغي أن يؤدى، ولا نشهد فيها لروح والمصنوع، بل بشغفنا عدد ركعاتها وشكل حركاتها  
 يقول الرسول عليه السلام:  
 "الصلاة نور".

فما الذى يصيغ في المصباح الكهربائى أهو رجا حاد لحارجى أم أسلاكه لدفعه  
 البطنة؟..

إنها الكمية هي التي يصيغ.. ولا تكاد نحترق حتى يعم الظلام  
 وكذلك لصلاة.. فواء أشكالها الظاهرة روح. إذا لامسناه فنجرب فيها الضياء  
 وحين قال القرآن الكريم:  
 "قد أفلح المؤمنون."  
 "الذين هم في صلاتهم خاشعون"

كان يصح أعنتنا على هذا الروح الكامل في حركات الصلاة، وحين قال لرسول  
 عليه السلام:

"إنما يكتب للمرء من صلاته ما عَقَلَ منها".

كان يعنى روح الصلاة كذلك..

لقد سأله من نزل عن أحب لأعمال إلى الله سبحانه، فقال:

"عليك بكثرة السجود؛ فإنك لا تسجد لله سجدة

"إلا رفعك الله بها درجة.. وحط عنك بها خطيئة"

فهل السجود في حركة سريعة وعابرة وحالية من الروح قادر على منح هذا العنصر

وهذا الرضوان؟..

يقول الرسول فيما يحكيه عن ربه عز وجل:

"ما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه"

"ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه

الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به.."

فهذا الذى لا يتقرب المتقربون إلى الله بمثلته. والذى يعنى على صاحبه كل هذا

أحب لمفص من الله، لا يمكن أن يكون عملاً آلياً حالياً من الروح.. وإذا كانت  
لصلاة روح الدين، فالخشوع والحضور، والإحبات روح الصلاة.

وببدأ الخشوع والحضور والإحبات في الصلاة بإتمام أدائها في طمأنينة وأناة.  
يقول النبي عليه السلام:

"أصوأ الناس سرقة، الذي يسرق من صلاته.."

"قالوا: يا رسول الله: كيف يسرق من الصلاة؟"

"قال: لا يتم ركوعها ولا سجودها"

ويضرب للمصلي المتمحل مثلاً فيقول:

"مثل لدى لا يتم ركوعه، ويقرأ في سجوده، مثل الجائع يأكل لتمرير لا  
تغنيان عنه شيئاً"

إن الصلاة بمثابة "خط هانئ" بين المؤمن وربه.. فأياً لو كان يملك هذا الخط مع  
ملك أو رئيس دولة لا تمنى استثماره في كل حين؟ وأب لا يتمنى أن يتحول لمحادثة  
ونطول..؟؟

رب المؤمن القرب في صلاته.. قائماً يقرأ، أو راکعاً يقول: سبحان ربى  
العظيم.. أو ساجداً يقول: سبحان ربى الأعلى.. أو جالساً يحسب ربه بالحديث، المباركة  
الطبيب.. لسر في كل صلاته هذه إلا متاجراً ربه.. صميم العجلة لمن كان له عقل؟ وهم  
لدهول وتبذير الدهن في تفاهات الدنيا؟

لقد كان الرسول يسجد، فلا يريد أن يقوم..!!

كنت حلاوة الإيمان كلها، وعظمة الروح كلها وسعادة الدنيا والآخرة جميعاً  
تملاً لحظات سجوده، وساب في الحروف التي يصوغ منها ابتهاج له وسجواً..

"سجد وجهي للذي خلقه وصوره.."

"وشق سمعه وبصره.."

"تبارك الله رب العالمين.."

"اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، وعليك توكلت.."

"سبح قدوس، رب الملائكة والروح.."

"سجد لك سوادي وخيالي وآمن بك فؤادي.."

وكثير غيره من التسييح والمجد لله تعالى الكبير . كانت روحه المتصلة بالله  
دوماً تجد أسعد أوقات اتصالها في الصلاة .  
ولقد وعد الرسول كل مُصلٍّ في خشوع وخصور بأقباس من ذلك لصباء، ورب حين  
من ذلك الرضوانه  
المهم أن يعرف كيف يصلي .

إن العارق كبير بين من يحرك أعضاء جسمه حركات تلقائية لا تعنى شيئاً ،  
ومن يحركها حركة مدروسة مسقة لحصل بها على تفوق ربيضي وسلامه بديهي .  
وكذلك، فالعارق كبير بين من يصلي . والذي يصلي ليصل بصلاة هده إلى تفوق  
روحي مأمول، ولدخل بصلاته دائرة الصوء والرحمة والرضوان .  
لقد سمع لرسول يوماً أحد المؤمنين وهو يصلي خضعه يقول بعد أن نهض من  
ركوعه:

"ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه"

فسأل عليه السلام بعد أن أتم صلاته:

"من المتكلم..؟"

قال الرجل: أنا .

فقال له النبي:

"لقد رأيت بصعة وثلاثي ملكاً يتدربونها، أيهم يكتبها أولاً!!"

فهل كل من قال هذه الكلمات تتسابق ملائكة الله لكتبتها ورصدها . ؟

ولماد إذن حظت من ذلك المؤمن بكل هذه الحفاوة وهذا القول .

إن حديث الرسول يحمل الجواب والتفسير . فلو أنها خرجت من فم لرجل وحده  
لدهبت كما نذهب آلاف الكلمات . لكنها لا بد كانت تحمل خشوع وقوت وإحباط كل  
درة في قلبه وروحه وكيانه .

فرا الفرحه في خشوع متأملاً كلماتها المصنعة . وسبح ربك وأنت رافع أو ساجد  
في خشوع، وأذرع على الكلمات التي تسبح بها ويدعوه قلبك وخاطررك . وطمئن وبناً ولا  
تعمل عجلة من يريد أن يفعل من موجب يملأ بالصيق نفسه!!

بينما الرسول يجلس في المسجد يوماً مع أصحابه، أشار إلى ساريه من سوارى  
المسجد وقال:

"لو كان لأحدكم هذه السارية - أي العمود - لكره أن يُخَذَّع - أي تقطع

"فكيف يعتمد أحدكم فيجدد صلاته إلى ربّه؟!

"أنتموا صلاتكم؛ فإن الله لا يقبل إلا تائباً."

ولقد لمح يوماً رجلاً يسرع في الأيام الذي يلي الركوع فعصب وقاب-

"لا يظفر الله إلى صلاة عبده، لا يعيم فيها صلبه بس ركوعها وسجودها"

ن، الرسول عليه الصلاة والسلام يعلمنا أن الصلاة كائن حتى - يرد دحية

بالخشوع والعصور وجلال الأداء.. ويفقد من حياته بقدر ما يفقد من خشوعنا

وحضورنا - وبقدر ما هي رحمة وبعثة وعافية ورصوان لمن بحسن أدائها - فربها - أعدت

الله - نكون عكس ذلك لمن خذلها وأرهم روحها وخشوعها

هذا "أس" يحدث عن رسول الله.

"ومن صلاه لعر وقها - ولم يسبح لها وصوءها - ولم يتم لها

خشوعها، ولا ركوعها، ولا سجودها - حرجت وهي سوداء مظلمة، يقول:

صِيَعَتْ الله كما صيغني.."

هذا، بينما يخلف الأمر تمام بين الصلاة ومن يؤديها أدامها الحق السليم.

هي نفس هذا الحديث الذي يرويه "أس" رضى الله عنه يقول عن النبي:

"من صلى الصلوات لوقتها، وأسبغ لها وصوءها، وأتم لها قيامها

وخشوعها، وركوعها، وسجودها حرجت وهي بيضاء مفسرة، يقول: حفظك

الله كما حفظتني."

حقاً، لقد كنت، الصلاة قرّة عين الرسول. وما كنت كذلك قطعاً إلا لجلال

منزلها عند ربه العلى الكبير. ونحن نتبع حديث الرسول عن الصلاة ونوجهها به بشأنها

نرى هي سر هيامه العظيم بها. يقول عليه السلام:

"يتعافون فيكم: ملائكة بالليل وملائكة بالنهار.

"ويجتمعون في صلاة الصبح، وصلاة العصر.."

"ثم يعرج الدين يا فكم، فيألهم ربهم وهو اعلم بهم.

كيف تروكنم عبادي؟

"فَمَقُولُونَ: مَرَكَنَاهُمْ وَهُمْ يَصَلُونَ.. وَأَتَاهُمْ وَهُمْ يَصْنُونَ."

إنه عنده صلاة رب وسلامه مشعوف يعالم له بالصلاة دوى كدوى لحسن إنه يريد أن يرى أمته ويرى أتباعه مع الله دوماً في أوثن العرى به، وأسعد المواقف معه وبين يديه.. في الصلاة.

"أَتَيْنَاهُمْ، وَهُمْ يَصَلُونَ.."

وتركناهم، وهم يصلون."

ولم لا يشغف بالصلاة ويسعد؟ ولم لا يوصي أمته به، آداء الدين وأطراف السهر، وقد سمع ربه يقول في حديث قدسي  
"قُسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين،  
ولعبدي ما سأل."

لقد كان الرسول حبيباً بعبادة ربه جمعها، بيد أن حفاوته بالصلاة تقف وحدها بين كل تِلْكَمُ الحفاوات.

نه مدرك ما للصلاة من منزلة عند الله، وتعلم سرها الأعظم في نقل المؤمنين، إلى عالم القدسة ولاجتبه، ألم يكن أولى وصايا الله له بالصلاة أن جعلها خمسين في اليوم وثلثه، ثم جعل، إلى خمس لها أجر الخمسين؟ أليس في ذلك وحده ما يكشف عن لغير العظيم للصلاة وعن مكانها الرفعة عند الله؟

من هنا كانت حفاوة الرسول بها من أولى لحظات التأهب لها - من بوصوه، إلى السعي لها، إلى شهود جماعتها في المساجد، إلى حثائها، إلى انتقاء أطايب، لدعاء وتسبيح فيها.. إلى كل ما يتعمق بها من قول وعمل وشعور!!

لقد شرع عليه السلام لكل خطوة في مشوارها الطويل آدبه،  
إنه أعظم فرب العبد إلى ربه، فليكن من اليه والجلال في المستنوي القريب من أن يكون لائقاً بعظمة الله وجلاله.

وهكذا يمسحها الرسول عليه الصلاة والسلام من اهتمام به وبوجيه به الكثير لطيب..

إنه يبدأ معها من الطهارة الكاملة، فيدعو المؤمنين ويوصيهم أن يتطهروا من الحنثه أولاً بأول؛ حتى لا يعوقهم الحنثه عن صلاة مفروضة أو نافلة.

ويدعوهم للاستبراء الكامل في غير وسوسة كلما قضى أحدهم حاجته،  
ويأمرهم أن يفرغوا الصلاة دائماً في ثياب طاهرة، وعلى أماكن طاهرة.  
وإذا كانت الصلاة تبدأ بالوضوء، فقد رفع عليه الصلاة والسلام من شأنه مكاناً

عاب

يقول صلى الله عليه وسلم:

"إن أمتي يُدعون يوم القيامة غُرّاً مُحبِّلين، من آثار الوضوء  
فمن استطاع أن يطيل غرته؛ فليعمل".

أجل . يأتى المصلون يوم القيامة بصب الوجوه ولأيدي والأقدام بكسو جباههم  
الثقية أنوار الوضوء والصلاة.

و الوضوء لأنه باب الصلاة، كان ذلك باب المعرفة لصاحبه، يقول عنه السلام.  
"من توضأ فأحس الوضوء، خرجت خطيئة من جسده، حتى تخرج من تحت  
أظفاره".

ويزيد بشراء هذه تحديدًا فيقول:

"ما من امرئ يتوضأ فحس وضوءه إلا غفر له ما بينه - أي الوضوء - وبين  
بين الصلاة الأخرى حتى يصلّيها".

نرى معاد والوضوء ليس صلاة، ذهب بكل هذه المراتبة بين العبادات؟

ذلك أنه درجة، الاستعداد، التمسك عند العبد حين يهيم بالتوقف بين يدي الله في  
الصلاة..

من أجل هذا، كان الرسول يتوضأ في صمت وخشوع وكأنه يصلي، لأن لحظات  
الوضوء هذه لا تمثل إعداد الجوارح الظاهرة من الجسم للصلاة بسطيفها ونظيرها  
محسب.. بل تمثل قبل ذلك وأهم من ذلك، إعداد النفس كله وتركيز حضورها استعداداً  
للموقف العظيم أمام الله رب العالمين..!

وكما كان هذا الاستعداد النفسي والنهوض الروحي يفظاً وكاملاً، كانت نظرة الله  
إليه شكرة وغامرة.

من أجل هذا بشر الرسول عليه السلام بأن خطايا المتوضي تخرج حتى من تحت  
أظفاره..

ومن أجل هذا كان الوضوء على المكاره - كأن يكون الماء البارد في لأوقات الشتوية - أعظم أجراً..

يقول عليه الصلاة والسلام:

"ألا أدلكم على ما يمحوا الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات..؟"

"قالوا: بلى يا رسول الله.."

"قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار

الصلاة بعد الصلاة.."

"فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط!!"

فإسباغ الوضوء على المكاره يقف في الدرجه والمرله مع كثرة الخطى إلى المساجد، ومع انتظار الصلاة في المسجد بعد الصلاة.. ثم هو - كما يحير الرسول عليه السلام - موع آخر من الرباط في سبيل الله.

\* \* \*

ولأن الوضوء إعداد مباشر للنفس كي تقف بين يدي ربها سبحانه، ثم سبحانه - أوصى الرسول عليه السلام أن نعقه على الفور بصلاة.

هكذا توصى لإسباغ قبل وقت المريضة بساعات، يوصيه الرسول أن يتبع وضوءه بصلاة ركعتين لستم بهما المواجهه الروحيه التي من أجلها شرع الوضوء.

د، ت مرة توصى النبي بين نعر من أصحابه - أفرع على يديه من الإبهام فغسلهما ثلاث مرات، ثم بمضمض واستنشق واستنثر، ثم غسل وجهه ثلاثاً، ويديه إلى المرفقين ثلاثاً، ثم مسح برأسه.. ثم غسل رجليه ثلاثاً ثم قال:

"من توصى نحو وضوئي هذا، ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه، غفر له ما تقدم من ذنبه."

وبريد، لرسول للصلاه أن يكون مسهرجا دائما لعبده الله، نحقق على الدوم أعلامها، وتسلمع أنوارها، وتصمدح تراتيلها.

لهذا يوصى بالأذان لها حتى لو يكون لإسباغ وحده في حقل، أو صحراء، أو فلاة..

يقول "أبو سعيد الخدري" صاحب رسول الله لأحد إخوانه

"بني أراك تحب العتم والبادية، فإذا كنت في عمت أو بادية  
فأدب للصلاة فارفع صوتك بالثناء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن  
جن، ولا إنس، ولا شيء إلا شهد له يوم الئامه سمعته من ربون  
الله ﷻ".

ويحبر رسول عنه السلام أن للأذان من العتوة والفصل وحسن الجراء ما لو  
علمه الناس لكفوا عليه ومراحوا حتى لا يعص رحامهم وباعهم سوى إجرء فرعة  
بينهم تحسم النراع !!

"لو يعلم الناس ما في النداء - الأذان - والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا  
أن يستهوا عليه لاستهوا"

ويدعو للمؤذنين فيقول:

"اللهم أرشد الأئمة، واغفر للمؤذنين"

ولأن موقيت الصلاة في عصر النبي لم تكن يحددها الساعات، بل كانت تعتمد  
على حركات فلكية، أطلق الرسول على المؤذنين وصفاً جميلاً فنعهم بأنهم "رعاة الشمس  
والقمر" !!

يقول عليه السلام:

"إن خير عباد الله، الذين يرعون الشمس والقمر"

والنجوم لذكر الله".

ويقول في حديث آخر:

"أحب عبد الله إلى الله، رعاة الشمس والقمر - يعني المؤذن.

وهم ليُعرفون يوم القيمة بطول أعناقهم" !!

\* \* \*

والعلاقة الروحية التي نصممها الصلاة للعبد، ونُدسه من رحاب ربنا ورصوانه،

تبدو في بعض كلمات الرسول وكأنها محسومة ومبشرة.

يقول عليه الصلاة والسلام:

"أحدكم إذا قام يصلي، فإن الله تعالى قل وجهه"

وبه عنه ليريد هذا المعنى مؤكداً حين يجعل مجرد المرور أمام المصلي

عملاً تنهى في الحرم والعدوان؛ فنقول عليه السلام:  
 "لو يعلم المرء بين يدي المصلي ماذا عليه، لكان أن يقف أربعين خيراً له من أن يمر  
 بين يديه".

يقول راوى الحديث: لا أدري، قال أربعين يوماً أو شهراً، أو سنة.  
 وفي حديث آخر يرويه الترمذي عن "أنس".

"لأن يقف أحدكم مائة عام، خير له من أن يمر بين يدي أحبه وهو يصلي".  
 فمد هناك وراء هذه الحرم، بل القداسة للمراع السير الذي يفصل بين المصلي  
 وتجاهه وقبلته..

هذا هناك من القداسة حتى يصبح انتظار أربعين عاماً أو مائة عام خيراً للإنسان  
 وأسلم لمصيره من أن يفتح هذا الحرم للمقدس ولو بخطوة واحدة؟ إن هذا التحذير  
 ليبلغ بصور في وصوح ما يعنه الرسول الكريم وهو يقول:

"إن أحدكم إذا قام يصلي؛ فإن الله تعالى قبل وجهه"

وتوكيداً آخر للمعنى الجليل. يوصي الرسول كل من يقف للصلاة أن يسجد أمامه  
 سائراً، فرد كان عموداً أو شيئاً قائماً جعله المصلي عن يمينه قليلاً أو إلى يساره قليلاً  
 حتى لا يبدو كأنه يستقبله ويتجه إليه.. فإذا رأى وهو يصلي أحداً يهم بالعبور من هذه  
 المسافة التي تفصل بين المصلي والشئ الذي يحده سائراً فعله أشد أن يمد يديه  
 ليمنع ذلك العابر بقوة.

يقول صلى الله عليه وسلم:

"إذا كان أحدكم يصلي فلا يدع أحداً يمر بين يديه، وليدراه ما استطاع"

إن قول النبي:

"فإن الله تعالى قبل وجهه.."

يفسر لك كل هذا الاهتمام لدى يعطيه عليه الصلاة والسلام لموقف الصلاة.

وإذا كان هذا المصير الأليم لمن يحترم اتجاه المصلي بخطوة أو ببعض خطوة،

فماذا عني المصلي نفسه إذا هو لم يحترم جلال الموقف الذي يفقه بين يدي الله، فراح  
 يدرع بصره الآبق وعييه الرائعين كل ما أمامه من فضاء وأشياء، وكأنه واقف في شارع  
 أو جالس في مقهى..!!

إن التلُع في الصلاة بالبصر الرائع والظلمات الصالحة إهدار لحرمة الموقف العظيم. وليس دُرَى، إذا كان المصلي يعتمد أنه واقف بين يدي الله حَقًّا، وأن الله تجاهه، فمن هناك حُرٌّ من الله يرسل وراءه بصره الرائع، ودهنه المبدَّد، وفيه المارح المشغول...؟ من أجل هذا، يقول النبي عليه السلام:

"لا يزال الله مُقْبِلًا على العبد في صلاته ما لم يلتفت؛ فإذا صرف وجهه انصرف عنه".

ويقول:

"إياك والالتفات في الصلاة؛ فإن الالتفات في الصلاة هلكة".

بل إن قداسة الموقف يبلغ في إدراك الرسول العبد الذي يحتجر فيه بصر المصلي حتى عن النظر إلى السماء، لما قد يعصي ذلك إليه من شاعر أو صاع الخشوع

يقول عليه السلام:

"ما بال أفوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم ليشتهن عن ذلك، أو لتخطفن أبصارهم".

إن وقار الصلاة وجلالها يعرض على المصلي ألا يجاوز بصره مكان سجوده. فهي هذا عون وثيق على إحرار الخشوع الكامل والحضور الحق.

\* \* \*

ولقد جعل الرسول الصلاة الحد الفاصل بين الإيمان والكفر، فقال:

"بين الرجل والكفر ترك الصلاة.."

وقال عليه صلاة الله وسلامه:

"بين الكفر والإيمان، ترك الصلاة".

وقال: "لعمري بين ويسهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر".

وهذه الأحاديث الصحيحة بما يحمل من رعب، تكشف عما لحوهر الصلاة من قداسة وخطر؛ إذ أن مجرد الحركات اللاهية الحالية من كل روح وخشوع وسأمل، لا يكون لها وحده هذه القداسة التي تجعلها فاصلاً شاملاً بين الإيمان والكفر

وفي هذا يقول الرسول عليه السلام:

"إِذَا أَحَدُكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي، فَرُبَّ يَأْجِي رُبَّهُ، فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ يَسَاجِدُ"

لقد أبصر واحداً يصلي ذات يوم وهو مشغول البأس والروح عن صلاته، فده  
الرسول بعد فراغه منها وقال له:

"أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ؟"

"أَلَا تَنْتَظِرُ كَيْفَ تَصَلِّي؟"

ولقد تحدث عنه الصلاة والسلام عن الذي لا يعطى الصلاة حقها من خشوع  
ولأنه قد قال عنه:

"لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ عَلَى اللَّهِ كَرِيمًا"

وحين يأخذ مشهداً من مشاهد الرسول الكريم وهو واقف في الصلاة بين يدي ربه  
الأعلى يدرك جلال الموقف الذي يمثل الصلاة، ولمح المعالم الجريئة الهائلة، يسي  
نظراً بها علاقة المؤمنين بربهم حين يحضرون الصلاة. نصف أحد هذه المشاهد واحد من  
أصحاب النبي فيقول:

"رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَلَصَدْرُهُ أَرْبَعُ كَأْرِبِرِ الْعَرَجَلِ مِنَ الْبَكَاءِ!!"

ويصف الإمام علي كرم الله وجهه مشهداً آخر في أيام غزوة بدر، فيقول:

"وَلَقَدْ رَأَيْتُ وَفَّ فِيهَا إِلَّا نَائِمًا، إِلَّا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، نَحَبَ شَجَرَةٍ يُصَلِّي  
وَيَبْكِي حَتَّى أَصْبَحَ!!"

الم يقل عليه السلام:

".. وَجَعَلْتُ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ"

فهو إذن خروياً بأن يعيصر فيها دمه. ويرى كالمرجل صدره: لأن استشعار جلال الله  
من بالحواف أو بالرحاء، أتمنى وأبهي ما تتطلع إليه أرواح الأوابين. فكيف بمن لا  
يستشعر هذا الجلال وحسب، بل يعيشه ويحييه ويعبى فيه ويتصمخ به. وابن؟ في أقرب  
قرب، وأعلى مقام.!!

لقد بلغ هبمه بالصلاة وتعديسه إياها أن جعل الخطي إليها خطي، لي لجه.

ولأنه يريد بها - كما سبق أن ذكر - مهرجاناً دائماً لعبادة الله وبحمده ونمجيده،

فقد أعطى صلاة الجماعة كل اهتمامه وكل دعوانه وصلوانه وبركانه.

"من مشى في ظلمة الليل إلى المصعد، لقي الله عز وجل بنور يوم القيامة"

ولنقرأ هذا الحديث له عليه الصلاة والسلام:

"صلاة الرجل في جماعة تصف - أي تريد - على صلاته في بيته وهي مسوقة حممٌ وعشرين صفًا ، ودلت أنه إذا بوصا فأحسن الوضوء ، ثم خرج إلى المسجد لا يخرج إلا للصلاة ، لم يحط خطوه إلا رُفِعَ له بها درجة ، وحط عنه بها خطيئة - فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه ، لم يتحدث ، يقول اللهم صلّ عليه اللهم ارحمه . ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة" !!!

أليس هذا مهرجانًا من المثوبة والعطاء والرصود والبر ، يُقَمِّمه الله لندى قوماً لجلاله ومهرجانات العبادة والصلاة .

"في سبب أدن الله أن تُرْفَعَ ويُذَكَّرَ فيها اسمه"

هذه البيوت التي تُرَلُّ حُجَّها ، على قلب الرسول الكريم فأحاطها برعاية وبكرم بتعظيم كل وصفه

إليه يقول في بنائها:

"من بنى لله مسجدًا صغيراً أو كبيراً ، بنى الله له بيتاً في الجنة"

ويقول في الحفاظ عليها:

"حبُّوا مسجدكم صبيانكم ، ومحابيتكم ، وسراءكم ومعكم ، وخصوفكم ، ورفع أصواتكم ، وإدخال حدودكم ، وسيل سبوحكم ، واحذوا على بوابي المطاهر .. وجنّروها في الجمع .."

لقد رأى عليه السلام ذات يوم بحامة في قبة المسجد ، فغيظ لمظهرها - وأخذ يخرجون فحكّوها ، ثم دعا برعمران فسل به مكابها وطيبه!!

إن للمسجد قداسة التي يتحدد بالتولية لها حقيقة إيمان المؤمن ودرجة علاقته بربه . فحسبه أن يكون اسمه "بيت الله" ، ثم إنه المكان الذي يقف الدنيا كلها بكل سنناتها وهيئاتها خارج به - فهي داخله وبحب مسجوده لا يجد سوى صفوف من

العديد من حشمت الله ووقفت صارعة بين يديه، وحشما يربو ونولى ثم وجه الله بقدر  
وضيع تحت الأقدام كل نماز، وكل عرور، وكل استعلاء.. وليس ثم سوى صاحب  
البيت وره الأعلى..!

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ، فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾

أجل.. هذا هو المسجد في الإسلام، وهذه قداسة من أجل هذا وقُرر لرسول له  
كل الضمانات التي تبقى له سكنته وجلاله.

فهو ينهى عن الحديث فيه بغير صلاة أو ذكر لله.. لكي يظل معبدا لا مُنتدى،  
يقول عليه السلام:

"سيكون في آخر الزمان قوم يكون حديثهم في مسجدهم.. ليس الله فيهم حاجة"  
وهو يتعصب إذ يتخذ موقفا أو أدنى من ذلك.  
يقول عليه السلام:

"إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد؛ فقولوا لا أبيع الله محاربت.  
"وإذا رأيتم من يشتد ضالته في المسجد؛ فقولوا: لا ردّها الله عليك".!!  
إنه إصرار جليل ونبل على أن تبقى بيوت الله.

ومن درجة الناس بالرسول في احترام بيوت الله، مساوية لدرجة لصدق في  
علاقته بالله.

و احترام المسجد بالصمت، وبالسكينة، وبعدم إقحام فصول حياتنا الديني ولغوها  
وصوصائها عيه، وبالأدب الرفيع معه وفيه جزء من بعباسا الدينية تركوا بأد لها  
علاقته بالله.

ماذا يأخذ به أنصبا من حياء وأدب وخشوع حتى يدخل على ملك أو رئيس ؟  
إنه في المسجد يحلس إلى ملك الملوك ورب العالمين وإذا أحضرت أدب  
المجلس في بيته ومسجده، فإن خسرا لك قاذح ومن.

لقد حرص الرسول حتى على طريقة جلوسنا في المسجد أن نكون مهدييه وحاشعه.  
فقد دخل المسجد يوما فرأى رجلا جالسا مشبك أصابعه بعصا في بعض فوهه  
وقال.

"إد كن أحدكم فى المسجد؛ فلا يشكك؛ فإن لشيطان من الشيطان" إنه مؤثر للصلاه والعباده لا غير وليس لشيء آخر أساساً. من أجل هـ ، فإن أجر لجلوس هـ كالصلاه . وله بواب قريب من ثوابها ! يقول عليه الصلاه والسلام:

"إن أحدكم لا يزال فى صلاه ما كان فى المسجد، حتى يخرج منه"

\* \* \*

هذه هى البيوت التى جعل فيها مع الجماعة أفضل من بصع وعشرين صلاه،  
والتي جعل الخطى إليها خطى إلى الجنة.  
يقول عليه السلام:

"لا يوصى أحدكم، فيحسن وضوءه، فيسبحه، ثم نأى المسجد لا يريد إلا الصلاه إلا تبشش الله إليه . أى تهلل وفرح - كم تبشش أهل لعاب بطلعته !!"

أى هـ عظم هذا الذى يملأ قواد إلى بالصلاه وبيوت الله ؟  
وإنه لا يسوق هذه المبشرات تشجيعاً، بل تقريراً لواقع وحقيقة، فحسب هـ أن الله يمح هذا اعطاء فعلاً لرواد بيوته . وليس أدل على هـ من بيا، مع بنى ستمه  
ولنصغ لـ "جابر" رضى الله عنه يرويه لنا:

"حلب، البقاع حول المسجد، فأراد بو سلمه أن يتعمدوا قرب المسجد، فبلغ ذلك، ليسى ﷺ، فقال لهم: يلعى أنكم يريدون أن يتعمدوا قرب المسجد.

"قالوا: نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك..

"فقال عليه السلام: يا بنى سكم.

"دياركم، تكتب آثاركم"

"دياركم، تكتب آثاركم!!"

فهو عليه السلام يحبرهم أن أجرهم فى خطوات قليلة تنقلهم إلى المسجد حسن سيكون قريباً منه - ليس كأجرهم فى مشوار طويل. من أجل هـ دعاهم أن يظنوا فى ديارهم العصبه تكتب لهم آثار معاهم الطويل والجليل إلى بيت الله كلمه هـ صده كل

يوم خمس مرات للصلاة.

وهكذا قال عليه السلام:

"أعظم الناسُ أجرًا في الصلاة، أبعدهم إليها مُعْشَى." !!

هكذا كان حبه للمسجد وتمجيده له.

ولقد بشر بأن أحد السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله.

"رجل قلبه معلق بالمساجد"

إن كنتمي "قلبه معلق" ربما الصلاة الحميمة من حدث هـ عن المسجد وعن

الصلاة أو حديثنا عن علاقة المؤمن بالله.

فملاء القلب بحب الصلاة وبحب بيوتها إلى درجته التمتع والتواجد، لا يكون، لا

صورة صدقة لعلافة كاملة بركة وثمرة الغرى والأسباب بين العبد وربّه.

من أجل هذا يقول ﷺ:

"إن عمار بيوت الله، هم أهل الله عز وجل"

ويقول:

"إذا رأيتم الرجل بعد المساجد؛ وشهدوا له بالإيمان"

بك في المسجد لا يحال جماعة المؤمنين من الناس وحسب، بك هناك مع

خلق آخرين من الملائكة الأعلى. مع ملائكة الله سبحانه والرسول إذن يحبرن بهد لا يعنى

مجاز القول بل يقصد حقيقة.

ولقد رأى يومًا بعض المسلمين يدخلون المسجد وقد فاحب منهم رائحة ثوم سيء

أكنوه فقال:

"من أكل البصل، والنوم، والكرث، فلا يعبر مسجد"

وإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم..!!

هذه الكلمات، والطريقة اللغائية التي تتحدث عن حقيقة مفروغ من بينها،

تؤكد لنا أن لرسول عليه السلام حين يحبرنا أننا في المسجد نجلس لملائكة

فربما يعنى ما يقول تمامًا.. وهذا سر حرصه الشديد على أن تحتفظ المساجد بكل

جلائها - فلا لغو فيها ولا ضياع، ولا بيع ولا نوم، ولا شيء مما ينافى جلالها،

فهى بيوت الله - وهى مشوى ملائكة فى الأرض. وهى مكان تمجيده وحده،

وعبادته دون سواه.

\* \* \*

وإذ كانت هذه منزله المساجد عبد الله وعبد رسوله؛ فكيف يكون محرفاً حقيقته  
ويواراً..؟

من أجل هذا، أعلّى الرسول - كما رأيت قبلاً - من قدر صلاة الجماعة، وفي  
المسجد بالذات، لما يعلم من كرمها على الله ومنزلها عنده.  
ولقد وعى أصحابه والصالحون من بعدهم هذه الحقيقة؛ فكانت المساجد، وكانت  
صلاة الجماعة فيها تفوق عندهم الدنيا وما فيها.

يقول "عبد الله بن مسعود" صاحب رسول الله ﷺ:  
"لقد رأيت وما يتحلف بها إلا منافقٌ معلوم النفاق.  
ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين - أي يسده اثنان من إخوانه  
لمرضه أو ضعفه - حتى يُقام في الصف!"  
ويقول أيضاً:

"إن رسول الله ﷺ علماً سس الهدى وإن من سس الهدى الصلاة في  
المسجد الذي يؤذن فيه.."

وبعلمنا الرسول ﷺ أن مسئلة المسلم عن ترك الجماعة في المسجد تردد  
ويرداد معها وزره، كلما كان مكان عمله أو نحرته أو مسكنه قريباً من المسجد، بحيث  
يسمع الأذان للصلاة ثم لا يلتفت، لا رخصه في التحلف عن الجماعة ولا عذر، لا  
بضرورة قصوى وبالعامة.

ولسمع ما يرويه كـ "أبو أمامة" صاحب رسول الله يقول:

"أقبل ابن أم مكتوم، وهو أعمى، وهو الذي أمر الله فيه قول الله تعالى  
(عَسَى وَتَوَلَّى، أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى)

"أقبل إلى رسول الله ﷺ فقال:

يا رسول الله، بابي أعمى وأمي - إني كما يرى قد تهرت سني، ورق عظمي،  
ودمت بصري، ولي فائد لا يلائمني قضاءه إجابي - أي لا يحسن لسيرتي -

فهل تجد لى رخصة فى الصلاة فى بيتى..؟

فقال له لرسول ﷺ هل تسمع لمؤذن فى المسجد ؟

قال: نعم يا رسول الله..

"قال الرسول ﷺ: ما أجد لك رخصة..

ولو يعلم هذا، لمتحلف عن الصلاة فى الجماعة، لهذا، لعاشى، لىها، لأبها

ولو حبوا على يديه ورجليه" ..!!

فهذا صحابى مكفوف الصر، كبير السن، رفيق العظم، لا يرحص له لرسول ﷺ

فى ترك الجماعة ما دام يسمع الأذان بها والداء إليها

ذلك أن وصع المؤمن كله، يصير موضع ساقول ففلق حين بتعود أن يسمع بداء

الله، أو الداء إلى الله، فيمضى فكاً على وجهه دون أن يهرول إليه ملئاً !!

\* \* \*

ولأن القصة علاقة المؤمنين بالله والتامى بالروح إلى مارل الأبرر والمتقين؛

فقد حاول لرسول ﷺ أن يجعل من بيوتنا مساجد، حتى لا نكون هجرأ مهجوراً، وحتى

لا تحلو من ذكر الله وعبادته فتمتلئ ظلاماً..

من أجل ذلك، جعل البوب أهبل مكان لصلاة، لتوافق، فى الوقت الذى جعل

لمساجد أقصى مكان لأداء الفرائض يقول عليه، الصلاة والسلام:

"إذا قضى أحدكم الصلاة فى مسجده، فلجعل لىبه نصيباً من صلاته، فمن

الله جاعل فى بيته من صلاته خيراً".

إنه يعلمت عليه الصلاة والسلام أن سمع فى بيوتنا الحية والور بالصلاة فيها،

فيقول

"أجعلوا من صلاتكم فى بيوتكم.. ولا تحذوها قبوراً" !!

كما يقول:

".. أما صلاة الرجل فى بيته فنور؛ فنوروا بيوتكم" !!

\* \* \*

لا أحسب أن هناك مبالغة فى القول بأن الرسل عليهم صلاة ربا وسلامه إنهم

جاءوا ليعلموا الناس كيف يؤمنون بالله وكيف يعدونه.

ولعباده لحقة والحالصة لله رب العالمين هي حير معراج للشخصية الإنسانية، معرج عليه إلى أعلى مستويات الكمال المعدور لها وهي بالتالي يلسم الحجة الإنسانية من أمراضها وآفاتها، وطريقها المستقيم اللاحق إلى مصيرها الحر الآمن القويم. وسم يسم أحد: إن العبدية تعني التحلي عن البيعات التي نعمم بها الجماعة، ونحفظ ستمررون بدم الحجة. إنما قال لنا المرسلون جميعاً: إن عبادة الله هي لعون لأعظم على تمكين البشر من حمل بيعة بهم بحاء الجماعة وبحاء بحاء. وسيد "محمد" ﷺ حاتم أنبياء الله ورسله، يلقي على هذا أصدق الكلمات وأزكى الدروس.

إن الإنسان إذا تلوّثت روحه، أو صدأت ويارت، فقد التور الذي به يرى.. والحكمة التي بها يعرف.. ولقدرة التي بها تُدفع.. بل إنه يعقد جوهر وجوده وحياته، ويمسى شخصاً مهما انتصحت أوداجه، وتمايلت أعطافه.. ومهما تكن سلطانه وأعوانه وثراؤه وبخائه.. إن عبادة الله بحقة الحالصة القائمة على الهج الذي رسمه الوحي والرسول ﷺ، هي قبل سواه، بل دون سواه - التي تمنح الشخصية الإنسانية نورها وعافيتها ومقدرتها، بفصل بينها وبين الله من غرى وثقى ورضوان عظيم. وهي وحدها التي تمنح الحجة الإنسانية سلامها وأمنها وفصائلها واسمها، القوي الصالح القويم. فإذا لبث لرسول ﷺ عمره كنه يذوق أبواب، لقلوب الغنى لتفتح على معرفه الله وعبادته؛ فلاه كن يعلم أن هذه العبدية هي حير راد للبشرية - أفراداً وجماعات، وأمة.

إن المرسلين لم يُبعثوا في فراغ، ولم يحينوا إلى حواء، لقد جاءوا، في عصور كان للبشرية فيها عملها ودكاؤها ومدياتها، وما من أحد يستطيع أن يحدد قيام بمديات لسابغ في الصين، والهند، ومصر منذ آلاف السنين، ولا حصار في مدينتي لهرين في ذلك الدهر البعيد.

فالعقل والدكاء والمعرفة، والجبروت الإنساني في سحر الطبيعة وبهاء الحياة - كل ذلك كان يُعْمَر العصور التي عاصرها المرسلون وهموا فيها بكلمات الله. ومن ثم، فإن الله لم يرسل رسله ليعلموا الناس الأبحدية، أو ليلصوا فيهم دروس

محو الأمية..!!

كما أنه سبحانه لم يرسلهم ليعلموا الشرية كيف يسي مدنها وسدودها وبشيء مدنياتها وتنسخ حياتها مع حضارتها..!!

لقد كان لعقل الإنساني بكل موده واقدراء يعلم ويشيء ويشيد

ولكن الله سبحانه، وهو أعلم بمن خلق، يعلم أن العقل وحده لا غناء فيه ولا جدوى منه بل ولا خير فيه لمن لا يمتلك معه الروح العظيم الذي يهديه إلى العيب وما فيه من أسرار لا يؤذن بانتهاء. وإلى رب العيب الذي له ما في الأرض وما في السماء.. من أجل ذلك أرسى رسله.. أرسلهم بروح من أمره ليعثوا الروح الإنساني ولنفودوه إلى معرفة الله.. إلى تقيس الله. وإلى عبادة الله. ولشرية بلا روح بعيد الله ومعرفة محكوم عليها بالحسرات وبالبيوار، ولو كان معها من شوامخ العقول ومُعجز الذكاء، وباهر لحصرت عدد رمل الأرض وحصاها..!!

إنها أنشد تكون مقطوعة الصلة بمصدر وجودها وحياتها وبورها

إنها أنشد تكون قد سجنبت نفسها في عنق الرجاجة، وليكن ذلك العنق من ذهب، وذُرْ، ويد قوته. لكنه مع ذلك كله سيكون كافاً لإزهاق روحها!!

ومهم تملأ البشرية أبعادها الأربعه لكل ما يستطيعه دكاؤها وعملها، تستظل تشعر بالاختناق ما لم تتجه إلى البعد الآخر وتتخذ منه مجلى حياتها واسعدها.

ولم يدلنا على ذلك البعد بكل رياحه البُشريات، وبكل هوائه النقي الذي يبعث من في القبور سوى أنبياء الله ورسله.. ولم يكن ذلك البعد العائب سوى معرفة الله وعبادته.

أجل.. بهذا البعد المعقود الذي اكتشفه لنا الأنبياء والمرسلون ثم نبث الإنسان..!!

\* \* \*

فإذا قضينا مع سيدنا محمد رسول الله ﷺ هذا الوقت المبارك الذي نقضيه

لأن ونحن نتلو أحاديثه ونوجيهاه عن علاقته بالله وكف تركو وتناقوا وإنما طالع فقرة من كتاب جميل باهر أعطى منه البشرية كلها عطاء جريلا واسعاً في من أريد ذلك البعد المعقود. بعد الروح بكل ما تحمله من أشواق إلى حائقيها وبارئها ومُنتهاها..!!

وإذا أطبا وقف مع لصلاة؛ فإنها "عداء المنكح" !! أجل، غداء الروح الذي لم يُعرف مثله غداء.

"أعلموا أن خير أعمالكم الصلاة.."

هكذا يقول الرسول ﷺ..

ويُسال:

"يا رسول الله، أي الأعمال أحب إلى الله.."

فيجيب عليه السلام:

"الصلاة على وقتها"

ولنضع لهذه الكلمات المواضي المرحمة:

- "لا إيمان لمن لا أمانة له"

- "ولا صلاة لمن لا طهور له"

- "ولا دين لمن لا صلاة له"

- "إنما موضع الصلاة من الدين"

كموضع الرأس من الجسد" !!

أجل.. لا دين لمن لا صلاة له؛ لأن الصلاة، وبإطريقه التي شرعها الإسلام حصه

خمس من نض في اليوم، عدا النوافل والمس - يعني التجدد المستمر للشعور بالمستولبه أهدم الله.

فبحسب لا يصح بحمس في ساعه واحده من النهار . بل هي مورعة عني صاعه الأربع والعشرين.. ويبس كل فريضة وأخرى وقت يقطعه في كل م في حب بنا من عمر ولهو، وصدق وكذب، وحق وباطل، فإذا علمت أنك خلال ساعات اليوم ستعقد بين يدي الله خمس مرات، تناجيه خلالها وتتحدث معه؛ فستوفر لك من الحياء لا محالة ما يجعلك تتوقى شيئاً فشيئاً من لقاء اليوم وآثامه ومعصيته، وعندئذ يسلم لك دينك، ويسلم لك نفسك.

ثم إن رأس الدين هو الإيمان.. الإيمان بالله، وإلهاً، وسيداً، ورباً والصلاة هي

لكيان المخرجي لهذا الإيمان هي الواقع الحي لوجوده. فأنت تؤمن بالله ٩٩. خمس. إن أسعد مظهر هذا الإيمان أن تطيعه فيما تنعمت ولا يصرك. يسعدك ولا يشقيك.

ورن أبسط مظاهر هذا الإيمان أن يسعد بدقائق تفصيلها مع من آمن به.. مع الفاهر فوق عباده، مع الوهاب مالك الملك ذي الحلال والإكرام.. صن إدن له.. واسجد، وقرب.. وإذا لم تفعل فريمتك لعمو.. وديك لعمو.. أنجن..  
**"ولا دين لمن لا صلاة له"!!**

ثم إن دين.. كم قلنا.. يعج بالشواغل والشهوات وبخواصر لطمع والطموح، وبهو تف اليأس والجرع وبرعات الحمد والبصاء والحمد

والصلاة التي شرعها الله ل خمس مرات على طول النهار وأمدده ربه هي قرار بالفس خمس مرات كل يوم من ذلك المستمع الوحيم، إلى روح وريحان، ولحظات مُرعه يمتنعم الرضا والسكينة والصاعة والمحبة والسلام.. فمن ظفر به سلم له دينه.. ومن قصى العمر كله مع قيعان المستمع فأيان يكون له دين..؟؟

لقد أوصانا الرسول بالصلاة كما لم يؤص بفريضة أخرى.. ذلك أنه عزم من ربه ومن لقرآن الذي أوحى إليه، كم تبلغ ضرورتها للإنسان وقدمتها عند الله، أيمن القرآن لعظم هو الذي يعمره بهذه الوصايا:

﴿ أَتْلُ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ، وَأَقِمِ الصَّلَاةَ، إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾

﴿ وَأَمْرُ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ، وَأَصْطَبِرَ عَلَيْهَا ﴾

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ وَرَافِقَى اللَّيْلِ ﴾

﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾

﴿ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نَفْصَهُ أَوْ النِّقْصَ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ رُدَّ عَلَيْهِ وَرَكْعَتِ الْقُرْآنِ ثَوْبِيلاً ﴾

﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ تَذْلُوكَ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ، وَقُرْآنَ الْفَجْرِ، إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾.

صلى الله عبتك يا حسب الله.. لقد سارع إلى أمره، وصليت انء اسين وأطراف النهار ووحده من حلاوه الإيمان والعرب والشهود في الصلاة ما جعلها مرة عبتك ونور روحك.. فجعت في إلحاح نبيل تدعون إليها وتحصا عليها؛ لسال من حلاوتها وبورها ويرك بها ما أنت حريص على أن يعوز به الناس، جميع الناس.. ذلك أنك كم وصفتك ربك

لكبير حريص علينا وراء وف رحيم..!!

لقد أوصاه الله - فيما أوصاه - بالصلاة في عسق الليل وفي العجر - وعسى العجر  
نمكس هذه الوصية الإلهية في وصاياه هو للمؤمنين.. وفتح أعينهم وقلوبهم على معاني  
هذه الأوقات النادرة الباهرة.

فيقول عليه السلام:

\* "من صلى العشاء والعجر في جماعة كان كقيام ليلة"  
\* "من استضع مبكراً أن يشهد الصلوتين: العشاء والعجر ولو حَيَّوًا؛ فيمهل"  
\* "إن هاتين الصلاتين - لعشاء والعجر - أثقل الصلوات على المنافسين -  
ولو نعموا به فيهما لأيتموهما ولو حَيَّوًا على الرُّكْب"!!  
\* "أفضل الصلاة بعد الفريضة، صلاة الليل"  
\* "صلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام"  
\* "إذا أبْقِظَ الرجل أمه - أي روحه - من الليل، فصلًا، كُفِيَ في الدارين  
والذِّكْرَاتُ"  
\* "يُحْشَرُ النَّاسُ، في صعد واحد يوم القيامة؛ فادى مناد: أين الدين كذبت  
تجافى جوبهم عن المعصية - فقوموا وهم قليل، فيدخلون الجنة بغير  
حساب..

ثم يؤمر بسائر الناس إلى الحساب..

لقد أمره به أولاً..

و - ثاب - سارع، إلى ربه يعوم الليل إلا قليلاً - ويعف في صلوات طويلة خاشعة  
والناس كبهم نيام، حتى تتورم قدماء، وهو لا يبس ولا يترجح، لأن حلاوة التهجد أحلته  
عاشاً آخر من المباحج ولعبطة وعطاء الله..!!

و - ثالث - أقبل مسرعاً على الأمة وعلى الناس بدعوتهم، أن تعالوا وانظروا..  
واسمعوا.. وذوقوا..!!

تعالوا، إلى ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر..!!

تعالوا إلى صلاة الليل، وقرآن العجر.

﴿إِنَّ قُرْآنَ الْعَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾

\* \* \*

أرايتم هذه المسيرة المباركة إلى الله..؟؟

أرايتم هذا المنهج الممهور الذي أنصاء به الرسول ﷺ علاقة المؤمن بالله  
وهذاها.. ومنحها سدادها وتقها..؟؟

إن ذلك كله رهى بانواعاء الذي سبحانه ويحتويه، وما كان لرسول الله أن يغفل عنه،  
أو ينسى خطره العظيم.

لقد نهض الرسول يدعو أصحابه والمؤمنين جميعاً أن يحرسوا أبلغ الحرص على  
اللحمة الحلال.. فالحلال الطيب الذي لا غلو فيه ولا سرقه، بل ولا شبهة، هو أولاً وآخره  
جواز المرور إلى الله..

يقول عنه السلام:

"كُلْ لَحْمَ نَبْتٍ مِنْ حَرَامٍ، فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ.."

و لجسد الذي تكونت حللناه من المال الحرام، لا يصلح أن يكون معلماً من معالم

الله والهدى في الأرض

ها هو رسول الله يتحدث عن:

"... الرجل يطيل السفر، أشعث أعبر، يمدُّ يديه إلى السماء، يا ربَّ يا ربَّ..

ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذَى بالحرام. فأثيَّ يستجاب لذلك..!"

مثل هذا التمسك بكل عبادته حواء، وكل صراعه هباء، ما دام الحرام عدو

وكساة..

ولقد قصده يوماً خاله "سعد بن أبي وقاص" رضى الله عنه يسأله أن يدعو الله

ليجعله مستجاب الدعوة فقال عليه الصلاة والسلام:

"يا سعد، أطلب مطعمك، تكن مستجاب الدعوة.."

"والذي نفس محمد بيده، إن العبد لنقذف اللعنة الحرام في جوفه، ما يُتقبل منه

عمل أربعين يوماً،

"وأياها عبد نبت لحمه من سحت، فالنار أولى به.."

فنجري، لحلال في رزقك وعملك. هو جمع الأمر كله، والخير جميعه.

وبعد ما يجري في عروقك من دم أرجاء الحلال يكون ديسك خالص ونكون

علاقتك بالله باهرة نصرة.

وبعد من يحرق في عروقك مس دم أرجاء الحلال يكون فلاحهم ونجاح

صعيتهم..

وليكن ختام حديثنا هذا، هذه الرائعة من جوامع كلمه عبه الصلاة والسلام:  
 "خير دينكم الورع"!!





## الفصل السادس

[ عن الحلاقات الإنسانية ]

# الإنسان، وعالمه..

1

2

3

4

5

6

7

8

في الفصل الرابع من هذا الكتاب، أصعباً خاشعين لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وهو يحدثنا عن المحبة ويضعها على رأس فصول الحياة التي بها نركو ونمو وتأنق. ورأينا كيف يتشع - عليه الصلاة والسلام - كل ما يُسهم في إنبع لحياتنا من عمل وخالصة، فيجعل منه ومنها شعيرة وعادة وقرين. والآل - وفي صياغة حديثه الصادق الهادي الكريم، يرى كيف بعث "العلاقات الإنسانية" على دستورهما الشامل والوثيق.

إن رسول الله يرفع في الأرض شعله السماء، والذي جاء يصحح للإنسانية مسيرها الأبدية لم يكن لنسي دور العلاقات الإنسانية الراشدة في دعم قوى الحياة والإنسان. لم يكن لينسى عملها الذي في إصبعه الصمير الإنساني يور الحير و لنيل ودفع لتقدم الإنسانية إلى كماله الميسور والمقدور.

وإن أحاديثه لكريمة وتوجهاته الحيرة لمتنوعة كل صور هذه العلاقات وترسم لها طريقها الصحيح.

تستقرها في كل مبدعها، ونظيرها في شتى مظانها، ورسوم لها الطريق، وكأنها تضع لها دستوراً وقانوناً.

وأول ما يُعنى به الرسول الكريم في محال العلاقات الإنسانية علاقة الإنسان بنفسه. ذلك أن الإنسان - أي إنسان - لكي يكون سوى التعامل مع الآخرين لا بد أن يكون أولاً سوى التعامل مع نفسه، فالمشوق على ذاته الكارة لها الباطل خط عليها، هيئات أن يظهر المجتمع منه بما حُرمته نفسه التي هي أقرب الأحياء والأشياء إليه.

وعلاقة الإنسان بنفسه تجد مباحها الحبيب وأرضها الطيبة وأرضها المشدود في الهدى لدى بعث الله به رسوله وأبىءه، فيقدر ما تنال من هذا الهدى والنور يكون قدرتك على سح أصدق وأسمى العلاقات بسك وبين نفسك - وبغيره - بتعمد عن الهدى والنور،

يكون جفاف تلك العلاقات وضمورها.

يقول عليه السلام:

"إن مثل ما يمشي الله به من الهدى والعلم، كمثل عيث أصاب أرضاً - فكأن منها

طرفة طيبة قبلت الماء، فأثبتت الكلاً والعشب الكثير..

"وكان منها أجذب أمسكت الماء فتبع الله تعالى بها الناس فشربوا منها وسقوا

وزرعوا..

"وكان منها قيعان لا تمسك ماء، ولا تثبت كلاً"!!..

والناس يتعاونون تعاوت الأرض وهي تستقبل العيث.. فهناك الأرض التي تمنح

للعيث لهاطل صدرها - وتمنحه مسامها في حبور وغبطة، حيث تخرج بعد ذلك حباب

وعطاياها - وهناك الأرض العقم - لكنها أجذب وحياص تختزن الماء وتحتويه، وتأخذ

منه من شاء لما شاء.. فهذه أيضاً ذات نفع وحبر -

ولكن هناك الأرض الثالثة - قيعان لا تمسك ماء ولا تخرج شيئاً فليس لها في عيث

السماء حظ ولا نصيب.. إن الناس لكذلك.

والذي يتلقى هدى الله لحاجته يقف مع الأبرار الذين يمدون الحياة الإنسانية دوماً

ببخير زده

والذي يخزن الهدى لغرفه من القاصدون، له دوره المشكور في إمداد الحياة

بهذا الزاد..

أما الذي لا يهتدى ولا يساعد الآخرين على هدى، فعاقبه في الحير من نصيب..

والرسول عليه الصلاة والسلام يكره للإيمان أن يكون كذلك القيعان المحذولة

البائرة.

وربه عليه السلام ليدعونا إلى الهدى حتى نكون أهلاً للعطاء وأهلاً للإعطاء.

إن أحداً لا يقدر على عون الآخرين ما دام عاجزاً عن عون نفسه فأعن نفسك

واقترب من هدى الله وبوره قدر ما تستطيع، ثم أعنها بأن تجعل حياتك معها قائمة على

علاقات سديدة ورشيدة.

وأوب عناصر هذه العلاقة الرشيدة مع النفس ألا نحاور بها قدرها وكذلك ألا

تُبَخَّس قدرها..!!

لا تجاور بها قدرها بالعرور والصلف والكبرياء والكبرياء لله وحده.

يقول عليه السلام:

"لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يُكسب في الحارين، فقصه ما أصابهم"  
أجل فبحث يعمل الإنسان عن نفسه، وحث يركب هواه ليظير به ويخلق فوق  
عباد الله بغياً وعتواً، لا يكون ثمة أمن ولا إيمان.

وسواء عليث أن يكون دعي العرور إحداهن بعينه، أم يذهب بحسب.  
يقول عليه السلام:

"إن الله أذهب عنكم عبء الجاهلية - أي ما حرره وكبره  
إنما هو مؤمن تقي، أو فاجر شقي..  
ألكم كلهم بنو آدم، وآدم من تراب."

وكما يكون الخير في ألا تجاور بالعرور قدره، يكون كذلك في ألا تبحسه بالجهل  
وإدعان والهوان.

يقول عليه السلام:

"لا يكونن أحدكم إمعة"

و "الإمعة" من وضع نفسه تحت أقدام العجز، ودحرجه على أرض المهانة.  
وإد وضع الإنسان نفسه في مكابها الحق، فلا هوا ولا عدوان.. ولا صنف ولا  
نصاع، فيه قدر بعدد على أن يشيد بعينه العلاقات الرصه التي تهين له مع نفسه أطيح  
وأسعد وأزكى حياة.

وهذا ما يبع أحاديث لرسول إصااة الطريق بورها وسها يقول عليه السلام:  
"دا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال فليظفر إلى من هو أفضل منه،  
فذلك أجدر ألا تزهدوا نعمة الله عليكم".

إن شر ما يُنقص حيا بالباطل هو ذلك النطلع المعط المحقق، إلى من هم فوق  
في النعمة وأكثر منا في الثراء.

إن شر ما يمرق وحدت مع أنفسنا وباعدنا نعمة السكينة، ذلك الطمع الذي يؤزنا  
أراً عبقاً لا من أجل أن نحقق لأنفسنا حواء مستوره طيبة بل لكي نلحق بالآخرين حتى لا  
يكونوا أرجح منا في موازين الجاه والثراء..

وأيدي يصابون بهذا الغصاب تحذر علاقتهم بأنفسهم إلى هابسه لعلق  
والحيرة والفتوط.

من أجل هذا، وحى لا تعد الإنسان طمأنينه ودينه يادينا عليه لسلام  
"يا أيها الناس، علموا إلى ربكم، فإن ما قل وكفى حرم مما كثر والهي"

\* \* \*

ونركز علاقة الإنسان بنفسه حين يكون ظاهره وباطنه سواء فكما استقام اشكل  
والجوهر في زمان، يكون له شخصه مشعة بريح الأعس وبهب الله. ا  
يقول عليه السلام

"ما كرهت أن يراء الناس منك، فلا تفعله إذا حوت بعث"

إن هذا لحدث الكريم بهي المدخل لمويم والسوى لعلاقات صحبة وصيه  
نصل الإنسان بالمجتمع وبالنسبة، لأنه إذا أصبحت نظرة الناس إليه ضمن موارس التي  
يحدد سلوكه وبحكم أخلاقيات، فمعنى ذلك أن علاقته الباطنه بهم تقوم على لرعبه  
لحقيقية في احترامهم، وعلى الرعبه الحقه في الظفر باحرامهم. ليس ذلك فحسب. بل  
وبعنى ذلك أيضاً أن ثمة ولاء مشتركاً بين ضمير المجتمع وضميره لتلك القيم والعصائل  
التي تظلل المجتمع وتؤدّم. والإنسان الذي يحقق لنفسه هذا المستوى يكون من أفدر  
الناس على إعطاء العلاقات الإنسانية حفا من العبدة والتأييد.

وردا استعاب العلاقة بين المرء ونفسه على السق الودود والسديد لدى بهينه له  
نعالم الرسول، الأكرم، يستطيع في صياء التعاليم نفسها أن يعيش ويحيى في علاقات  
متسامية مع البيئة كلها والناس أجمعين.

وتتجه أحاديث لرسول إلى وحدات البيئه والمجتمع لتعطى جميعاً في مدرك  
ونسوق في بحثها من العلاقات الراشدة الجابسه. فتبدأ بالعلاقات العائليه.

\* \* \*

"خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي".

هكذا يتحدث الرسول عليه صلاة الله وسلامه مركزاً على العلاقات الإنسانية داخل  
الأسرة.

إن الأسرة أول وحدة اجتماعيه بتدرب الإنسان منها على ممارسه علاقته كلها مع  
المجتمع.. وهي لمجال الحيوى الأول الذي يمر فيه الشخصية وترعرع فصائسها، ومن

ثم تتجه أحاديث الرسول إليها في حموة ونهى.

فَبَرُّ الوالدين الذى يجعله الرسول فرصة مقدمة لا يعنى واجب الوفاء لهم  
فحسب، بل ويعنى مع ذلك تدريب الإنسان على اكتساب فضيلة التعايش، لقويم ولسودود  
مع أساس جميعاً، لقد سئل عليه السلام يوماً هذا السؤال.

"يا رسول الله إن لى مالاً وولداً، وإن أبى يحتاج مالى،

فأجاب عليه السلام مائله:

"أنت ومالك لأبيك"!!

وفى هذه العبارة الموجزة والمركزة يصوغ الرسول الكريم العلاقات الإنسانية  
داخل الأسرة فى تعبيرها النهائي كما يعطيها الانعكاس الشامل خارج الأسرة حيث  
الجماعة العريضة والبيئة الواسعة..

فمبدأ "أنت ومالك لأبيك" يعطى علاقة الولد بوالديه صيغة قانونية نجد متدده  
خارج الأسرة فى كل البيئات العاليه التى يفرصها الإسلام والرسول على الإنسان نجاه  
وطنه ومجتمعهم.

وكذلك سئل عليه الصلاة والسلام مرة أخرى من إحدى المسلمين هذا السؤال.

"يا رسول الله إن أمى ماتت، وكنت عليها صيام شهر، أفأصوم عنها؟

قال الرسول: نعم صومي عنها.

قالت: وإنها لم تحج، أفأحج عنها؟

قال الرسول: نعم، حجى عنها"

وهنا أيضاً نجد صيغة قانونية لعلاقة المرأة بأبويه إذ يعمله الحديث الشريف

نهیات ذت الوالدين أداؤها وهو اليوم قادر على هذا الأداء.

وهذه الصيغة لقانونية نجد امتدادها فى الأخرى خارج الأسرة فى كل تبعات

الكافل الاجتماعى التى يفرصها، لإسلام ورسوله على الإنسان نجاه غير انقادير فى  
لمجتمع من مُعسر فى معيشتة، أو عاجز عن أداء دينه، أو غار لا يحدد ما يقاتل به أو  
أرملة ويقيم ومسكين.

فالبر، المبادل بين الآباء والأبناء بشكل حر، هاماً من المركز الحيوى للعلاقات

لإنسانه كلها - ليس بسبب المعنى العبادى فى هذا البر وحسب؛ بل ولأنه كم ذكر

الدرس لعملى الأول الذى بشكل معدتنا على احرام العلاقات الإنسانية فى شتى  
أوضاعها وآفانها، وكلمة الرسول عليه السلام:  
"خيركم، خيركم لأهله".

نحلل هذا الموضع فى أحسن تفوهم، فلس حبر الناس لأهله، الأباى لدى بعضهم  
هو: لاس أجمعين.. بل هو الإنسان العاقل الذى يعلم من يره أهله يرأس  
جميعاً، والذى تحول فضله العائلى إلى فضائل إنسانية

\* \* \*

ونألق اهتمام الرسول عليه الصلاة والسلام بالعلاقات الأسرية عند إنشاء  
الأسرة وتكوينها.

وبه لنفى عنها عائلته، لعلوا فى الصداق مريعاً بها عن مستوى الصفة، فعول عليه  
السلام:

"خير الصداق أيسره".

إنها لفئة ذكية وحايه، لا تزال وسظل حاحه الدرس إليها غير العصور ماثلة، تلك  
التي يستهل بها رسول الله بناء الأسرة وإنشائها.

إنه يريد لهذا الباء الميمون أن نهض على أسس الإحسان، لا المعاصرة، والثقة،  
لا المساومة.. والإيثار، لا الأثر. "

ولا شيء شئ، نم يسمى علاقات ريانة وصالحة فى جو أسره مثل بدايه من  
لغز الذى يهوغه الرسول..

فلعلوا فى الصداق والتكليف هو الطاقة والجهد بداية عمره ومعونه للعلاقات  
لمنشودة.

من أجل هذا يولى الرسول حديثه واهتمامه لهذه البدايه التى يحدد المهر  
والصداق.

ذهب إليه يوماً أحد أصحابه يحبره أنه تزوج، فسأله الرسول عليه السلام:

"على كم تزوجتها؟".

ويجيب الصحابى: على أربع أواق..

ويقول الرسول مستكثراً وربما مستكثراً..

"على أربع أواق..؟"

"كأنكم تنحتون الفضة من غرس الجبل"؟!

\* \* \*

والرسول عليه السلام خير من يعلم أنه "لا يصح إلا الصحيح" ومن ثم فهو لا يترك  
"مر العلاقات الأسرية، للمصادفة ولا يدعها تتشكل في فراع بل يهيئ لها كس ظروف  
الحياه واسماء ومد للحظبات الأولى لكوين الأسرة، بل للمكير هي يكوينها يوسى  
بتوجيهاته الرشيدة القضية كلها.. انظروا

حسب صحابي من الأنصار واحدة من باب قوم، فسأله الرسول عليه السلام:  
"أنظرت إليها..؟"

قال: الرجل لا

فقال لبي

"ذهب فانظر إليها، فإن في أعين الأنصار شيئاً"

في هذه النقطة، نلحده بدأ اهتمامات المعلم الأكرم بعلاقات العائلة  
إنه لا يشد هذه العلاقات فوق هوة فاعرمد، ولا يرفع يدها في فراع. وفيه ليعلم  
دور الطبيعة الإنسانية في كل عمل إنسي، ومن ثم فهو لا يخرجها من حسابها أبداً في كل  
الكائيف بني شرعها والاداب التي يسها إنه بطلب إلى المحاطب أن يكون على بسة  
من مستوى الجمال الذي يرضيه وتفتح به نفسه.

لماذا..؟ ليس لأن الجمال عند كثير من الناس مقصود لدانه فحسب. بل أكثر من  
ذلك؛ لأن الجمال في عممة الرواج سبيل لإرباء روح الود وإعاش علاقات الأسرة.

يوضح ذلك قوله عليه السلام لصحابي آخر

"انظر إليها؛ فإنه أحرى أن يؤدم بسكما"

بل براه في حديث آخر يرسل امرأة حاطبه لس من امر المحطوبه ما لا تستطيع  
أن تتبييه إلا أنثى مثلها قاتلاً لها:

"سئى معطسها،

"وانظري غرقوبها".

وإنه ليدكر أن المرأة تحط ونزع لماتها، ولحسها، ولجمالها، وبديها  
وهو إد يصع كل ذلك موضع العدير، يفتح بصائرها وأبصارها على أهم هذه  
الدواعي وأزكاها قاتلاً:

"فاظهر بذات الدين تربت يداك".

ومع بركيته هذا على ذات الدين، ومع أنه رفض كل تعابير بطل، وبإحدى سبل جميعاً ليكون سواسية كأسس المشط، لا فصل لأحد على أحد إلا بسوى مع هذا كله لم يسس عليه الصلاة والسلام حقيقة التكافؤ بين الروحى وغير ذلك ضرورة نقصها سلامة الحياة الروحية وصيانة علاقات الأسرة من كل تحلل وبور. ودعوة لى لى هذا التكافؤ من أصدق آيات ولأنه للحياة الإنسانية وأصدق آيات فضته فى تول مشكلاتها، فالناس مختلفون فى مستويات حياتهم ومب ينون فى الظروف لى يجعل منهم أنماط شتى فى تقالدهم وربيته وأحلاقهم وأساليب حياتهم، وفى تلك العروق الدقيقة التى تكاد تشكل كلاً منهم على حدة، وكأنه من عالم وحده فما تعارف من تلك الأنماط العتبه بداعى وأثلف. وما تكرر منها بعد واحلف!! ولكى تقوم الأسرة ونهض على علاقات قوية ودائمة دعا الرسول عبد السلام لى احترام هذه الحقبة عندهم بهم اثناء بناء أسرة ويكون عائلته.

يقول عليه السلام:

"ثلاث لا يؤخرن.."

- الصلاة إذا أتت.

- ولجنارة إذا حضرت.

- والأيم إذا وجدت لها كفؤاً"

به تعبير دقيق يصور للمعنى المطلوب ويعبره، فهو عليه السلام لم يصر إد وجدت لها زوجاً.. بل كفؤاً!!

وقد جاءه ذات يوم فتاة شكو أباه وتقول.

إن أبى زوجى من ابن أخيه ليرفع بى حسسته، فرد الرسول الأمر إله وول لها.

إن شئت أمصيت الزواج وإن شئت فقضته..

وهذه الواقعة تصيف بعداً جديداً لموضوع الكفاءة، والزواج هنا ابن عم الروجة..

أى أنهما من مستوى عائلى ومعشى واحد، بيد أن هناك فارقاً آخر فى الدين وفى

الحلوى وهو فارق لا يمل أهمه عند الرسول، ولا يسى دوره فى تقويم الكفاءة وعيها،

من أجل هذا يقول عليه السلام:

"إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه.."

"إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير".

والدين بسبب، والخلق حسب وهما يشكلان عنصراً أساسياً في تحديد الكفاءة ونشحيص الكفاء.. دون أن نسي ضرورة، للمائل المطلوب بين المستويات لاجتماعيه بكل ما يحمله من بونق وفروق - الأمر لدى أحسن أمر المؤمنين عمر وعنه وأهمسه فقال.

"لأمنعن تزوج ذوات الأحساب إلا من الأكفاء".

\* \* \*

إنه يمشي أمر بسبب عليه الصلاة والسلام

"نحزروا ليطفكم، فانكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم"

\* \* \*

ولكى يبدأ العلاقات الأسرية بداية سليمة وتنمو نموها المرتقى، رفض السبي في شدة لروح الحمسة. ذلك الذي يتم عن طريق الإغراء والحطف حيث يجمع شهوة جامعة بين ذكر وأنثى، فتزوجان بعيداً عن رعيه ولي الأمر أو رعيماً عنه.

ها يقول عنه السلام:

"لا نكاح إلا بولي"

ويقول:

"يُم امرأة بزوج بعير إذن ولها فإن نكاحها باطل.. باطل.. باطل".

وليس ديث إعراراً بحق الابوة فحسب بل ورعيه لعلاقات الأسرة ودعماً لصريحها، لمؤيم. بدليل أنه عنه السلام يضع رعيه المحطوبه ورعيه موصيغ للمدير والاعبر.. فيقول عليه سلام

"لا نكح الأئيم - أي الثيب - حتى نسامر، ولا ليكر حتى نُسادن"

ويقول أيضاً:

"لأئيم أحق بممها من ولها"

"والليكر تُستأذن في نفسها".

إنه، سادن بهر ورسول كريم يرعى العلاقات الإنسانية في كل مظاهرها وأنماطها، وهو إذ يصح بشريه للأسرة بولي العلاقات التي يحكمها كل عديبه ورعيه، وهتاهمه وبه عليه سلام لحريص على ألا ينظر الناس إلى الرواح كصفقة - من أجل هدا رح

يُخَيَّعُ عنه كلُّ لُوارعٍ والمُشاعر التي لا تتفق ومُساواة الإنسان الجليل  
ولكن، ف مصير العلاقات الإنسانية داخل الأسرة إذا تعرضت لبعض عوامل الخلف  
والشفق التي تُقحمها على الس ظروف الحياة.

ماذا يفعل الزوجان بمشاركته فشل في الاستمرار، وحده بهما صارت لا تطاق؟..  
أُنمست كل منهما صاحبه على هُون، أو حقد مريض وبعض مكظوم. ؟ أم سمرق  
وَيُغْنِي الله كُلًّا مِنْ مَعْتَه.؟؟

أجل كيف يتصرف روح فشل بها تبا في نيل الحبه مع زوجته وكيف يعين  
زوجته...؟

أثيرت ناس ليتصرف كل على طريقته بحاه رُدود لأفعال ساحمه عن أفعال  
وأحداث مرض الحصىمة و لطفه، أم يكون هناك سبيل موحد ومشروع يسبح بلا تعصب  
لدى لم يعد منه بد أن يتم في ظروف وادعه لا تتحول العلاقات الإنسانية فيها إلى مرق  
وأشلاء...؟

إن علاقات لإحاء والمحبة والتفاهم والتعاضد بين الناس تأتي في المقام، لأول  
دوماً لدى الرسول الكريم.

وهكذا، ورعاية منه لهذه العلاقات داخل الأسرة، بلغ الناس بشريته الطلاق بعد أن  
نستفرغ كافة الجهود لإزالة أسبابه.

واب وضعه لطلاق رغم إيجار العاره التي ساوله بها لآية في لأدب لعالي  
والحسن الرفيع:

تلكم هي:

"أبغض الحلال إلى الله الطلاق" !!

لم يكن لإنسان - فصلا عن رسول يحمل كل هذا الولاء للعلاقات، لإنسان يد أن  
بدع الحياة، لاجتماعيه تنجّر وسدهور تحت وقع أسر معلقه وراحه تحت بوارع الحمد  
والحصاد و لريض دون أن يجد باب مخرج، لي محاولات جديدة، بهب عنها منها سمات  
حب وسلام

فإذا أصعب، لي هذا إيمانه بأنه آخر مشرع يبلغ كلمه السماء، بدت مسئوليته  
و بحسبه بهذه المسئولية واضحاً ومفصلاً لكل اهتماماته السبله بمشكلات الإنسان، لأن  
يعترق زوجان حقت تماماً رغبتهما في اللقاء، حير من أن يظل راحين تحت بير شقيهما

بلطفه - ولأن تحول الروح لدى فقد أنسب بقائه إلى انقضاء وطلاق خير من أن يحول إلى نير وجحيم..!!

ولقد كان الرسول على وعى حكم وسديد بكل العوامل والظروف وهو يكتم سره عن حق الدين يصيهم روح فشل في قصته وإبائه هذه واقعه روجه اسمه "بريرة" وزوج اسمه "مغيث"

لصنع إلى حشر الأمة "عند الله بن عباس" يرويها له فيقول:

"كان روح بريرة يقال له مغيث، كأني أنظر إليه بطواف طرق لمدينة حنيفة، ودموعه تسيل على لحبته.

"رأهما الرسول يوماً فقال لعنه العباس وكان جالساً معه: ألا تعصب من حب مغيث بريرة ويعصب بريرة معثاً؟

"نم ولها - عنه السلام - وكنت قد انقضت عنه  
"ألا تراجعبه يا بريرة؟"

"فقلت لنبي يا رسول الله، أنا مريض فأطبع، أأد شفع فأحتار..؟  
"قل الرسول، بل أسمع يا بريرة  
"قلند لا حاجة لي به"!!

في عصر الرسول عليه السلام، كان للعلاقات الإنسانية من المدسة، وكان لها من الولاء والاحترام ما لم يكن سمح بتعكير نعائها وصعائها فضلاً عن تركها لشاراب الحقد والانعدام. ولقد كان المسلمون الرواد ينظرون إليها من خلال تعاليم رسولهم وقدوسه نظرة المحبتين الأوايين.

كأن يرون في أطوائها على أي حمد أو عش أو حديعة صرّب من الكفر، وليس مجرد عصيان!!

هذه روجه مسحة تكشف بعد الرواج أنها وزوجها على طرفي نقيض، ونعبر كل محدوداتها بتبيل حبها الزوجية، فذهب إلى الرسول والله له

"يا رسول الله إني لا أنكر على زوجي في حلو ولا دس ولكنني أحشى الكفر في الإسلام."

أرايتم.

هي شهاد أن روحها صاحب دين وحلق ولكن يار العاطفة الإنسانية يسها وببسه  
مقطوع هي لا تحبه كزوج ولا تألفه كشرىك حياه. ومع ذلك تعيش معه تحت سقف  
واحد. نحمل سعه ويحمل اسمها فكيف يصح ذلك؟ إنها ترى في مشعرها  
الحالة من حبه، وفي معاشرته وسط هذه المشاعر شيء يشبه الكفر  
"إني لا أنكر عليه في دين ولا حلق"  
"ولكنني أخشى الكفر في الإسلام"

هد. جلال فريد، بل أكاد أقول به بعد بس فريد للعلاقات الإنسانية، عزيز عيب  
أن نجد له نظيراً..

هي إذن عاجرة عن أن تحب روحها وتألفه الأمر الذي لا حبه لها فيه ولا حبه  
سروح أيضاً، فهو بشهادتها معه من الدين ومن الحلق ما لم تنكره وما لم يكن له بسببها  
أى مأخذ أو شكاة.

و لفصل بسها وبين روحها يقتضى منها مصححة بمالها تقبل تصححة الروح بقبسه  
وحبه

هـ لك سألها الرسول. ماذا كان أمهر لك؟ أى دفع لك مهراً وصدقاً؟  
قليلة حديقة..

قال عليه السلام: أتردين عليه حديقتي؟  
قالت: نعم.

فقال الرسول لزوجها:  
"أقبل الحديقة، وطلمها تطلقة".

\* \* \*

لم يستخدم الرسول كلمه "تطلبة" في هذه العبارة لرحمة بسجع بل  
استخدمها لأنه يعنى بها مريداً من الحرص ومن الحذب على العلاقات الإنسانية  
وهو يقنن لشرعة الطلاق.

إنه عليه صلاة الله وسلامه لا يريد أن يعلق الباب بها نياً أمام أى أمل ولو خفت في  
مكان استئناف الحياة الزوجية مستملاً في ظل ظروف ساعدة. وهو لهذا يسأمر بتطلقة  
واحدة حتى يفل الباب فوارثاً أو معوفاً أمام الرجعة لو قدر لها أن تكون.  
ولم يكن موقف الرسول والإسلام من إباحة الطلاق إلا صورة صادقة من صور إنقائه

عنى ، لعلاقات الأسرية ودعم بناتها - الأمر الذى فهم بعضه بعض الذين يستنون الفهم ونُفُوْزُهُمُ النظرة الذكية والمحلصة.

فالرسول عليه السلام لم يترك سبيلاً لتفادى الطلاق إلا أوصى به وحض عليه - وحسبه أنه اعتبره حى وهو ضروره مُلْحَهُ، أبغض الحلال إلى الله

بل إن بعدد الزوجات - الأمر الذى أسىء فهمه هو الآخر - قصد ضم قصد من حكمة تشريع، أن يكون حثلاً دون تمزق الأسر بالطلاق.

فلروح الذى حابه لتوفيق فى رواح ما، ولم بعد له خلاص فى غير الطلاق، بهج لإسلام أممه فرضه أخرى يبيح له إنشاء رواح آخر مع الإبقاء على حرمة رواجه لأول وكرامته ما وجد ذلك سبيل..

وهذا، وفى حالة العدد هذه يرداد يؤكد الرسول لحرمة العلاقات الإنسانية - لا سيما إذا حل الأسرة التى هى أولى لبيات المجتمع ووحدانه - فبرفعها، لى مرتبة لعدل المعروض.

يقول عليه الصلاة والسلام:

"من كان له امرأتان، ولم يعدل بينهما، جاء يوم القيامة، وشقه مبدق"!!  
أجل.. ليس للهوى مهما تكن حواء وأسماءه مكان فما يريد الرسول لعلاقات الأسره وعلاقات الناس من وشائج مشدوده بأواصر لحرمة والتوفير

وبعضى الرسول التعبير النهائى لعدامة العلاقة بين الزوجين، حين يقول للزوجات:  
"لو كنت امرأة أحدكم أن يسجد لأحد، لأمرت الزوجه أن تسجد لزوجها"  
وحين يقول للأزواج:

"ستوصون بالنساء خيراً؛ فإنهن عوان عندكم، ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة".

ويوظف فيه منكم العمل والمسر حين يحبر أن معه فى لشخصيه إنسانيه من المصائل والمربى لا يسمى أن يعنى عنه حتى شر عصا خطأ ما، أو بقبضة ما  
فيقول عليه السلام للأزواج:

"لا يترك مؤمن مؤمنة - أى يفارقها أو يعاصها - إن كره منها خيف، رضى آخر"

إنه لا يترك سبيلاً مستديم العلاقة المحالصة المحبسة بين الزوجين - أو بينهما

كوالدين وبين الأبناء إلا دعا إليها، وبأذن السارين نحوها  
 وإنه لبحر من صفوف المؤمنين كل من يعمل على إبعاد علاقة روحه ونعمه  
 يقول عليه الصلاة والسلام:  
 "ليس من حبيب امرأة على زوجها"  
 أي أفسدها عليه، وسار بينهما بالوفيمة والعسة.  
 ويصرب عليه السلام مثلاً بلساً لعدا حة الإنم لذي يركبه من يحرب علاقات  
 الأسرة على هذا النحو فيقول عليه السلام:  
 "إن إبلس يبعث سراياه، فأدناهم منه منزله أعظمهم منه - يحيىء أحدهم،  
 فيقول: فعلت كذا، وكذا، فيقول له إبلس: ما صنعت شيئاً ثم يحيىء  
 أحدهم فيقول: ما بركته حتى فرق بينه وبين امرأته، فيقول له: نعم أنت"

\* \* \*

ومسألة المال، والنفقة والمعشة، من أكثر أسباب الظلمة في الأسرة إن جرت  
 ربحها رُحاء.. ومن أكثرها إزعاجاً وتنصباً إذا تعثرت وناهت.  
 والعلاقات الإنسانية داخل الأسرة تدهر وسرعين بعدد من تؤقى الأسرة مش كل  
 لعيش والنفقة.  
 وما بعد للأسرة وللحلاقات الإنسانية فيها يلسم من ويرى وبارك من بعد لم  
 الرسول وأحاديثه  
 وبدأ عنه السلام فيعلمنا أن أهل وأركى صوف النصف لى سمها - هي تث  
 لى نسد بها حاجات أهلينا.  
 يقول عليه السلام:

- "دينار أنفقته في سبيل الله،  
 - "ودينار أنعمته في ربه - أى حررت به عبداً رقيقاً..  
 - "ودينار تصدقت به على مسكين..  
 - "ودينار أنفقته على أهلك..  
 "أعظمها أجراً، الذى أنفقته على أهلك.."

ليس معنى ذلك بذاهء، أن يمش الإنسان أدماً، ويكف يده عن النعمة في سبيل الله  
 وسبيل الخير، ما دام وسع له في رزقه..

بما يحصر الحديث الذي سلف في الذي لا يؤيد فيه فرصة الاندفاع عن سعة قبض  
يبدأ أولاً..؟

يقول الرسول: ابدأ بأهلك.

وإنه - عليه السلام - ليحدد الخطوات في حديث آخر يقول فيه:  
.. على نفسك .. وروجتك .. وولدك .. وخادمك ..

وحتى ذلك لراع لدى تثيره رغبة كثير من الرواجب في الاستئثار بكل شيء،  
وحرمان آباء أرواحهم وأمهاتهم وأرحامهم من بعض ما يقدر عليه الأرواح من فصل  
وبدل..

حتى هذه، لم يسهل الرسول الكريم. فقد أناسي من دعم حق الرواجب والنو  
و لخدم في النعمة أولاً، عاد وقال:  
.. وابدأ بمن تعول..  
"أمك وأباك. وأختك وأخاك..  
"وأدياك، فأدياك.."

إن العلاقات الإنسانية تتبدد كالعبر العموش، حتى تصيق دائرة التك في المحبوم  
وتعلق في وجوه أحوال من دليرو لجان ويلعون الواجب المفروض. وهكذا يدفع  
لرسول عوئل الأديب والكرن إلى سدر من روجه جاره أو ابن جحود!!  
وحيث يعطى السبي اهتمامه لكفاهه لست والأهل أولاً، فإنما يسه بهذا إلى نسب  
لصرفات الرعاء التي ينصف بها كثرون، فيعشرون دخلهم في مظهر فارعه كاديه. يسما  
يؤوبهم في حاجة ملحة إلى ما يصنع حارجه رباء أو سمها  
وهب معلم لأعظم عليه أفضل الصلاة وأبهي السلام.  
"كني بالمرء إثمًا أن يضيّع من يعول".

وكما يلمح هذا الرجر -، الروح المصنوع، طلع كذلك الرواجب المصروف. فإن كنهم  
- لروج و بروج - مستول عن طمأبه الأسرة بما يتعاون عليه من قصد ونظيم.  
يقول عليه السلام:

"كلوا، واشربوا، وتصدقوا - ما لم يحاطه إسراف، ولا محله"

ويقول عليه السلام:

"إنما أحشى عليكم شهوات الفئ في بطونكم، وفروجكم، ومصلأب ابهوى"

ولقد رأى عليه الصلاة والسلام ذات يوم رجلاً عظم الطن من السمّة، فقال له وهو يشير إلى بطنه:

"لو كان هذا، في غير هذا، لكان خيراً لك..."

وأحسب أن هذا القول بيحه للمرأة أيضاً إذا حولت ميراثه بسبب، إلى بطن كبير، وجسم مُترهل، وسمّة متعشّية...!!

إن مقصد في المعيشة من أكثر دواعي الاستمرار في الأسرة والاستقرار في الأسرة ضروري لكن ما شدد للعلاقات الإنسانية من سلام وازدهار

وبهذه التوجيهات التي تحدث بها الرسول ﷺ إلى أسرته وعياله، وبنات جناب يومئذ منهن، نجد للعلاقات الإنسانية إحدى ركائزها، وأحد أسسها، كما نجد صلتها، إلى المجمع الكبير والعريض، لتكمل له في ظن لوجه النوى الكريم حبه دمية، حابة، متسامية.

\* \* \*

وتدأخ العلاقات الإنسانية في أسرة لتستظم فيها الرحم وكن دوى لقرين، ونصفي النبي عني هذا النوع من العلاقات خاصة - حفاوة ربانية، تجعل التعرّيط فيها نقصاً في الدين لا يرصاه لنفسه مؤمن.

وإن لرسول عليه السلام، لتعلم أن العلاقات الإنسانية داخل الأسرة، هي العرصه الحبله لتدريب الإنسان على جذو العلاقات والولاء لها في طول المجمع وعرضه لأن الفضائل الإنسانية تركز بالدرب. وحرر فرض التدريب ما كانت في نطاق نفس عنه النفس وبألفه بحكم ظروف طائفته وثقته. الأمر الذي يجده مؤمراً في مجال الرباط العائلي

وإذا كانت أمانة البعض يريد أن تقف بهم عند الحدود الصيغه للأسرة من روجه وودد ورخوة من الرسول عليه السلام يدعونا للحروح إلى العرايه لعريه وبعيدة - ذلك تشكل الامتداد الحق للأسرة والمرحم.

ويبدأ عليه السلام، فيقول لنا:

"لرحم فعلقه بالعرس، بقوله من وصلني وصله الله ومن قطعني قطع الله"

ويقول:

"يا معشر المسلمين. انموا الله وصلوا أرحامكم فإنه ليس من ثوب أسرع

## من صِلَةِ الرَّحِمِ

والرحم معلقة بعرش كعب ؟ إن كل ما للفرقة من حق، يعود بالله سبحانه من  
قطبته التي نضع هذه الحقوق ونُدسُّها في التراب  
من كل هذه الحقوق بكل ما يمثله من حجة، وهموم، وكروب وكل ما يطلع إليه  
من عوث، وبجده، وبر، سود ناقة الحفظ العليم بالله، يباه أن يبارك الذين يحمون  
مسنونه وصلها وأدبها، وأن يأخذ لها حقه قصاصاً عادلاً من الذين ينكرون لها  
وبصوغ الرسول الكريم هذا المعنى في صورة من أبي قلاند القول يقول:

"إن الله تعالى حلوا الحق حتى إذا فرغ منهم، قاعب الرحم فق ب: هذا  
مهم العائد بك من القطبنة.

"ف ب نعم، أم برصين أن أصل من وصلت، وأقطع من قطعك ؟

"قلب بلى

"قال لله عدلت لث

"ثم قال ﷺ اقرأوا إن شئتم ﴿ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ.

وَتَقْطَعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُ اللَّهُ فَاصْفِهِمْ وَعَفْنِي أَبْصَارَهُمْ ﴾"

فها، يعطى الرسول أروع صور هذه العلاقة المهيبة، حين يكشف عن الحاجة  
لفصوى سى تحرك امر به نحو طلب الحنان والتعاطف والصره حتى لكأنها من فطر  
وحديث ووحشيتها وبصوغها بطرح نفسها بين يدي الله ونحو عرشه مستعيضة به، صارعه  
إليه، وحين يتبدل الناس النواصل ويعطون الرحم والعربى حصها يكوسون قد حققوا  
واحدًا من أهم وجوب الإيمان. لكن الرسول عليه السلام يُحل هذه العلاقة عن أن  
تكون شيئاً يشبه الصفة.

وَمَنْ تُمْ يَقُول:

"ليس لو صل بالمكافى، ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها"

إنه يريد لعلاقة لا سمعا في هذا المستوى المرت أن نرى من اليباد، المعنى  
أو الأناس، فاصل قرى لأنه يعللى، و رور أحي لأنه يرورى فرد امسع امسع!!  
لا ليس الوصل بالمكافى أى الذى يصل - قطع - من يصله

إن العلاقات الإنسانية عامة، والأسرية خاصة، أجل مقام وأسمى منزلة عبد رسول من أن يعطيها غروب أحد الأطراف عنها ونقصه فيها  
ها هو ذا عليه السلام يقول:

"ألا أدلك على أكرم أخلاق الدنيا والآخرة؟"

"إن نصل من قطعك، ونعطي من حرمتك، ونعفو عن ظمئت" !!

فإن نصل من قطعك، ونس من وصلت وحسب هذه هي البطولة وهذا هو  
المسك الكريم الذي تسمى به لعلاقاتنا الإنسانية رحمها وبهاؤها  
ولقد سئل الرسول يوماً من أحد المسلمين هذا السؤال:  
يا رسول الله.

"إن لي قرايب، أصلهم، ويعطعونى وأحسن إليهم، ويسئون إلي، وأحس  
عهم، ويجهلون على."

"فقال الرسول للسائل: إن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم الملأ ولا يزال  
معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك"

إن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم الملأ أى لك الحجة عليهم وأنت بترك هذا رغم  
إساءتهم، وبوصلتك رغم قطعهم وتحملهم وبدل عروهم. وسيأتي ليوم الذي يقعون فيه  
أسرى مؤذيك وإحسانك لأن معك من الله ظهيراً وصيراً وسلطاناً

إنه عنه السلام حريص لا ريب على إبعاد عنا ولا يسهل وإحيائها ببدن  
أبود، ونصله ولحم، أبعاء وجه الحبر. ولكن إذا تكس أحد الأضراف عن واجبه،  
والرسول يدعو الآخرين ألا يملؤوا بالمثل، ولا تعرض لندبول ولصمور وسلاشى،  
الامر لدى بعيدنا منه الحريص علماً، والرحيم بما - عليه صلاه رب وسلامه.

\* \* \*

ومن الأسرة إلى المجتمع المريض الرحيب تقدمنا أحاديث الرسول وتوجيهاته  
ليجد المجتمع فيها أوثق دواعي تواصله وتكامله.

ويدرك النبي الكريم ما يملئ به حياء الناس من صوصاء ومشطاب. يدرك أن  
الظروف والمواقف والمشكلات التي تعمل على تحريك العلاقات الحنوة الآمة بينهم،  
أكثر وأكثر من الأخرى التي تعمل على جمع الشمل وإزهاق الإحاء

من أجل هذا، لم يشأ أن يترك علاقات إيسابه هذه لرحمة الأحداث، وردود  
أفعال المواقف، وبحكم الظروف إن دلت بجعلها "قشة" في مهب الريح  
بيد أنها تعوى ويدوم إذ صاع لها "صمره" الذي يركن إليه، ويسعد منه مهما  
نكى لظروف وبعد وجد هذا الصمر في ربط هذه العلاقات ربط وثق وكملأ بقلقة رب  
لدا لمين

أنت دأحدث بمك برحمة لصعب، وبوفر الكبير، والنواصع للبس، وبشء  
كل وجوه العلاقة الحسنة معهم، لكي يمدحوك أو ينعموك، فسيأتي اليوم لدى تهمل فيه  
هذه بمصائل ولشعثر كنها أو بعصها إذا تعر نفديرك لمدحهم أو لنعمهم..  
أما إذا أحدثت بمك ذاتياً أن تصع ذلك أبعاء وجه الله ومرص به فقد صعب  
لصعب ذلك هذه بقاء وحلوداً..

وهذا هو "الصمر" الذي يشه الرسول في علاقت إيسابه لسي ويدوم - أن يكون  
الله وجهنا، ولا شيء معه.

وهكذا قل عليه السلام وهو يحدث عن الذي يروق حلاوه الإيمان.

"وَأَنْ يُحِبَّ الْعَرَاءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى"

انظروا.. (لا يحبه إلا الله تعالى).

هذا هو الصمير الرشيد والمجيد لعلاقاتنا كلها. أن نحبه، ونرور، ونعطى،

ونصل، ونحمل، وسعامل، لا شيء ما، إلا أبعاء وجه الله العلي العظيم.

عمدند لن نصرك، همل، أو نكران. ولن يكون العلاقة ست ونس مجمعت صعبه

بن فرهي يرعاها الله بعتانه.. ويتعمدها برضوانه..

وسبطن لرسول عبه لسلام يؤكد هذا المعنى ويدكرن به

به حرص عني أن يكون كل أعمال الله. وهو أكر حرصاً عني هذا في مجال

علاقات إيسابه؛ لأنها سور حمداً إذا هي حصص لاسلوب البيع ولشراء وهاب،

وحدت بسما هي نحب ويردها وبألق كلم كان حادتها الرعه سم عبد الله من رب

وثوب، وسيقول لنا الرسول كثيراً:

" وكونوا عباد الله إخواناً "

وسيربط هـد لإحاء بصممه الحي . ابتعاء وجه الله فما شدد من إحاء وصحية،  
وفيما تأتي من مجاملة ومودة وصلات.  
يقول عليه السلام:

" يقول الله تبارك وتعالى وجئت محبباً للمحسب في، والمجالسين في،  
والمتراورين في " ..

\* \* \*

ويريد الرسول للناس أن يكون اجتماعهم على خير، وأن يكون ملاقيهم وبنو صلتهم  
وما بينهم من علاقات قائم على المعروف لا المكر  
إن الفصائل بين الناس بسبب شد بعضهم إلى بعض، ما هو د يعون،  
الأرواح جنود محنّدة، ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف "  
وهذا هو السبب الحق والحسب الباقي الذي يهبط لصاحبه مكاف في قوة  
المشاركين من الناس.

يقول عليه السلام:

" ومن بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه "

إن سداد العلاقات الإنسانية يتعمل أولاً في أنها تنادي الشرفاء إلى بعضهم وتقيم  
سبهم بكراً فلا يجعل دائرتهم دائماً في أساع، وعددهم في مريد،  
وإن الله ليبارك هذا النوع من العلاقات ويبارك أصحابه، ليس في الدب وحسب.  
بل وفي الآخرة أيضاً ..

يقول عليه السلام:

" أهل المعروف في الدنيا، هم أهل المعروف في الآخرة،  
وأول من يدخل الجنة أهل المعروف " .

ولكن ذلك لا يعنى عند الرسول أن يطوى أهل المعروف على أنفسهم، ويمسوا  
علاقات متجهمة مع الآخرين.

إن التشريعة حدودها وعموماتها وزواجرها سولي بها علاج الحظنة والحظنين  
أما مجرد العلاقات، الإنسانية فمن الخير أن يبقى مصحح الحيات بكل ما يمشيه من عيون

وعوث وسلام؛ لأنه بما يرحمه من شاعلات كريمه قادر على الأحاد بأيدي الذين يتعشرون  
- إلى عالم الصلاح والعصيلة.

إن العلاقات الإنسانية من شأنها أن تصبح عسيها على ما عند الناس من خير وفصل،  
وإن يغصبي عما بهم من ضعف، فربها إذا عكست عسى مساواة بهم تحرف، ويعيرهم بها  
وقعت تحت إغواء لقطعه، وفقدت دورها في جمع لشملة والدعوة إلى الحر  
يقول عليه السلام:

"يُعَاذُ.. أَحْسَنُ خُلُقِكَ لِلنَّاسِ".

إن كلمة "نفس" تزل كثيراً ويدل على كثير، فهناك أحاديث كثيرة بأمر بحسن  
لخلق. وامتلاك الإنسان كثيراً من الفضائل يرفع من قيمته وقدره. لكن هذه الفضائل  
تظل كلعافه المحسنة حتى تلمى على الناس وعلى المجتمع انعكاسها التام؛ فتدل على  
أصلها، أو انعكاسها المنحهم نفساً؟ فتدل على صحتها  
يقول عليه السلام:

"وَكَمْ لَنْ تَسْعُوا النَّاسَ بِأَعْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ سَعَهُمْ مِنْكُمْ بِسَطِّ الْوَجْهِ وَحَسَنِ الْحَقِّ"  
ويلاحظ هنا أن السعي عليه السلام، لم يستعمل كلمة "المؤمنين" أو حتى  
المسلمين بل كلمة "الناس".

ذلك أن هناك هدراً من الخلق ومن العاقل الحسن الكريم، ومن العلاقات الحية  
لمستعمه.. هناك قدر من ذلك كله يجب بذله للناس، جميع الناس حتى يستفيد منهم أمر  
لحده الإنسانية، وحتى يبعث أبواب الرجوع إلى الصواب وإلى الخير مفتحة أمام  
الشرايين عنها..

من أجل هذا، وحتى حين يكون المقام مقام دعوة إلى الدين ذاته نجد الرسول  
يقول:

"بَشِّرُوا، وَلَا تُنْفِرُوا.. وَبَشِّرُوا، وَلَا تُعَسِّرُوا".

إن هذا الجنب من حسن الخلق الذي يمثل في التعامل المباشر والمستمر بين  
لناس بعضهم لبعض، كان على الدوام موضع اهتمام الرسول ﷺ وموضوع حديثه  
ووصيه؛ لأنه يعلم أن لعلاقات السوية والرشيدة مرهونه بوجوده.  
يقول عليه السلام:

"إِنْ أَحْبَبَكُمْ إِلَيَّ، أَحْسَنْتُمْ أَحْلَافَ الْخَوِطِ وَأَوْكَدْتُمْ الدِّينَ بِأَمْرٍ"

ويؤلمون".

فهنا في هذا الحديث بركة مباشرة للأخلاق الاجتماعية التي تتأثر ويؤثر ويتحتم بالعلاقات الإنسانية، فتوطئته لأكثاف والألفة والإبلاف - كلها يحمل من رحمة المفهوم وسعة الدلالة ما يجعلها وعاء لكل الأخلاق الاجتماعية في غير نقصان . ويتم عليه السلام حديثه فيقول:

"وإن بعضكم إلى المشاءون بالسليمه.. المعروفون بالأخيه.. الملتزمون للبراء العيب".

إنه تتبع دقيق للأدب الفسفة التي تفرز أخلاقاً محربة للصمود إنسانه، مشطه لأسباب التفاهم والود والإخاء بين الناس: من أجل هذا يقول عليه السلام:

"حسن الخلق نماء. سوء الخلق شؤم".

ولئن كان هذا المعنى صحيحاً بالسبب للفرد ذاته - بمعنى أن حسن خلقه يأتيه بالخير، وسوء خلقه يحلب عليه السوء والشر - فإنه أكثر صحة وطبقاً على المجتمع في علاقته بالفرد. فطيب الأخلاق نماء لمجتمعه؛ لأنه يحسن خلقه دعوة وقدرة إسي كل فصله وحر . وأما سئ الأخلاق فتؤم على مجتمعه، لأنه بسوء خلقه وفظظه نفسه وعلاظ قلبه ويجهم ملوكة دعوة وقدوة إلى السوء والشر . والرسول عليه الصلاة والسلام بهذه اسوجيها لا يهبي الظروف الرصة لعلاقات إنسانية فحسب . بل هو مع ذلك، وربما قبل ذلك، يعمل على إيجاد الشخص الصحيحه التي يستطيع يحسن فهمه ولياقه نصرافه . أن نمارس علاقاتها مع الآخرين في رفق وعدويه وسد د.

وفي هذا السبل يقول عليه السلام:

"ألا أخبركم على من تُعزَّم النار..؟"

"تُعزَّم على كل هين.. لين.. سهل".

والهين، اللين، السهل، هو ذلك الإنسان الذي نشيع بصرفه في لعلاقات الإنسانية من الدفء والهدوء والسكينة ما تقر به عيناها..

يقول عليه السلام:

"من أعطى حظه من الرفق، فقد أعطى حظه من الخير

"ومن حرم حظه من الرفق، فقد حرم حظه من الخير".

ولأنه وأصحابه ودعيه، إنما يعيشون المجمع الإنساني إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فقد حملهم عليه الصلاة والسلام مسئوليتهم بحذاء الرقوبه والحذب عليه حتى دل.

"إنما يُعْتَمَدُ مَسْرَبٌ"

"ولم تبعثوا فُجَسْرِينَ"

وإنه ليقول للأشخ على ملا من أصحابه.

"ن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله:

"الحلم، والأناة.."

ويكشف لبس عن طبيعته القوة الحثيرة العاصلة التي هي شرف لصاحبها فيقول

"ليس الشديد بالصرعه..

"إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب"!!

فهذه القوة وحده، هي التي يصبغ العلاقات الإنسانية سلامها وسلامتها وخبرها وانتصرتها؛ لأنها - أي هذه القوة الرشدة - ستوقها من الوقوع في الحمق والغضب، ومهدوي التمرق والعطية..

وهذه القوة حين تكون طابع الشخصية باله لأفراد المجمع فإن العلاقات الإنسانية تكون قد استعرب على قاعدة صلبة لا تهتر ولا تتدهى

\* \* \*

بعد هذا مباشرة يسعر ب الرسول عليه الصلاة والسلام إلى نقطة هامة، حيث يبين لنا طبيعة العلاقات الإنسانية ودرجة أهميتها.

فهل هي أسلوب في المحاملات الرقعة والإنسان العايرة؟ أم هي مسئولية دينية واجتماعية بكل ما للمسئولية من معان وحضائص وجراء؟

إنها عند الرسول وفي الإسلام مسئولة دين، وحق مجتمعي. فعندما يقول الرسول مثلاً:

"ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا"

وعندما يقول:

"من لم يشكر الناس، لم يشكر الله"

وحين يقول:

"لَا تُلَاقُوا حَتَّى تَحَابُّوا".

وحين يقول:

"مَنْ طَلَعَ فِي بَيْتِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ؛ فَدَحْلٌ لَهُمْ أَنْ يَقْتُلُوهُ عَسَى"

هذه الأحاديث. وكلها عن آداب المجمع وحقوقه وعن العلاقات الإنسانية. ألا تدرك بما فيها من ثنى الإيمان بآراء، والحرمان من مرايا الأسماء إلى الجماعة المؤمنة بآراء أخرى. والعقوبة بمقتضى العيب مرة ثالثة. ألا يدل ذلك كله على أن علاقات بالمجتمع وبالناس ليست في الإسلام، وليس عند الرسول مسألة ثانوية تعيش على هامش تعليمه وتوجيهاته؟ بما هي واجب كبير تلقى مع واجبات الدين والحق مسئولته المحتومة، أجل هي مسئولة دين وحق مجتمع، وإن أحاديث الرسول عليه السلام لتتبعون مع الناس لتبلغ أسس مدارك الوفاء بهذه المسئولية وهذا الحق.

يقول عليه الصلاة والسلام:

"إِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاصَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحَرَمِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا.. أَلَا هَلْ بَلَغَ".

أجل، بلغت يا رسول الله، أصدق البلاغ وأوفاه، فبمساء الناس وأموالهم وأعرصهم لها قداسة تدود عنها كل طامع. ومن هذه الحرمات المعصومة المحفوظة تبدأ علاقات الناس مسيرها المطمئن الشريف.

يقول صلى الله عليه وسلم:

"إِنَّ أَرْبَى الرِّبَا - أَى شَرُّهُ وَأَفْدَحُهُ - اسْتِظَالَةُ الرَّجُلِ فِي عِرْضِ أَخِيهِ...!!!"

فأدنى الواجب تجاه العلاقات الإنسانية التي تشد، لناس بعضهم إلى بعض، ويحسن منهم عائلة واحدة.. هو أن يحفظ بعضهم بعضاً بالعبء، فلا يذكر الرجل أخاه بالسوء، ويطلق فيه لسانه بغير حساب، مستهزئاً فريسه عابده.

وصدق الله العظيم:

﴿إِيحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ ١٢

يا رسول الله الصلاة والسلام يصون بعضاً، ويحظر بعضاً من هذا السلوك لدميم وإبه يعود فيردد نفس المعنى الذي رايناه في حديثه السابق في صورة أصدق،

فمقول عليه السلام

"أشدُّ لربِّ، وأزبى الربِّ، وأحبُّ الربِّ - انتهاك عرض المسلم، ونهك حرمة" به عليه سلام ينشئ حرَمات شاهقه لسرائر الناس وأسرارهم ذلك أنه ما يرب على خدشه من دمار ما حيي، ليس للعلاقات الإنسانية وحدها، بل وللبناء لاجتماعي ذاته.

ولعمدته بذلك حين قال:

"إني سمعت عورت لمسلمين، أفديهم أو كذب تعمدهم" من به عليه السلام ليرجر الحاكم عن تتبع تلك الأسرار إذا كان حريصاً على صلاح مجتمعه وصلاحه.

يقول عليه الصلاة والسلام:

"إن الأمير إذا ابتغى الرِّبة في الناس أفداهم."

ويصرب عليه السلام أصدق الأمثلة وأروعها حين جاءه واحد من مسلمين واسمه "معر" يعترف بحطئة الرب ويسأل الرسول أن تقوم عليه حد الله. وأمام عرف لرحل وصراره على، عرفه رعم المرض الكثيرة التي لوَّح له بها الرسول كي يسحو من لحد - لم يكن ثمة يد من إقامته. وبكى، حين علم الرسول أن لدى دفع "معرأ" إلى الاعتراف ورَّبه له رجل سمعه "هرل".

قال له النبي:

"لو سترته بثوبك، كان خيراً لك".

إبه ولاء عجيب بحرمت الناس وأعراضهم لا يسي الرسول الكريم عن تردادهِ ومحيده: ولا يكف عن لدحص والرفض لكن اصاب عليه..

"يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه،

"لا تنقبوا، للمسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإن من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته.

ومن تتبع الله عورته يفصحه في بيته..

وممن يجيء هذا الولاء..

يجيء من رسول بعث لبركي العصيلة، وبذخر الرديله

رسول يقول:

"حَذِّبْخِرْكُمْ عَنِ السَّارِ، أَهْوِلْ إِيَّاكُمْ وَجْهَكُمْ، إِيَّاكُمْ وَالْحُدُودَ، إِيَّاكُمْ وَجْهَكُمْ، إِيَّاكُمْ وَالْحُدُودَ".  
ويحدث عن النبي يا بون يوم القيامة ومعهم من الحر أعمال كأمثال جباب بهامة،  
يجمعهم الله به مشوراً . وذلك لأنهم كما يحدث عنهم عليه السلام:  
"قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها".

من هد الرسول الداعي إلى الله وإلى صراط مستقيم، يحيى هد، لكامل الهد  
بين حرصه على الفصلة والطاعة وحرصه التسل على أعراض الناس وحرصه لجماعه.  
ذلك لأنه يعلم ما في ذلك من صلاح عظيم ليس لأمر الناس محسب؛ بل وللفصائل  
التي يدعو إليها.

ثم به عليه السلام لا يسوئ الناس ولا يريد من أحد أن يسوئ الناس إلى الفصلة  
والحر بالوسط ولا بالنزيع.. إن أحرص ما يحرص عليه أن يقوم المكوث لأخلاق  
الصميم الإنسانية في الجماعة وفي الفرد وأن يتركوا ويتردد في كل إنسان هناك للمبر  
لأخلاقى لى هي دكره الفصائل الإنسانية بل دكره الوجود الإنسانى - وذلك لا يسأى  
بحدلان لإنسان وإدلاله، ولا يتبع عورانه ومصحيم رلانه ألم يمل لنا الرسول من قبل  
"بك إن اسع عورات لمصحين، أفعدتهم أو كذب مصداهم ؟"  
إنه لهذا يقولها.. ولهذا يرفضها ويتحصنها..

إن الرسول يرفضه من الناس ويريد منهم ولهم أن ينعوا دائماً به معهم من فصل  
وبه فهم من خير - فذلك أفضل الكل لإرواء علاقتهم بحسن الود والمحبه والإخاء  
إنه يريد بها علاقتهم به صافية، ومن ثم فهو يرفض عمر الناس ويحريجهم؛ لأنه  
ليس فيهم من يسلم من خطأ وأخطاء فإذا لم يجد كل منهم إلى حظيره يسهرش برلاؤهم  
فى ضلال بعيد!!

ومد كان عليه السلام يرفض أدنى سامح في هذا السبيل، فهدده روجته لأثيرة  
عائشه "تذكر صمية بنت خني" زميلها بكلمه هيبه وعذيره فتقول: "إنها قصيره" فغضب  
الرسول ويقول لعائشه

"لقد قلت كلمة لو فرجت بماء البحر لمرجته"

أى لجعله عكراً كدرأ !!

ورد أن يجلس يوماً بين أصحابه استأذن رجل من الحاضرين وأبصر، وكان به عجز يجعه يقوم بصعوبة ويمشي بمشقة. فلما ولى ذاهباً، قال بعض الحاضرين - ويسدو أنه كان حديث عهد بالإسلام - ما أعجبه وأصعبه.

فغضب النبي من قوله وقال:

"أغضب صاحبك، وأكلت لحمه".

بل إنه لسائر ذات يوم في الطريق ومعه أصحابه فإذا ريح فسه يهب على الطريق - ربما سببها وجود مسجع أو جيفة في مكان غير مغطى

وإذا الرسول أن يصرب هذه الريح الحسنة مثلاً لرديله يفر منها أصحابه فلم يجد

أسب لها من ردينة عتيد الناس وتحريجهم، هنالك التفت إلى أصحابه وقال بهم:

"أتدرون ما هذه الريح؟"

"هذه ريح الذين بعدىون المؤمنين!!"

وكثيراً ما يقع الناس في صلال التصيرات المعرصة، فيظنون أنهم باجون من ور

الغربة ما دموا يجرحون الآخرين بحقوق لا باطل ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام

يخبر هؤلاء أن الغيبة باطل كلها هذا سأل أصحابه يوماً

"أتدرون ما الغيبة؟"

قالوا: الله ورسوله أعلم..

"قال: ذكرك أخاك بما يكره.

قال قائل: "يا رسول الله، أرايت إن كان في أحي ما أقول؟"

قال الرسول: "إن كان فيه ما تقول، فقد اعتبه. وإن لم يكن فيه ما تقول

فقد بهته" أى اختريت عليه وقذفته.

ورداً كان لرسول يشجب نعيه ويدمعه؛ فإنه في نفس الوقت يمدى بالمقاومة

المشروعة له، حتى تجد العلاقات الإنسانية حماية من الردى السدى بسببه، ولحدلان

لذى تحبه.

فيقول عليه الصلاة والسلام:

"من رد عن عرض أخيه، رد الله عن وجهه البار يوم القيامة.

"... ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة"

ونقد رأيت موقفه الشخصي من روجه حين فلت كلمة لا بحسب في الكلمات  
البحرانية، فإذا هو يحبرها أن كلمتها هذه كافة لأن عملاً البحر كدر وعكراً .

\* \* \*

وفي الطريق، وهو يصلح الأشواك التي تدمي علاقات الناس ويمرر وحدتها رفض  
الوشاة والساميين وكنسهم بظرائه المشتمرة الساحطة، لأن دورهم في تحريب لعلاقات  
الإنسانية بشع ورجس، لقد أعلن حرماتهم من رحمة الله فعل.  
"لا يدخل الجنة نمام".

وقال:

"إن السمعة والحق في النار، وإيهما لا يعتمد في قلب مسم"

فالمعام لم يست من إثم، ويرجع عن فساده وإفساده مهياً لمصير تعس ويس  
والرسول إذ يلقي به خارج الجماعة، فلا بد يعلم خطره عليها، وخطره على سلام  
العلاقات التي تربط بين الناس وسلاقتها.  
يعول عليه السلام:

"خير عباد الله، الدين إذا رؤوا ذكر الله"

"وشرار عباد الله، المثل عون بالسمعة، المرفقون بين الأحبة" !!

وكلمة تحدث الرسول عن حار الدس وشرارهم، رأينا في الكثير طلب من  
حديثه يصع في لوحة الاختيار أولئك البه الذين يسهمون بأحلاقهم ويملوكهم في ب  
العلاقات الإنسانية وشد أزرها . ثم يضع في قنمه الأشرار أولئك لهدامس لو لغس  
لدين يسهمون بسوء مسلكهم ورداءه طباعهم في تشويه تلك العلاقات وتحريمها.  
وفي هذا الحديث الذي سره الآن وطلعه، يرى الرسول عليه الصلاة والسلام  
وكأنه يتميز عظم عليهم وهو يأخذهم من شباب ويركهم جميعاً، بعضهم فوق بعض،  
كأنهم كومة حثالة مهينة..

هذا يوم والرسول بين أصحابه قال لهم:

"ألا أنبئكم بشراركم؟"

"قالوا: بلى يا رسول الله"

"قل إن شركمم الذي يرل وحده - أى الأناسى، الذى لا يعرف إلا نفسه -  
ويجلك عبده، ويمنع رفته - أى عطاءه،

- "أفلا أبتكم بشر من ذلك ؟

"هو - بلى إن شئت يا رسول الله

قال: من تبغض الناس، وتبغضونه

- "أفلا أبتكم بشر من ذلك..؟

"قالوا: بلى، إن شئت يا رسول الله..

"قال: الدين لا يميلون عثره - ولا يفلون معدره، ولا يعمرون دبت

- "أفلا أبتكم بشر من ذلك..؟

"قالوا: بلى إن شئت يا رسول الله..

"قال: من لا يرجى خيره - ولا يؤمن شره

أرايتم كيف بكفأهم الرسول ويمدق بهم فرقاً فوق فريق كأهم جف فسة..؟

ثم من هم هؤلاء.. أليسوا جميعاً من محبى علاقات الإنسان ؟

والذى يمنعه رفته، والذى يبغض الناس ويبغضه الناس، والذى لا يقبل لعدو ولا

يعتمر لخطأ، ولا يقبل العثرة ولا يصمغ عن المرء، ثم هذا الذى لا يتل الناس منه حيراً،

ولا يحون منه من شر - ألسوا جميعاً من أعداء المجتمع وأعداء سلامه وطمأسته..؟

\* \* \*

فرد: ظهرت حياة لجمعه من هذه الآفات المحبطة، ومن قاطمى الطريق على أمها

وسكينتها وسعادتها ووحدتها - بمضى بنا أحديث الرسول الكريم لتقف ب أمام

مستويات عن علاقت الإنسان به فى كل مواطنها ومطابها - خطوة خطوة - وموطئ موطئ

فعلاقاتنا مع - فى الطريق - وفى العمل - مع الصعاء - ومع الأقوياء - مع الناس

لعديين، ومع لصوة والحاكمين.. سلوكاً وفكراً، وشعوراً.. كل أولئك، وكل ذلك، لا

نعادر أحاديث، لرسول منه صبرة ولا كبيرة من المسئولة والحق إلا أصاءت عبدها

لأنوار، فصحت عليها العين، وحذبت تجاهها نوع الأداء والولاء والعطاء

إن الحدم، وأبناء السبيل - بل والسائلين الشهادين، وكل الدين لا تقع عليهم

العين منه شأنهم بين الناس، يأحدون مكانهم الحق فى توجيهات الرسول وأحاديثه عن

لعلاقات الإنسانية ولهم فيها عبء من المحقوق ما للأباطرة والملوك، بل أكثر مما للأباطرة والملوك، لأن الرسول يُعطي على قدر الحاجة، وهو - عليه السلام - يعلم أن حاجة المستضعفين والعفراء والناس العاديين، إلى الاحترام والتحفيف عنهم بالمعاملة الحسنة والكلمة الطيبة، أكثر من حاجة الآخرين  
ثم إنه لا يمسى كم بين صغوف هؤلاء الذين لا تنفع عليهم العين من  
"أشعث، أعبر، دى طمرين، مدقوق بالابواب لو أقسم على الله لأبره" !!

\* \* \*

أرى هذا اليتيم الذي يتعثر في خطوه، ويسلمت في نظرات كئيله، كأنه يبحث  
عن أبيه وسط الزحام؟

إن رسول الله وأشرف خلق الله ليقف له تحية!!

وإنه لىدى إلى حبه وإلى رعايته وإلى بكرمه. أولئك الذين يهرون عليه ولا  
ينظرونه لأنهم في سباق مع حياتهم الدنيا...!  
ها هو ذا عليه السلام في تور بيوته وجلال رحمته، يصم أصبعيه السبابة والوسطى  
ويقول:

- "أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين"

- "من عال ثلاثة من الأيتام، كان كمن قام ليلة وصم بهاره، وعدا وراح

شاهراً سيفه في سبيل الله"

- "امسح رأس اليتيم، وأطعم المسكين"

انظرو .

"امسح رأس اليتيم.. إنه إنسان مفرور يهزؤه هذا الحسان. امسح رأسه.. اقترب منه

ابنسم له.. طيب خاطره. أدخل البهجة على روحه الطامنة بكلحة بنعمة.. بيسمه..

إن العلاقات الإنسانية تحقق كل مجد لها حين نصمى على هذا اليتيم المحروم من  
حنانها ودفعها.

\* \* \*

وهل تبصر هذا الشيخ العجوز المتهدم؟

إن رسول الله، وأشرف خلق الله، ليصف له تحية!!

ولنه ليوصي بآكرامه، ويجعل ذلك علامه للإيمان وسبلاً من سبل الانشغال إلى  
 اجتماعه بمؤمنه، يسلم بعضى فداها إلى القيض. !!  
 ها هو ذا عليه السلام يقول:  
 "ليس منا من لم يوقر الكبير، ويرحم الصغير".

\* \* \*

"ليس منا من لم يرحم صغيرنا. ويعرف حق كبيرنا"  
 "من من، جلال الله، إكرام ذي الشبه المسلم"  
 فيها نوع من العلاقات الإنسانية يشتم بالليل، وباللوه.  
 السل. لأن هؤلاء الطاعين في السن فلما يرجى منهم ما يطمح إليه السن عادة من  
 مدفع ومأرب؛ فتكريمهم أقرب إلى الإخلاص وأدنى إلى الصدق. ثم، بهم في مستهم  
 لمقدمة يحتاجون في التعامل إلى كثير من الأناة والصبر والملاحظة. الأمر الذي لا  
 يقدر عليه عادة إلا النبلاء.

وأما، لوه... فلأن كل تكريم لهؤلاء يعني الوفاء لعددهم وللحبه وللأحياء..  
 كما أنه يمثل تحية الوداع لهم، وهي تحية ما أجدرهم بها وأحوجهم إليها.  
 من أجل هذا، كان الرسول باراً بهم وحبيماً، بما قال من أحاديث، وبما سكت من  
 سلوك.

وما أبهاه عليه السلام وهو يُعربنا بالمريد من احترامهم وإكرامهم فيقول:  
 "البركة مع أكارهم".

و لأرمله، والمسكين، لهما كذلك حق معلوم في الكلمة الطيبة و سلوك المهدب،  
 و يعون الوثيق..

"البا على الأرمله والمسكين كالمجاهد في سبيل الله"  
 "وكذا لم لا يُقتر.. وكالصائم لا يفطر"  
 عليه صلاة الله وسلامه..

من مثله أعطى العلاقات الإنسانية كل هذا الحد، وهذا التوقير، وهذا الولاء. ١٩.  
 إن المشو به لتعظم كلما عظم الحاجة إلى المشاركة والحد.  
 ولأرمله، لأنها فقدت عائلها، وفقدت معه أشياء كثيرة، كان الساعي عيها لغير

غرض هابط بطلاً، له من الأجر المأمول عند الله مثل ما للمجاهد في سبيل الله،  
ومثل ما للعبد يقوم الليل لا ينام.. ومثل ما لنصائم يصوم ابدهراً لا يعطر فيه،  
وكذلك كان الساعى على المكس، لأن المكس قد سنده في الحياة، ولا يمسك  
به أن يهوى ويميد، سوى حان العلوب الكبيره والمروءات العاليه.

\* \* \*

وهذا المريض، يعالج العلة وتعالجه. وينصارع السقم ويصارع، وهو أكثر اسباب  
حاجة إلى كل ما تستطيعه العلاقات الإنسانية من سموى، وعون، وبث للمريضة والأمر  
والطمأنينة والمرور. هناك عند كل مريض، نجد بقعة من الزهر الندى العطر، مهداة من  
الرسول الذي أرسله الله رحمه للعالمين. وهذه بعض زهراتها الطيبات.

\*\* من عدد مريضاً، لم يزل في خُرقة الجنة حتى يرجع -

"قل: يا رسول الله، وما خُرقة الجنة؟"

"قال- جباها..!!"

\*\* عودوا المرضى، وفروهم فليدعوا لكم؛ فإن دعوه المريض مستجابة وديته  
مغفورة..!!

\*\* من عاد مريضاً، ناداه مُتاد من السماء- طُبِّتَ وطاب ممشاك، وثبوت من  
الجنة منزلاً..!!

أما العذب الآخر من الباقى، فيمثل في البشريات الباهرة التي يشر بها الرسول  
كل مريض يصبر لحكم ربه، ويرضى بقضائه.

إن الرسول عليه السلام يحبرنا بما لعباده المريض من جلالٍ وحظر حين يقول له:

"إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم،

مرضت؛ فلم تعدنى.."

"قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين.."

"فيقول الله له: أما علمت أن عبدى فلاناً مرض فلم تعده..؟ أما إنك لو

عدته، لوجدتني عنده.."

أية صورة من صور الحث والكرام تعنون الصورة أو حتى تصايفها..؟!

وأنى للعلاقات الإنسانية أن تجد لها صميراً كهذا الذي تجده في كلمات

## الرسول ؟

وحس يصرّب النّس بعضهم من بعض في العسكر أو في العمل يصحّ الحصول  
و بوجبات العبادة بينهم أكثر رُحماً ، وتصير دواعي الاهتمام بالعلاقات الإنسانية أشد  
وأكبر ،

وعندئذ نجد أحداث النبي ونوجهاته يرتفع صوبها الكريم، ويركو حماسها  
النبيلى، وتتوالى وصاياها وعطاياها .

والعلاقة بين لجار وجاره تبلغ في الإسلام وعند رسوله عليه الصلاه والسلام مبلغاً  
يصبح كل مرتبط معه وكأنه تحريث للإيمان ذاته .

"مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَلَا يُؤَدُّ جَارَهُ"

وكألف وجد الرسول في هذه الصّعه شيئاً من الهوادة، فراح - عليه صلاه الله

وسلامه - يشتتها بأحرى شديدة التذير، عارمة الرهبة .

"وَاللّٰهُ لَا يُؤْمِنُ.. وَاللّٰهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللّٰهُ لَا يُؤْمِنُ"

"قل من يا رسول الله ؟"

"قال: الذى لا يأمن جاره بوائقه"

"قالوا: وما بوائقه..؟"

"قل: شره"

، ليها والإيمان نعى عن الذى لا تكف عن جاره شره . فهل هذا هو لدى يطسه

، لرسول لعلاقات الجيرة وحسبه؟

لا .. فثمّ خطوة ثانية نحو واجب آخر ،

والذى نفسى بيده، لا يؤمن عند حتى يحب لجاره ما يحب لنفسه "!!

وهي حديث آخر "حتى يحب لأخيه" فالجار أخ . والأخ جار . ولكليهما حق في

العلاقات الودودة الرشيدة .

كذلك في حديث آخر يُسأل عليه السلام:

وما بوائقه..؟

فجيب:

"عُشْمُهُ، وَظَلَمُهُ"

وهو يحدد فسخ يدخل فيه، لا سم كلمة "عنه" كحل بصرف أحق فيه أدى  
لجار أو فيه إفلاق لراحته، أو إخراج له على أن اعظم نوبح لخصوق لجار  
يتمثل في هذه الكلمات المتلألئة.

"ما زال جبريل عليه السلام يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه".

ويأخذ الرسول في التركيز على بعض ماسكم الحقوق:

"، إن مرض غده، وإن مات شيعته، وإن استفرصت أفرصه، وإن أعوز  
سترته، وإن استعانك أعتته".

وكل مكرمة يقدمها جار إلى جاره ريادة في إيمانه.

"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم جاره".

وكن يحل عليه بما يسد حاجته بعض يل صياح للإيمانه:

"ما آمن بي من بات شجاع، وجاره حائج إلى جنبه وهو يعلم".

وكم أن العلاقة بين مسكنهم وأعمالهم. أعنى علاقة الجوار - صحت إلى

المريد من الرعاية والحفاوة؛ فيها كذلك بحاجة إلى الكثير من الصبر؛ لأن، لعلاقات  
الدائمه والقريبة والكثيرة لا يحلو من المصائب والبؤس. ومن ثم كانت أحق بالآب  
وأجدر بالصبر معها وعليها.

فجار اسوء، لا يصح، الرسول بمعاملته بالمثل، لأن في ذلك توسعة له نره اسوء،

وإعداد لحقوق الجوار.

إسما يتمثل سداد العلاقات ورشدها - آتد - في الصبر على ذلك الجار.

"إن الله عز وجل يحب ثلاثة.

ثم ذكرهم.

"رجل له جار سوء يؤديه، فيصبر على أداء حتى يكفيه الله إياه بحبة أو

موت".

ويرفع الرسول عليه السلام من شأن الجار الصالح فيجعله ثمنا وسعادة.

يقول عليه الصلاة والسلام:

"من سعادة المرء - الجار الصالح، والعركب الهنيء، والمسكن الواسع".

وكانه يوصي الناس إذا صادفهم هذا الجار الصالح أن يعصوا عليه بالو جد، فإنه

رحمة لهم وأمان.

"إن الله عز وجل ليدفع بالحدار الصالح عن مائه بيت من خير به بلاء"  
ثم قرأ عليه السلام الآية الكريمة "ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض  
لفسدت الأرض".

\* \* \*

ولنصيف في العلاقات الإنسانية حظاً كبيراً ذلك أن الصداقة فضلاً عما لها من  
حقوق خاصة، فإن لها حقوقاً أخرى باعتبارها الوسيلة والسبب لإحياء نفسيته من أنهر  
فصائل الجماعة الإنسانية - تلك هي فصيلة الراور وإحياء المودات بين الناس  
فالراور بقصد إرضاء الله بوصل الإحباء والمودة واستدامه الصحبة ولألفه. عمن  
جليل يوصى به الرسول ويشر بعير قوابه  
يقول عليه السلام:

"يقول الله تبارك وتعالى في حديث قُذِيبِي، وَحَبِثَ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِي"

فَلَمُتْ زَاوِرُونَ فِي اللَّهِ، مُبَشِّرُونَ بِحَبِّهِ وَرِضْوَانِهِ..

"من رار أحاء المؤمن، خاص في الرحمة حتى يرجع"

وحرص الرسول على الراور موصول الغرى بحرصه على دحر القطعة وللهجران  
باعتبرهما من أخطر آفات العلاقات الإنسانية وأشدّها إيذاءً.  
"لا يحل لمسلم أن يهجر أحاء فوق ثلاث لال - يلتفت فيعرض هذا،  
ويعرض هذا.. وخيرهما الذي يبدأ بالسلام".

إن المسلم في تقدير الرسول أكثر الناس حرصاً على العلاقات الإنسانية ووفاء  
لحقها.. هكذا ينبغي أن يكون.

وهو لهد في مقام المدوة للآخرين في هذا المجال. ومن ثم كان، استسلامه  
لدواعي الهجر والخصام أمراً محرماً عليه.

ولكن الرسول عليه السلام لا يُشْرَعُ صد الطبيعة الإنسانية السليمة من يشرع لها.  
وهو يهد يدرك أن من المحصومات ما يحتاج بعض الوقت لتحصن جراحه - فمنع  
بعض الوقت، ولم يجعله طويلاً حتى لا يظلم العلاقات ويغضب. فوقت المدة بثلاثة أيام لا

تزيد..!

أى حدث على العلاقات لإسائه، وأى تسع لخصلاها، يقول هـ، أو يصاهه ؟  
والرسول عليه الصلاة والسلام لا يحسن المسلم مسئوله لقطعة حين يكون أحد  
طريقه محسب، بل يحمله مسئوله لىكون عن كل طبيعه بين لاخرين  
أجن، ن للمسلم عبد الرسول الكريم مكانه بصعبه عليه السلام من المسئول  
النبيلة ما هى كفى له، وجديره به

و لى من الذى علمه رسوله أن يقول عتب كل صلاة:

"اللهم أنت السلام..

ومنك السلام..

صحبنا ربنا بالسلام.."

لا يستطيع ولا يملك إلا أن يكون عصب الرىون عبد كل حصومه وكلمة الرحمه فى  
كل شعباء وداعى الآله والنقاء والإحاء عبد كل قطعه..

وما أروع لرسول الكريم وهو بوصح هذه التبعة فعوله:

"ألا أحرركم بأفضل من درجة الصام والصلاة والصدقة ؟

إصلاح ذات البين.."

ب، به - عليه السلام - وهو أكثر ما يكون معاً للكذب يبيح تقبل، لأبصر منه فى

مسيل رفق العوذة وجمع الأفتدة.

يقول عليه السلام:

"بس بالكادب من أصلح بين شىء فقال حيراً أو نعى خيراً

وربه ليقول يوماً لصاحبه "أبى أبوب الأنصارى" رضى عنه وعن لصاحبه أجمعين.

"يا أبى أيوب.. ألا أدلك على عمل يرضاه الله ورسوله ؟

"صل بين الناس إذا تباغضوا.. وقرب بينهم إذا تباعدوا.."

ب، به عليه صلاة الله وسلامه يعلم ما يردحم به حياء الناس من مشكلات لا تقا نصيب

علاي بهم ورجاءهم بصريات الحصومه ومحق القطعه

ويعلم أن حير وسيله لتدارك هذا الخطر، نصمه المواقف للافحة أولاً وأولاً.

ودلك لا يأتى إلا إذا حمل الناس مسئوليهاهم تحاء بعضهم البعض، لا سيما

مسئوليهم عن درء عوائل الحصومه وإفشاء مواهب المحبة والتأحي، فاحين أعينهم

على كلمات الرسول في هذا السبل، وتلقب السمع لعل الله سبحانه:  
 ﴿ لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس  
 ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله، فسوف نؤتيه أجرًا عظيمًا.. ﴾  
 وصدق ربنا العظيم..

\* \* \*

ولمعد لأن لي حقوق الصباغة في وضعها الخاص بها، بعد أن رأيت حقه كوسيه  
 طيبة للنزاور ودرء القطعة والهجر..  
 والصياغة أوسع من الزيارة، إذ هي في الغالب زيارة قسافة مُرتحلة، فيها سفر  
 ونصب، وانتقال من بلد إلى بلد..  
 وبدأ الرسول فجعل إكرام الصيف من آداب الإيمان:  
 "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليكرم صيفه"

وَيُصِرُّ ابْعَاثُ وصته بلصيف، وتركيبته هذا اللون من العلاقات - عسى أصحابه  
 رسول الله عليهم أجمعين - في هذه الواقعة التي كان بطلها أحد الأنصار  
 فداها ماء برل على مسجد الرسول بالمدسة صف، وقال عنه لسلام "من  
 يصيف هذا، ليلته؟" فقال رجل من الأنصار أن أصيغه يا رسول الله

و يطلق به إلى داره، فقال لزوجته هل عندك شيء؟ قالت لا إلا قوت صبيتي  
 قل: "فعللهم شيء - أي اسرحي بهم في الحديث حتى يذهبوا - فإذا أرادوا  
 العشاء فتؤمهم". فرد دخل الصيف فأطعمني السراح، وأريه أنا يأكل معه..  
 فعملت ما أمرها به.. وجلسا مع الصيف، يوهما في الظلام أنهما يأكلان معه،  
 وأكل الصيف، وياثا طاويين جائعين.

وفي الصباح يغدو الأنصاري على رسول الله، فلا يكاد يراه حتى يهتد له فيقول:  
 "قد عجب الله من صنيعكما بصيفكما".

أجل لقد رأى الله وسمع ما كان بين الرجل وزوجته وإيثاره الصيف، يمس على  
 نفسيهما فحسب، بل وعلى فداها أكبادهما، فأبأ رسوله ﷺ ليخرج بأصحابه ويركب  
 الآيات تمجد هذا الصنيع الرفيع، وتقول.

﴿ وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَقَدْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ. وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

لحق أننا لا نعرف ديناً ، ولا فلسفة، ولا حضارة، تمنح للعلاقات الإنسانية في شتى مصادحها ومواقعها من الرعاية والكرام ما يمنحها إياه الإسلام ورسوله الأكرم ﷺ . إن الرسول لم يدعُ هذه العلاقات بمجرد الدعوة إلى رعايتها ، بل كان يرسم بها قانوناً ملزماً، وتقليد مرعية.

ففي هذه القطة مثلاً - لا يوصى بالصيف وصاء محدث بهي الأمر بل يصح لها قبولها، فيجعل للصيف حقاً واجباً مفروضاً في الصفاة ثلاثة أيام .  
"للصيف على من نزل به من الحق ثلاث".

وسأله أحد الصحابة ما كرامة الصيف يا رسول الله؟ فيجب عليه السلام .  
"ثلاثة أيام، فما زاد بعد ذلك فهو صدقة".

بها أما رسول يُشرع للعلاقات الإنسانية ولا يتركها لمجرد التحييد والتعطف.

فهو يعطي الصيف حقه ثلاثة أيام، فإن راد المصيف عليها، فله أحر الربذة وفصيده . ثم به عنه السلام يوصى الصيف ألا يرمد عن الثلاث حتى لا يُخرج أهل البس ويُسبب لهم الصيق والصجر . لنقرأ هذا الحديث الكريم .  
"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم صيفه جائزته يوم وليلة".

"و لصيفاة ثلاثة أيام، فما كان بعد ذلك فهو صدقة"

"ولا يحل له - أي الصيف - أن يشوى عنده - أي المصيف - حتى يُخرجها!"

فرد كان لصيف عابراً ومتعجلاً، فجائزته يوم وليلة . وإن كان مصيفاً، فحقه في الصيفاة ثلاثة أيام، ومن العير له ألا يطيل بعدها مكثه، حتى لا يخرج مصيفه ويؤثمه..!!  
وطبيعي أن هذا التوجيه لا يحجر على الصفاة الحاصة كصيفاة ، لأقربين رحيم أو صداقة، ولتي يسعد أهل المنزل باستضافة مداها

والرائع الباهر في تعاليم الرسول هذه، ليس نظم الصفاة وتقسيمها فحسب، بل والروح الذي يعالج به أمرها..

فهو عليه سلام إذ يدرك أنه بُشرع للعلاقات الإنسانية، يحرض على أن يظل حصفه يظل و توقع على الأنفس.

إنه - عليه اسلام - لا يريد علاقات شكلية.. بل يريد لها وثقة الغرى ب لروح ويكمل  
 م في لروح من حب وحيوية وعطفه. من أجل هذا يقول:  
 "ولا يحل له أن يثوى عنده حتى يُخرجه".  
 ويزيد ذلك تفسيراً فيقول عليه صلاة الله وسلامه:

"وعلى الصيف أن يرتحل - أي بعد الأيام الثلاثة - حتى لا يؤثم أهل المنزل".

إنه لا يريد أن يقوم أهل المنزل بالصياغة وهم لها كرهون، فتصبح نصايغه ونصح العلاقات الإنسانية عند نقلاً، وواجب كريهاً، لا - إنه يريد أن يضي هذه العلاقات وبعدها ما يحه في بار الرعية، لصاغة والإثارة اللعائني، والحب الونق.  
 وهو لهذا، وتنه لما سبق يوصي المصنف ألا يثوى عنى نصه في التكلف نصه حتى لا يملأ ويمل صباه - كذلك يوصي الصيف أن يهش لكل ما يقدم إليه منهم بكر متواضعاً ويسيراً، وأن يتقبله بقبول حسن، وروح شاكرة !!!  
 يقول عليه الصلاة والسلام:

"نهت وأمتي عن التكلف".

وتُصح إلى "عبد الله بن عمرو" بعض علم هذا السأ.

"دخل عى "جابر" صاحب رسول الله ﷺ، فهدم إلهم حبراً وخلاً -

وقال: "كنوا فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: نعم الادم الحل"

"ثم قال: إنه هلاك بالرجل أن يدخل إله المر من إحوه، فيحتقر م في بيته أن يقدمه إلههم..

"وهلاك بالقوم أن يحتقروا ما قدم إلههم"

فالمصنف الجليل "جابر" يهدم الحبر والحل لصفاة عر محرر ولا صف، لأنه

لم يكن يقدر على غيرهما يومئذ - ولكه في مرد نسه أو مرات آخر - عدم طلع شهي وأطيب، لأنه سيكون ساعتها في مقدور.

وهو بحبريا أن الناس يظلمون أنفسهم ويظلمون العلاقات الإنسانية معهم حين

بضايقتهم ويرعجهم ألا يجدوا للصيف إلا العليل. كم يظنمون أنفسهم حين يستقنّ لصيف ما يمدّم إليه ولو كان حرّاً وحلاً

\* \* \*

ولا يكون لعلاقات الإنسانية إسهابه إلا بعدد ما يبدل فيها من جهد، يحاسب يسأل وخدمه الناس ونحصف لأواء الحياة وشديها عنهم. وإذا كان هذا العهد يمثل في بطل جاء، أو مال، أو عمر؛ فإنه لا ينبغي أن يمحس به أبداً.

إن لدى يمرض أحياه لمرج كربه، إنما يمرض الله الذي يصاعف الحسنة إلى عشرة أمثالها.. إلى سبعمائه ضعف.. والذي يساعد بعونه من يحتاج إلى هذا العون، بما يتعد نفسه في ذات الوقت.

وهذا هو الحق الذي يؤكد الرسول حين يقول:  
"والله في عون العبد، ما كان العبد في عون أخيه."

و لذين يمرض الناس إليهم في حوائجهم، عليهم أن يشكروا الله سبحانه على هذه النعمة، رد جعلهم فقرعاً ولم يجعلهم الفارعين وجعلهم مقصداً ولم يجعلهم قاصدين يقول عليه السلام:

"حب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، تكشف عنه كربة، أو تطرد عنه جزعاً.. أو تقضى عنه ديناً".  
ويقول عليه السلام،

"من كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته.."  
"ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم لقيمه"

\* \* \*

ولما كان المال قوم الحياة، كان البذل منه في سبل غوث الآحرين وخدمتهم من أجل لقرباب إلى الله سبحانه.. ثم من أوثق أئيب الواصل بين الجماعة وحبين يمشو في مجتميع الحرص الكنود على المال، والشح به ومنه؛ فإن العلاقات الإنسانية في هذا المجتمع تتسح وسهرانها، أو يكاد يهوص لمجتمع كنه.

من أجل هذا قال الرسول يحذرننا:

"امعوا الشح، فإن شح أهلك من كان قبلكم.. حملهم على أن سفقو  
دماءهم، واستحلوا محارمهم".

كيف يحمل الشح لدس على سفك الدماء واستحلال المحارم؟  
وما علاقته بهذا..؟

علاقته وصحة نفسي الشح في جملة معنى بصوب العلاقات الإنسانية فيها بكن  
ما تشبه من تعاطف وتعاون وإيثار وإغاثة  
وإدعاء من مجتمع كل هذا في رحمة شحة وهبته وأدبته، الشح لطريق  
لمواقف سفك الدماء، وإنهاء الحرمات.  
يقول الرسول أيضاً:

"وإنماكم والشح؛ فإنه هلك من كان قبلكم بالشح.  
"أمرهم بالمطعة؛ فطعوا. وأمرهم بالبحل؛ فبحوا. وأمرهم بالفجور،  
فمجرؤا".

إن الشح مرتبط دائماً بعقوبة الهلاك..  
وكلما تحدث الرسول عنه قرنه بالهلاك، كما رأينا في الحديثين السابقين، وكما  
نرى في أحاديث أخرى كثيرة:  
يقول عليه السلام:  
"ثلاث مهلكات..

"شح مطاع.. وهوى متبع.. وإعجاب المرء بنفسه".

ببما هو يرفع قدر السخاء ويجعله ربه الدين، ومما طرده في الدنيا  
يقول صلى الله عليه وسلم:

"إن الله استخلص هذا الدين لنفسه، فلا يصلح لديكم، لا السخاء وحسن  
الحلق..

ألا فزبنوا دينكم بهما".

ثم يسأل من السد في أمنك..؟ فيجيب عليه السلام:  
"رجل أعطى مالاً، ورزق صراحة"..

\* \* \*

وكن الأسباب والأعمال والقرب التي يركب العلاقات الإنسانية وباركها وسميها  
- إنما يتوجهها أولاً وأخيراً كلمتان ثميلتان في الميراث حصصان على الفس - هم  
حُسن الخلق!!

أجل - حصصتان على اللسان، بيد أنهما في ميراث الصلاح والخير برحمان شو مع  
من الأعمال.  
يقول عليه السلام.

"ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيمة من خلق حسن"

ويقول:

"إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة الصائم والعائم"

أي الذي يصوم نهاره ويقوم ليله..!!

ب. "حسن الخلق" هو الطاقة التي تسعد منها علاقات الإنسانه خير رادها وأبغ  
وأبغ. ذلك أن كثرة عدد الأحرار في المجتمع يعنى على الفور زيادة رصده من فصل  
لعلاقات وأركانها. ولا يرداد عدد الأحرار إلا بقدر ما يرداد حسن الخلق

فأكثر الناس خيراً، هم أحسنهم أخلاقاً..

وأحسن الناس إسلاماً، هم أحسنهم أخلاقاً..

وأحب الناس إلى الله وإلى رسوله، هم أحسنهم أخلاقاً بهذا كله يدى

لرسول ﷺ وتحدث.

وحب "حسن الخلق" جعلاً وجلالاً أن الله العلى الأعلى حين أراد أن يركب

عبده ورسوله، لم يركبه بأحسن من الخلق فقال سبحانه.

"وإنك لعلى خلق عظيم".

ثم حسبه بعد هذا أن يقول الرسول ﷺ منه.

"ذهب حسن الخلق بغير الدنيا والآخرة".

ومن أجل أن يسود في المجتمع حسن الخلق الذي يعنى على علاقة به العافية

والمودة، راح الرسول يرفض ويستبعد الشحاء والعصب، والحسد، والكبر - بوصفها

جصف من ممرر لحماقة الرعاء التي تدهور، لعلاقات إلى الهوة الفعرة، بلا مبرر

حققى.. إنما هو الطيش والترق والغرور.

ظالما كان الرسول ﷺ يركز وصيته في كلمة واحدة.. هي:  
"لا تعصب".

وإنه ليكشف عن البطولة الحقة فيقول:

"الصرعة - أي القوة - كل الصرعة الرجل الذي يعصب، فيشد عصبه،  
ويحمر وجهه، ويقشعر جلده.. فيصرع غضبه!!"

صورة باهرة يسرد فيها الرسول كل مظاهر العصب وبؤرائه، وبشوائه ثم فجأة  
ينعدم صيغ العصب في لحظة ما يرسمه العصب من ألوان قاتمة، وينصير حسن  
الحلق..!!

و لرسول عليه السلام يعلم أن نعمة العصب صاعقه، وأنها بحاجة إلى تدريب  
مستمر للخلاص منها.. لهذا يأمر من فجأة العصب أن يعبر من حالته، فإن كان قلبك قد  
أو مشى وحرر من هذا أن يعود بالله من الشيطان الرجيم ويعبر المكان كله.. أو  
يتوصلاً ويصلي ركعتين إن كان ذلك ميسراً له.

وحتى إذا تملك الإنسان العيظ فعليه أن يكظمه.  
يقول عليه السلام:

"ما من جرعة أعظم عند الله، من جرعة عظم كظمها عند.. بعداء وجه الله"  
فإن عصب الإنسان وأقرب الرماح من يده، فعليه أن يحلص سريعاً من وطأته،  
فبذلك يظل في دائرة السلامة والأمن.

يقول عليه السلام، وهو يتحدث عن أصناف الذين يعصبون:  
"ألا وخيرهم بطل العصب، سريع النوى أي الرجوع عن عصبه..  
وشرهم سريع العصب، بطل النوى".

\* \* \*

ويستنقذ الرسول الكريم علاقات الناس من العصب، لسحو بعد هذا من عواقبه  
ومضاعفاته.. الشحنة والقطيعة..  
والشحنة والسباب والمهذبة.. كل هذه حائقة تحلق أوامر الود والإخاء  
والمحبة والألفة بين الناس..

وإن الشحنة لبدأ بين اثنين ثم لا تليث أن تجر إلى وبائهم عدائات وشيعة  
من أجل هذا، حذرنا الرسول منها ولم يحف عنا.. بعضي إله من طرد وعقاب.

به عليه الصلاة والسلام لينحدث عن معات العبول الى نعم الله به على عباده  
 في بعض المناسبات الفاصلة الى بعد برك به الى كثير من الناس:  
 " . . فيعمر الله عمر وجل في ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئاً، إلا امرؤ كذب  
 بينه وبين أحبه شحاء، فعول سبحانه، ابركوا هذين حتى بمضدحا " !!  
 وانه عليه السلام ليقول في جوامع كلمه:  
 " لا تقاطعوا .. ولا تدابروا "  
 " ولا تباغضوا .. ولا تحاسدوا "  
 " وكونوا عباد الله إخواناً " !!

فالشحاء، والحسد، والعطية، وباء يحذر الرسول ﷺ منه على أنفسه، وعلى  
 'حلاقا، وعلى علاقت الإنسانية التي هي من أجمل مهادج الحياة.  
 واستند منه في التعبير الألفاظ لدلة على تادل الإساءة مثل التقاطع والبعض  
 وانحاسد إشارة إلى أن هذه الحطاييا سلغ درويها المانله عندها يستجيب الطرف الآخر  
 لإغوائها، فيجابه فبعضه ببعض مثله. وحاسده بحسد مثله.. وحصمه بحصومه مثله. بدلاً  
 من أن يلقي ذلك بالتسامح والعفو!!  
 إن الرسول لا يريد أن يحول جميع الناس إلى حمقى!! فدا ارتكب أحد اثني  
 حمقة لشحاء والنسفه، فلكن لثاني أكثر بالعلاقات بالإخاء برأ ولن يصيب عند الله  
 ولا عند الناس أجرم.

وهكذا يقول عليه السلام:

" ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً .. "

أجل.. فيسمي بظن نحن أن كر مسارهم الانفاء الأشد ممن بسوء إليهم.. دا  
 الرسول عليه السلام يكشف جهل، ويحربنا أن الكرم والعرف في العفو وفي لصمغ  
 الجميل..!!

\* \* \*

ون الرغبة الشريره في القصاص والانتقام بحجة الحفاظ على الكرامة، مشوها  
 البعيد آفة الكبر.

والكر لهذا ولعبر هذا، من ألد أعداء الحبه الهدنة التسامية وأكثر من غيره

فتراساً للعلاقات الإنسانية.

من أجل هذا صلب الرسول ﷺ عليه قوارع رجوه وامنه به

\* "من تكبر قصمه الله، وقال: احسأ، فهو في أهين الدس صغير"!!

\* "ألا أخبركم بشر عبد الله؟.. الفظ المسكير!"

إن المسكير لا يكون، لا فظاً.. فالكبر والعظاظة وجهان لأردأ عمه بشرية. وحسب العلاقات الإنسانية أن نسمع كلمة "فظ" لتولي الأديار دجة بنفسها، والمسكير طميس في المجتمع الإنساني، ولا مكان له فيه. من أجل هذا استبعد من صفوف هذا المجتمع في الجنة..

يقول عليه السلام:

"لا يدخل الجنة إنسان في قلبه مثقال حبه من حردل من كبر!"

ولقد بلغ من وقع الأحاديث الموعده على نفس الصحابة أن حاول بعضهم ترك لنجمل المشروع في منبه حشة أن يرخ به ذلك في المسكربين، لولا أن طعأهم الرسول وأعطاهم بهيراً علمت لافة الكبر فقال:

"الكبر بظُر الحق، وعَمَط الناس".

فلاستعلاء على الحق، والتعالي على الناس والظر إليهم من عل - هم شر مظاهر الكبر.

ولماذا يسكير أولئك الحمقى؟ وما مريضهم على الناس إذا هم فقدوا الحلوى لكرهم، وأول شوائله التواضع؟

"أنظر، فإنك لست بحير من أحمر ولا أسود، إلا أن تَفُصِّلَهُ بِنَعْوَى"

هكذا يتحدث الرسول ﷺ.. فهل ينظرون؟؟

إن لحق الكرم - كما قبل - شيء هين - وجهه طلبى، وكلام ليس يقول عنه السلام:

"لا نحفر من المعروف شيئاً ولو أن لمضى أحرك بوجه ظلى".

ويسأله أحد أصحابه عما يَدْخِلُه الجنة، فيقول له.. فما يقول..

"أطيب الكلام"..

إنه عليه الصلاة والسلام يدرك ما تفعله الكلمة الطيبة، والبسمه المبهمة، والنظرة

الودود في شد أثر العلاقات الإنسانية وبعث حوبها، ورناها بألمها  
من "حل هذا يوصي بها ويُسبِّ عليها، ولا سترك لثمة مهم، نكن عيره، لا أمر  
باسخدامها في بوثيق عرى المحبة والاحوة بين الناس"  
ها هو ذا عليه السلام يُسأل:  
"أى الإسلام خير؟"

فيحيي.

"تطعم الطعام."

"وتقرأ السلام على من عرفت، ومن لم تعرف".

إنه يريد إنشاء السلام - على من يعرف، ومن لا يعرف - إنعاش أو أصر لصب بين  
الناس، وإرواء علاقاتهم دوماً بذبوب الحنان.  
من أجل هذا يقول:

"ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟  
أفشوا السلام بينكم".

\* \* \*

ويعد

فلا ير ل هناك كثير طيب مما أفاد الرسول من أحاديثه وبوجيه به ورعيه على  
العلاقات الإنسانية. وثلى بدأ أن هذا الكتاب قد شُرف صفحاته بالكثير من هذه  
الأحاديث الكريمة؛ فليعلم أن هذا الكثير ما هو إلا قليل مما عمرت به الأحاديث  
البوية الكريمة موضوعنا هذا.

والذى يُطالع في تراث الكلم الطيب للرسول العظيم ما احتص به "العلاقات  
الإنسانية" من حفاوة وحنان وبوقير، مسيرى إلى أى غاية مدله كان احتفاء، لإسلام  
ورسوله الكريم بقضايا الحياة وقضايا الإنسان.

والحليل الباهر في الموضوع، أنه وهو بصوع ل بأحاديثه ويقدونه وبسلوكه "جمن  
وشائع التواصل، ولكامل في علاقتنا الإنسانية لم يكن يشد الكمال فيها لا تبع ديه  
محسبه، بل للناس جصعاً، لا

وبعد رأينا كيف كان في أكثر هذه الأحاديث يستعمل كلمة "الناس" و"عبد الله"  
وحين كان عليه السلام يستعمل كلمة "مسلم" أو "مؤمن" فلكنى بصع المؤمن أو

المسلم بحاج مسئولته كقدومه لعره وكمثل وهاد ودليل يسير على دريه الدين لا يعرفون...!!!

لقد مثل يوماً عن أفضل الأعمال، فقال:

"بذل السلام للعالم"

وما أعرف، ولا يعرف أحد أروع ولا أجمع من هذه الكلمات، ثلاث، بقولها رسول يحدث الناس عن الدين، لا عن السياسة.

ومضى، ٩ منذ ألف وأربعمائة عام!!

بذل السلام.

ولعن...؟؟

للعالم... سن لتعرب قومه، ولا للمسلمين أمه. بل للعالم للعالم كله.. وليس

عالم جنبه وعصره.. بل عالم الأجل والعصور، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها

لقد كان يعرف لنور الذي خلقه، والندور الحلل الذي اصطفى له

وعاش يحيا في نور قول الله له:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾





الفصل السابع

# عن المال..

卷之四

七

卷之四

卷之四

卷之四

卷之四

卷之四

卷之四

جعل الله المال للناس قياماً . ومنذ بدأ الناس يتداولونه ويتعاملون به، وهو آخذ بنواصي حبلهم، يكاد يُصرفها كيف شاء ذات اليمن وذات الشمال. صوب الفصيلة وهي نجاه لرديلة.

ومنذ بدأ الفكر الإنساني يشرع في تفسير الحياة واكتشاف قوانينها وضع كل عسه على المال كقوة سائدة في حياة البشر ومهيمنة عليها .  
والفلاسفة الذين وقفوا طويلاً مع مشاكل المال كثيرون. تنبّهت نظراتهم، وتعرض مداهيهم - يبدؤهم جميعاً يلتعنون في وفاق كامل عند اهمسه البله ومركره، لعريق بين كل قوى الحركة والتاء في حياة الإنسان.

\* \* \*

وما كان لمدل بكل مرماه ومث كله لحصى دوره على معلم السربه وأمدده سدا  
: "محمد" رسول الله إلى الناس كافة.

وإن لسهر حين نواكب أحداثه عليه صلاه الله وسلامه وهي تستعرض المال في شتى قصايه ومجالاته وأرمانه. فمن أين يأتي ؟ وكيف..؟ وأين يُفق..؟ وكيف..؟  
وما نوع العلاقات التي يُنشئ ويفرضها على حياة الناس، ويُشكّل بها ظروف المجتمع..؟

وأي هذه العلاقات يكون موضع القبول والتعصّد ؟  
وأيها يستحق الدّخول والرّفص ؟ ومن نوع الأرماب التي تُرجيها شافعيه  
الكثيرة ؟ وما انعكاسه على حياة المجتمع وسلوك الناس ؟ وأين نجد حلول السعيه  
التي تُصقّي تلك الأرماب ونجعل المال دوماً في مكانه المشروع - خدماً مطبّع - وليس  
سيداً مستبداً..؟

كن ذلك نحصيه : أحداث الرسول عدداً، وتعمره صباء، ونجلته في حكمه ويسر ما

لهما من نظير.

ولنبدا بهذا الحديث.

يقول عليه السلام.

"إن هذا المال خَصْرٌ حَلُوٌّ..

ويعم ص حب المسلم هو، لمن أعطى منه المسكين والسهم و بر المسيل

"وإن من يأخذه بغير حقه كمن يأكل ولا شبع، ويكون عليه شهيداً يوم

القيامة"!!

والمال "خَصْرٌ حَلُوٌّ" لأنه قوام الحياة وسبيل رزقه بكل ص مهج لحير و لعمه

والتمدن، وهو للمسلم نعم الصاحب والأخ والصديق؛ ما دم يعطى المكرمات حمه

ويرعى به وفيه حقوق الآخرين تلمسون عون المدين سم هو لا يؤخذ سهداً، ولا

استلاباً، ولا اغتصاباً..

أجل.. لا بد أن يؤخذ بحقه ويُنال بوسائل مشروعه بصبطه قواعد لشرف والأمانة

والتعفف..

وأخيراً فهو ليس وسيلة متاع فحسب، بل هو بوسائل تحصله وبطريقه إنفاقه، شاهد

على نوع الحياه التي يحياها صاحبه، وله كلمة فاصله في تقرير مصير هذه الحياه!!

فالمد الذي بد حل جيوبنا ثروه، ويخرج منها نفقه، ليس مجرد صقعه سنخدمه

في تحقيق مطالبنا وإسعاد حياتنا..

بل إنه سيكون علينا شهيداً..

وهو يقرر بطريقه حاسمة مصيرنا في هذه الحياه، وعند الله!!

ولسوف نريدن أحديث الرسول الكريم علماً بهذا الدور الخطير للمال في حياتنا

وفي حياة أولادنا وذرائنا..

إنه عليه السلام يؤكد قيمة المال حتى لا نخدع عن أهميه.

ثم يؤكد قيمه المشروعه في تحصيله واكتسابه، حتى لا نخدع له..

ه هو ذا عليه السلام بعيد علنا القول في حديث آخر..

"إن هذا المال خَصْرٌ حَلُوٌّ

"فمن أخذه بسخاوة نفس، بُورك له فيه

"ومن أخذه بشراف نفس - أي بطمع وشره - لم يبارك له فيه، وكان كالذي

يأكل ولا يشبع"!!

إن سحاوة النفس نفس هباء، المداعمة والتعفف والشرف شرف، لو سيلة وشرف المقصد، وإن إشراف النفس يعني التهاكت الشرة، والتهافت المردول. وهكذا، ونحن يعجزنا الرسول أن المال حلو حصر يحبر في ذب للمحظة أنه ليس كذلك إلا حين يحفظ برده ورويه وبصاريه. وهذا لا ردده، وهذه النصارة من نظام أوثق ارتباط بما نتصمه وبمثل اكتسابه من طهر ويزه ومشرعية.

\* \* \*

والرسول الكريم حين يفتح المال هذا الوصف الأسبق والدقيق "حصر حبو" لا يعني طراوة بكنمه شغرية إنما يعني سائر أهميته وحظرة فهو "حصر" لأنه ماء الحياة وباعث الثناء فيها - سواء في ذلك حبه لأفراد والجماعات والشعوب..

وهو "حلو" نستطيع حلاوته أن نجعل الحياة بهجة إذا أحسن استثمارها ونستطيع أن نفس الناس ونستدرجهم إلى المهاوى الفاعرة إذا أسىء استخدامها من أجل هذا، يبدأ عليه صلاة الله وسلامه بحلق "حصر المال" في نفس الإنسان. به لا يعالج قصداً المال بأسلوب الأرقام الذي يعالجها به فلاسه الاقتصاد والاجتماع بل يعالجها بروح الرسول وبصيرة المعلم..

وبه لا يربط مثلك الثروة والمال بحركة الأسوا، وحركة الخارج بل يربطها أولاً وقبلأً بحركة لصغير وتنع الروح

من أجل هذا، يبدأ بتحميف وطأته، ونفس صراوته.

به عليه الصلاة والسلام يعلم إغراءه الشديد الفاعل، ويدرك ما تعرضه ضرورات العيش وجنية العافسة من كالت وبهوز واستمائه ومن ثم يبدأ بتذكير الناس بربهم ورب المال. وهو بهد يدعوهم لاستخدام "العوامل" خلال رحمتهم وعدوهم في عدم التحصيل والارزاق.

"يا أيها الناس..."

"اتقوا الله، وأحملوا في الطلب، فإن هناك لن يموت حتى يسوي رزقها وإن أبطأ عنها..

"فاتقوا الله وأجملوا في الطلب..

"خذوا ما حلّ، ودعوا ما حُرّم"!!

هكذا يبدأ رسول رب العالمين في رسم علاقتنا بالمال - الإحمال في طلبه وبحصله، وهذا الرق الذي يدعونا إليه الرسول ﷺ، حلال كسب لشروة والمال، يتحقق - بآديء ذي بدء - بالترام الحلال، ونحسب لحرام.

"خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حُرِّمَ"

إن المال رزق الله وعطؤه وفصله.. والذي يتغنى لنفسه ولأهله من عطاء الله، ورققه، لا يسمى له أن يحدّي الله بربكاتب المأثم في طلب هذا الرق وذاك العطاء وفي هذا يعلمنا الرسول فيقول:

".. ولا يحملكم اسطاء الرق أن تأخذوه بمعصية الله؛ فإن الله لا يبدل ما عنده إلا بطاعته..

إنك إذا ذهب تطلب المال من غير حلّه، وبغير حقه، ستركت الله وما تريد وقد ظفر منه بالكثير الكثير ولكن الكارثة تنتظرك لا محالة على الطريق، لأن الله رفع يده عنك، وويل لمن يكون هذا مثواء ومصيره

يقول عليه السلام

"لَا يَمَحُكُ رَحْبُ لِدِرَاعَيْ دَلْدَمٍ، وَلَا جَامِعُ الْعَالِ مِنْ غَيْرِ حَلِّهِ، فَمَنْ إِنْ نَصَدَّقَ بِهِ لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ، وَمَا بَقِيَ كَانَ زَادَهُ إِلَى النَّارِ..!!

إن لرسول عليه الصلاة والسلام بُشْكَلٌ "صمير المال" أجمل وأصدق تشكيل وهو يردُّ بقيننا إلى الله إبان تحصيل المال واكتسابه.

"يا أيها الناس..

"إني ما أمركم إلا بما أمركم الله، ولا أنهاكم إلا عبث به ثم الله عنه، فاجملوا في الطلب. فوائدي هي أبي العاسم بنده، إن أحدكم ليطلبه رزقه كما يطلبه أجله"

إنه يريد لنا أن نكون "سادة" المال، لا "غبيده".. وذلك لا يتم إلا بالكرامة في طلبه وبالأناة في السعي إليه.

ولا شيء يعرّس هذه الكرامة في أنفس الأئمة وراء المال والثروة مثل النفس بأن الله هو لرأى دوافع القوة العيس ومثل النفس بأن الثروة الصالحة لافعه، لا تقاس بالكثرة، فكم من ثروات تعظم العبد والإحصاء ذهبت مع الريح محطمة وراءه الحراب والحشرات.

وهنا يُعلمنا خير المعلمين فيقول:

"إن العيس ليس عن كثرة العرص . ولكن العيس عيس النفس"

أجل، هنا يصح الرسول ﷺ أنديا على جوهر القصة كلها، ويؤي علاقتهم بالنفس أرفع مكانة. والعيس لا تفره الأرقام، إنما يقره الرب والنفس. وما أكثر الهلع ولشعة اللدين نصيان من يرتبط المال في روعه بالرف، لا بالكفاية.. وبالكثرة لا بالبركة.

وما أجزل السعادة التي يُقيتها الرضا والنفس.

من أجل هذا، نبدأ نقطة البدء في تصحيح علاقتنا بالمال من السيطرة لحكمه على اشتهاه وتطلع النفس إليه.

يقول عليه السلام:

"طوبى لمن هدى للإسلام.."

"وكان عشه كفافاً.."

"وَنِع."

والقاعة التي يظن الحمى أنها عراء العاجرين هي أئمن ما يمثل الإنسان الرشيد

من خير الدنيا وعصائها ومناعها..!!

وحين يقول لنا الرسول الكريم:

"من أصبح آمناً في سربه.."

"مُعافى في بدنه.."

"عنده قوت يومه.."

"فكأنما حيزت له الدنيا بحذاغيرها"

حين يحدث الرسول هذا الحديث، فإنه لا يقوله للصبر ولا للعراء.. بل لتقرير

جميعه صدقه، يستطيع كل من من حلال حانه هو أن يصُدّع بصدقها العظم. فالأب، والرفو، والفتحة في اكتساب المال نقطة البدء في المسلك الصحيح والرشد.

وحتى لا يجرحها تيار التطلع إلى ثراء الآخرين يُوصيها الرسول بقول:  
 "إذا نظر أحدكم إلى من يعضل عليه في الحال والرزق، فليظر إلى من هو أدنى  
 منه.. فذلك أجدر ألا تردوا نعمة الله عليكم"!!!  
 أجل فذوون كن فعلُ مفلون كثيرون. ونعم الله على عبده لا تتمثل في المال وحده،  
 فهناك الصحة، والتوفيق، والستر، والعافية.  
 هناك عشرات النعم التي يسمي كثيرون من الأثرياء أن يألوها ولو بكل ثرواتهم  
 ولكنهم لا يستطيعون..!!

إن الله سبحانه يُعطي ويدع..  
 وليس الذين يُملل لهم في العطاء بأذى مرة لديه  
 بل به سبحانه كثراً ما يكل قوماً إلى ما ملأ به قلوبهم من العنى والحير  
 يقول عليه السلام:  
 "إن الله يعطي الدنيا من يحب، ومن لا يحب..  
 ولا يعطي الآخرة إلا من يحب"  
 فالرضا بالليل هو الكثير.. وروح الحياء وريحانها لينا في كثرة المان.. بس في  
 غنى النفس وترفعها ورضاها.  
 يقول عليه الصلاة والسلام:  
 ".. وإن الله يقسطه وعدله جعل الروح والمرج في الرضا واليقين..  
 وجعل الهم والحزن في السخط"..  
 \* \* \*

ويؤصل الرسول عليه السلام توجيه الحكيم في تصحيح علاقات النفس بالثروة  
 وبالمال؛ فيفتح بصائرنا وأبصارنا على ما للمال من صراوة أشد وأمكن من صراوة لغيره..  
 ويكشف عليه الصلاة والسلام عن جانب من طبيعتنا البشرية يحفر دوماً إلى حب  
 المال والنهك عليه، ويدعونا إلى الحد الشديد من تسلط هذه لافة على مشاعرنا  
 وفسيكنا..

يقول عليه السلام:

"قلب الشح شاب على حب اثنين.. طول الحياة، وكثرة المال!!"

أجن. فمن لمهد إلى للحد، والنفس نوافه ابدا إلى المرید ثم المرید من لحد  
ومن اشراء بُد أن الحرض أدى بولده لرعه المسموره في هذا المرید، يشكل في  
تقدير رسول حصرًا رهيبًا على صمر الحرة ودينه؛ حتى إنه عليه السلام ليرى أن اسلاق  
دئاب جثعه في غم ما جعه بحرق لحومها ويلتهمها أدنى صررًا وافل حطرًا ممب يصعه  
بدين الحرة حرضه المسمور على جمع العالم!!!

ولطالما كان عليه السلام يتموّد بالله من "نفس لا مشيع".

إن لرسول يقرر أن الشّعف بالمال ويجمعه فُصد محتوم لطبيعت.  
وكما أن لا يستسلم لرغبات السوء في طبعها هذه؛ فإن الإفراط في التعلق بالمال  
واحد من سبب الرغبات التي أمرنا بتوقّفها يقول عليه الصلاة والسلام:  
"لو كان لابن آدم واديين من مال لابتغى إليهما ثالثًا  
ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب..  
ويتوب الله على من تاب"!!!

وينألق نفس المعنى في كلمات أحر من حديثه الكريم:  
"لو أن ابن آدم أعطى واديًا من ذهب، أحب إليه ثالث  
ولو أعطى ثانيًا، أحب إليه ثالثًا..  
ولا يسد جوف ابن آدم إلا التراب..  
ويتوب الله على من تاب"

فذلك طبيعة الإنسان إدر، والقدر لمشروع من هذه الطبعه خير و. لعل حسنة  
حصر حنو. أم إذا نحطًا نحوم النصف والساعة والعصد والرصا، فأشد لا يسد جوف  
ابن آدم إلا اشتراب ويبقى على الإنسان أن يقوم بواجبه المورث في تصحيح علاقته  
بالمال..

.. ويتوب الله على من تاب"!!.

\* \* \*

وإد كانت لطبيعه الإنسان ممرطة الشّعف بالمال، واسعة الحيلة في التكب  
عليه، دائمة التطلع إلى المرید منه، فلا بد إدر أن تكون لها شكنم بحفف من لهفها  
وتكالبها..

وهناك من الأفراد من يحققون بطولات روحية وأخلاقية في الترفع والرهف يسد أن  
الكفة من الناس لا يعدون على مثل هذا النوع البعيد - فسكن حبيبهم أن يقول  
عند حدود الله في المال والثراء.

وأول هذه الحدود أن يكسوا ثرويتهم من حلال، ولا يحورو، لمشروع لدى  
أجله الله وأباحت.

وما نقيص أحاديث الرسول وتوجيهاته لدعم حب الحلال واحترام المشروع في  
قلوب.. فما لم يتخذ الإنسان في طلب الثروة المشروع وما لم يحسب الحرام ويعتق  
فإن مصيره ومصير المجتمع إذا سده هذا السلوك يكون وبلاً ما هو ذا رسول الله يقول:  
"طلب الحلال واجب على كل مسلم"

وإحلال أول ما يعطى المال صفة الفول والاحترام، وكل ثروته لا تأتي عن هذه  
الطريق، فهي وباء.. يقول عليه الصلاة والسلام:

"والذي نفس محمد بيده، إن العبد ليعدف اللقمة الحرام في جوفه ما يضر  
منه عمل أربعين يوماً."

"وأياً ما عبت نبت لحمه من شحت فالتار أولى به.."

إن لعل الحرام عقم لا خير فيه لصاحبه في الدنيا ولا في الآخرة.  
وبعض الناس تدفعهم البلاهة إلى الظن بأن بعض الحر يصعب منه الحرام وكسبه  
لمشوه كقيل بأن يصح عنه وزره!  
ولي هؤلاء يوجه الرسول ﷺ حديثه.

"من اكتسب مالا من مائمت، فوصل به رحمه، أو صدق به، أو أنعمه في سبل  
الله جمع ذلك كله ففداف به في جهنم"  
ويفسر الرسول ذلك بقوله:

"إن الله تعالى طيب، لا يقبل إلا طيباً."

فمدين يعملون الحر قربي إلى الله وابتغاء وجهه الكريم، عليهم أن يتفوا أصيب  
ما عندهم من طيب منه لا أن يهدموا الحبث الذي اكتسبوه بغير حق  
والرسول الكريم حرص على تكثير ما دوماً بإعراء الحر وتحريره، لا سيما  
في عصور البدهور الأخلاقية، حيث لا يردع الناس عن طلب الثراء الحرام ردة

"بأسى على الناس زمان لا يبالي المرء ما أحد، أمن الحلال أم من لحرام"  
وحين يتقهقر القيم الفصلة إلى وراء، ونأخذ مكانها حوافز النعية والوصولية  
والطمع، يُمسى الاسعاء عن المال الحرام سداجه أو صغفاً أو ردبله في أعين الحاهين  
من لدس وما أكثرهم حينذاك..!!

وفي مثل هذه انمراب المرفقه للشرفاء يرسل الرسول عراءه الحق وحكمه  
لصادق:

"لا يعطنُ جم مع المال من غير حله، أو من غير حقه؛ فإنه إن صدق به لم  
يقبل منه. وما بقي كان زاده إلى النار".

وارسول عيه لسلام يربط دوماً كل نشاط واعمال في الدين بحر نه في  
لاخرة.

وهو بهد لا نسي أن يدكرنا بمسئولينا بحاه ثرائنا وأموال - عند الله تعالى يوم  
القيامة:

"لا تزول قدماً عيد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع

\* عن عمره، فيم أفناه؟

\* وعن شبابه، فيم أبلاه؟

\* وعن ماله، من أين اكتسبه وفم أنفقه؟

\* وعن علمه، ماذا عمل فيه؟"

\* \* \*

ولكى نجنب، لمال الحرام عينا أن يتعد تعاماً عن منطقة الحظر كلها - وذلك لا  
يُباح لك، لا إذا تجنبنا في كسبنا الشبهات  
ومن ثم كن الرسول عليه السلام حريصاً على فتح عبوسا على الحظر المحقق بكل  
كسب تغشاه لشبهة والرؤية.

"فمن اتقى الشبهات، استبرأ لدينه وعرضه.

ومن وقع في الشبهات، وقع في الحرام..

ويندوب الرسول بالتعصيل مواطن الحرام وكثيراً من موطن الشبهه في محال  
اكتساب المال على النحو الذي ستراه قريباً.

بد أنه يسبق ذلك كله بأن يصع الميران في قلب الإنسان وصميره:

أَسْتَقْبَلْ قَلْبُكَ.

والبرء اطعمائت إليه النفس واطعمائت إليه القلب.

والإثم ما حاك في القلب وتردد في الصدر، وإن أفتاك لباس وأفوك!!

إن كل إنسان يعرف الثمر من الجمرة.!! وفي مسائل المال خاصة ليس ثمت عموم، بمصادره المشروعه واصحة كالنهار ولا عذر لآكل الحرام، ولحلالها بين، والحرام أكثر بياناً وظهوراً.

وحين يصع الرسول ﷺ الميراث في قلب الإنسان وصميره ويؤكد بذلك وضوح الطريق..

وحتى لا يتردد لإنسان في غير مدعاه للرد، يحسم الرسول الأمين الأمر كله بهذه الماعدة البهية:

دَعْ مَا يَرْيُبُكَ، إِلَى مَا لَا يَرْيِبُكَ

هذا هو الميراث الصدوق. وفي معده كل إنسان الاحكام إليه والاهتداء به. فكل ما سبب الكسب إلى تربك، ويرسل ضميرك عندها إشارة للرد والحد، دعها دون سبك أو تردد إلى الأخرى التي لا تربك والتي تطعن إلى النفس ويسكن القلب

\* \* \*

ولكن أدم صور الحرام الواضحة والصارحة، ليس هناك سوى لفص المطلق لها، حتى بطل لعل وتنقى الثروة خيراً لصاحبها لا نعمة تدفّر حياته وتهدجه بأموال مصير وتقف به أحاديث الرسول طويلاً أمام صور هذا الحرام وآدبه.

من شهوة المال عتق شهوات الإنسان، وما لم يوضع لأسباب اكتسابه ونحصيله صواب حارمة، فإن الفوضى نعم المحتجع لا محالة، ونحول بحمده إلى ديب وكلاب. ورسول ﷺ هي كن توجيهاته بشأن المال حريص أبيل الحرص على أن يظن "أبوظفة الاجماعية" للمال على رأس النوايا والحواهر التي تدفع الناس إليه ويحفرهم لتحصينه.

والوظيفة الاجماعية للمال تتمثل في سلامة، لأسباب المصيبة إليه. ثم هي سلامة لمهج الذي يتم به إنفاقه واستثماره والانتفاع به.

وعلى الطريق التي يردحم الناس فيها ليكتسبو ثروته والمال، تفيض بهم معرفات صارقة، وآفات مهلكة.

وسهض أحاديث الرسول ﷺ بكل صيائها لتكشف لنا هذه الآفات.

\* \* \*

وعسى رأس هذه الآفات المهلكة يجيء الاحتكار . و لرسول عليه لصلاه والسلام  
يرفض كل ثروة تجيء من هذه الطريق.  
يقول عليه السلام:

"الحالب مرزوق، والمحتكر ملعون".

و الحالب هو الذي يحلب احتياجات الناس من مطعم ومسكن بجنيها من موطنها  
البعيدة أو الغريبة، ثم يصعبها في متناول الناس بأسعار هائلة بآراء.  
هذا الإنسان يدعو له الرسول ﷺ بوفرة الرزق وببشره بها.  
أما المحتكر الذي يوصد على تلك الحاجيات أبواب محاربه لسمها في لسوق  
لسوداء أو بالسعر القادح الشره، فهو ملعون لا تصفأ اللعبة تطارد أمواله حتى يحرقها  
هباء ولو بعد حين.

يقول عليه السلام:

"نفس العبد المحتكر

إن أرحم الله الأسعر حره.. وإن أعلاها فرح!!"

فمجرد الحر حين يرحم الأسعار، ومجرد الفرح حين يربو ويردد، قد رُتلوث  
المال؛ لأنه يشي بنفس طامعة خبيثة تعرج لحرل الآخرين، ونحو لرحمهم !!  
أجس . ولسعر الرخص بهوى إثمه أفتده الملاهي من المسهكين . والرجل  
العصيف في جمع ماله، ليل في تحصيل ثروته ورزقه هو الذي يعصى بعث عره ومسكته  
في نفس الانجاء الذي يرجو الناس منه يسر عيشهم وضرورات أرزاقهم.  
إن الرسول ﷺ حريص على أن تظل مصادر الرزق للناس بعيدة عن كل مناوره  
ومؤامرة.

وكل ناجر يتسبب بأذيته في احتكار هذه الأرزاق أو في رفع أسعارها، لا يجد له  
في رحاب الله ولا في رحاب رسوله مكاناً..

يقول عليه السلام:

"من احتكر طعاماً، فقد برئ من الله وبرئ الله منه"

ويقول:

"من حكر على المسلمين طعامهم، صر به الله بالجُدام والإفلاس"

ويقول عليه السلام:

"من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليُقبل عليه، كان حَقَّ على الله برك وتعالى أن يُعده بعظم من النار يوم القيامة".

فليس لطعام فقط هو الذي تنوعه الرسول محكروه.

وليس الاحكار فقط هو الذي يجلب لصاحبه الدمار و للعبه

بل إن مجرد المساومة أو المرايدة التي يقصى إلى إعلاء سعر شيء - أى شيء مما

يحتاجه الناس، كفضل بأن يرل صاحبه مكاناً صحيحاً من عصب الله وعذابه

إن هذه الأحاديث الكريمة التي نتعخر بحكمه، مثلما نتعخر ثورة وبعمة على الدين

يتوصلون إلى الشراء والمال ببرال الصرُّ بالآحزين لنلقى صوءها الكشف على جرئهم

القوى التي تحتكر في الصنائه أو في الزراعة أو في التجارة مصدر للرق ومما تبخ الحياة للأمة والمجتمع.

وحين يقول الرسول عليه السلام:

"الناس شركاء في ثلاثة، المال والكلاء، والنار"

ربما يشير أيضاً إلى تلك الصرورات التي لا ينبغي لعدد ولا لأمر د أن يحتكروها

من دون المجتمع والناس.

ونقلنا أحاديث الرسول ﷺ إلى صورته أخرى من صور الحرام الذي يواقع به

سعيها لتحصيل الثروة والمال.

ذلكم هو الفش في كل أزيائه وأشكاله.

والعش من أكثر الخطايا احتمالا للتأويل وللمناس العذر و تبرير فقد أيسر أن

يخدع الإنسان نفسه بأن هذا، الذي يقتضيه ليس حراماً؛ لأنه مثلاً لم يسرق، ولم يكره

صحيحه على ما أر د.. ولكن كقصبة عامة يرسل النبي ﷺ يديره هذا:

"بئس العبد عبد يستحل المحارم بالشبهات"

فشبهه العيش كشبهة السرقة البواح. وكما أب نكره أن يُخدع في أى معاملة

نعم ملها، أو سلعة يشتريها، ويذهب تتحرى أمرها حتى تضمن سلامه من أحديا - فكذلك

يحب أن تتحرى الأمر بالنسبة للأخرى حتى يكون على يقين بأن لم يغشهم ولم يحددهم  
يقول عليه سلام:

"من غش، فليس منا"  
"والمكر والخداع في النار"

إن هذا الربط المحكم بين الغش والمكر، يقطع الطريق على أولئك الذين  
يستخدمون دكايم الشرير في غش الناس أولاً. ثم في إقناع أنفسهم بأنهم لم يغتروا  
خطيئة ولا إثمًا..!!

ويحدثنا "أبو هريرة" رضي الله عنه فيقول:

"مر رسول الله ﷺ على صبرة طعام - أي كومة طعام - فأدخل يده فيه فالت  
أصابعه بللاً، فقال:

ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال: أصابته السماء - أي المطر  
"فقال الرسول: أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس؟ من غش فليس  
منا".

وأي يجمعون المال، ويتمون ثرواتهم بالغش أن كان سقمه ولونه، لا مكان لهم  
في صفوف الأمة الراشدة.

فالرشدون المؤمنون يتحلون أول ما يتحلون بالأمانة والصدق.  
يروي عنه عليه الصلاة والسلام:

"المؤمنون بعضهم لبعض صدقة وأدب، وإن تعدت منازلهم وأبدانهم.."  
"والفجرة بعضهم لبعض غشقة متحابون؛ وإن اقتربت منازلهم وأبدانهم..!!"  
أجل.. إن التصح أوضح آيات الإيمان، وهو في مواطن الإغراء أكبر قدسة،  
وأكثر لزوماً.

من أجل هذا يقول الرسول:

"لا يحل لأحد بيع شيئاً إلا بين ما فيه..  
ولا يحل لمن علم ذلك إلا به"

و يكشف عن حقيقة الشيء، ويبين عيوبه وسوآته - أي شيء يكون - ليس واجباً  
فردياً، وإنما بصاحب المنفعة فيه وحسب، بل هو واجب اجتماعي وجعل على يدي، ليه  
كل الدين يعلمون ويعرفون.

وكما يحرم الرسول عليه السلام العنق حين يكون نمويها في سوع السبعة، يحرمه بقوه أبصا حين يكون نمويها ونطفعا في وريها وكبنها ويحذر الرسول، بكرم من حطينة الطعف، لا على الفرد المطعف وحده، بل وعلى الجماعة التي تشع فيها هذه الحطينة. فقول عليه الصلاة والسلام وهو يذكر مذنب من الناس يحق عليهم عذاب الله وغضبه:

" . ولا يمض قوم المكال والميران إلا قطع الله عنهم الرزق "

ويقول في حديث آخر:

" . ولم ينفصوا المكال والميران إلا أحدوا بالسنب وشدة العتونة وجور السلطان عليهم . "

وكتبت المال عن طريق السركة في العكيل والميران بمثل سعي حثيث إلى الحرب والويل، وإن بدا لصحابه أنه سهل للاستكثار. إن البيع والشراء من أكثر، بل لعلهما أكثر مصادر المال وأرحب مجالات حركته، وفرض بريف والاحتلاس والمحاينة وافر في مجال التجارة لمن يشاء. من أجل هذا حرص الرسول الرحيم على تحديدها العزم والدائب من مزالق هذا السبيل وهو في نهج عن نطفة الكل والميران، إنما يريد أن يحرر من إغراء ما في البيع والشراء من أهواء.

من أجل هذا أراد لكل بع أن يكون سليقا نظيفا سديداً. وكل شائبة تعري بريح حرام، يحذر الرسول منها ولكن سلم الصدور بما في شوب البيع والشراء أمر البائع أن يكون واضح الأسلوب واضح النوايا. يقول عليه الصلاة والسلام:

" لا يحل لأحد يبيع شيئا إلا بتس ما فيه  
ولا يحل لمن علم ذلك إلا بینه "

فكشف مثالب الصفة مطلوب قبل كشف مزاياه، ومن ستر عيوب صفته فقد خن وخسر.

يقول عليه السلام:

" من باع عيباً لم يبينه لم ير في مقت الله "

وحين يحرى الرجل الحلال في كسبه، فيعرض سلعته عرضاً واضحاً لا عثر فيه، لن يكون بحاجة إلى موافقه خطيئه أخرى - ذلك هي حطته المم الكاذبة لعفوس لى يستخدمها آثماً فى الترويج لسلعته:

يقول عليه السلام:

"الحلف مفعه للسلعة، ممحقه للكسب".

وفى حديث آخر يقول عليه السلام:

"ليمن العاجرة مفعه للسلعة، ممحقه للكسب".

فنصريف سلعة بالمس العاجره الكاذبه أو حتى بعود المس لصادقة عمل غير صالح، لأن لعدده - أى عادته - بمب فوء الاسدراج فإد، جعل الاجر الحلف بالله على طرف سابه دومًا مطمئنًا لصدقه فتستدرجه عادته الحلف إلى الكذب حتى يواقع غير متحرج ولا متردد.

ولكى يبارك للنائع فى كسه، وللمشتري فى حاجته رسم الرسول الهج الذى يعنى كلا منهما عن التحايل والمصاررة.

يقول صلى الله عليه وسلم:

"البيعان بالخيار ما لم يتفرقا.

فإن صدق البيعان وبينما بورك لهما فى بيعهما..

وإن كذبا وكهما، فعسى أن يربحا ربحاً ما ويمحفا بركة بيعهما".

فبيعد - لئاع والعشرى - فى حار من أمرهما إلى أن يتفقا ، وعنى كل منهما أن يحرص على ألا يبحس الآخر حقه. فإ احتال أحدهما وبجحت حبه فى أن يأخذ ما ليس له بحق فيربح فعلاً ربحه العاجل، ولكن المحق والتلف والخسرون.. كل ذلك سيحقق مريعاً بالحرام الذى أخذ!!

\* \* \*

ويحرص الرسول ﷺ حرصاً جليلاً وسيلاً على أن يكون كسبها طيباً ها هو ذا يُشر

ويقول:

"طوبى لمن طاب كسبه وصلحت سريرته وكُرمت علاقته، وعزل عن الدس شره"

و لى يطيب كسبه ويعزل عن الناس شره، لى هو من يتجنب العش والاحتكار

والكذب فحسب.. بل هو مع ذلك وفيل ذلك، من يحب، لا نجار فيما حرم الله من  
مضعم حرام ومشرب حرام وسلعة حرام. يقول عليه صلاه الله وسلامه.  
"إن الله تعالى حرم بيع الحُمور، والنميتة، والحرير والأصنام"  
وذات مرة حدث نساؤل في مجلسه عليه السلام حول بيع الحمر فقال:  
"إن الذي حرم شربها، حرم بيعها"!!  
فالنجار في كل ما هو محظور ومُحرّم سبيل للكسب الحبيث والشراء الذّس ومن  
ثم بهى الرسول عنه وحذّر منه.  
"ولا يبيعوا الثياب المعصبات ولا تشتروهن ولا نعيمويهن، ولا خير في  
تجارة فيهن، وثمنهن حرام".  
والحواري اللائي يُغنى لمتعه الجسد أو متعه اللسهو والسماع سبيل كُتب فذر  
وحرم. والمؤمن الصادق طُف، يسعى إلى الطيبات ويتحب الحباث ولا سُمى لحمه  
من سُحت، ولا يضاعف ثروته بالحرام.

\* \* \*

ويتعقب النبي الكريم آفات المال والثروة حتى يبلغ آفة الرب وجريمته فندم  
عليها ويجعل أصحابها نكالا..  
فالربا استعمال بشع لحاجة الإنسان وضعفه ويؤسه.  
ثم هو يخلق طبقة من الأثرياء العاطلين الجشعين الذين كثيراً ما يتحول المال  
بين أيديهم إلى سوط عذاب..  
من أجل هذا، جعله الرسول ﷺ واحداً من شر الموبقات التي دعى إلى تجنبها  
والهروب منها..

يقول عليه السلام:

\* اجتنبوا السبع الموبقات..

\* الشرك بالله..

\* والسحر..

\* وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق..

\* وأكل الربا..

\* وأكل مال اليتيم.

\* والتولى يوم الزحف.

\* وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات

مجرمة الرب تأخذ مكانها إلى جوار الشرك بالله وقتل النفس بغير حق.

وكل مال يسهم الربا في إنشائه وإيمانه، وإنما ينظره المحقق السدي توعد الله في

قوله لفصل:

﴿يُنْحَقُّ اللَّهُ الرِّبَا﴾

ولبشاعة هذا النوع من الكسب، لم نصب اللعنة على صاحبه وحده بل وعلى كس

مشارك فيه.

يقول "جابر بن عبد الله" صاحب رسول الله ﷺ:

"لعن رسول الله ﷺ أكل الربا.. ومؤكله.. وكايله.. وشاهده..

"وقال: هم سوا"!!

والذي يعطى الربا، والذي يأخذه، والذي يحرر عمه، والذي يشهده. كل هؤلاء

تغطهم لعنة الله لإثم.. أفلا يدل ذلك على ما في الربا من صلال وما له من وبال..؟!!

ويحدثنا "عوف بن مالك" رضى الله عنه.

"قال رسول الله ﷺ: إياك والدبوب التي لا تعرف.

\* العنول.. فمن غل شيئاً أتى به يوم القيامة.

"و لربا.. فمن أكل الربا بُعث يوم القيامة مجنوناً يتخبط.. ثم قرأ قوله تعالى:

الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من

المن."

فالْعُنُول - وهو اسحلاب الأموال العامة وسرقتها..

و لربا - وهو الإقراض بالموثقة المصاعفة - كلاهما - كما يقول الحديث من

الدبوب نبي نكاد من فرط بثعتها لا يُمنى بعمران!!

والْعُنُول ليس سرقة محسبة، وليس كسباً حراماً فمحسب، ولكنه مع ذلك تحريم

وبيل وخيانة مُبِينة، لأنه عدوان على أموال عامة، لا بملكها فرد إنما تملكها الجماعة

والأمة.. وهي لكثرتها وكثرة الأبدى لعمله فيها تعرى بحملته لأعيس، وبرعات  
لأنفس؛ فردا نحول ذلك إلى فعل، فسرعد من نفع دائره العدوى به وبكثرة الأبدى  
لذاته والمجلسه، فنع الأموال العامة التي هي حق الأرملة والضعيف والعامل  
والكدح واليسيم والمريض والعسكين، والتي تقوم بها وعيها مصالح الأمة  
وضرورات حبها. نفع هذه الأموال فريسه الاختلاس والعلول والصبيح  
وللأموال العامة حرمة لو يعلمها الناس ما جرؤ أحد على لعبث بها  
وهي لا تتمثل في العود وحسب بل وفي كل ما تكون منه ثروة لعامة للأمة.  
يقول "أبو هريرة" صاحب رسول الله:

"قام ف رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر العلول فعظمه وعظم أمره حتى قال لا  
ألمين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته يعير له رعاء، يقول يا رسول الله  
أعشني. فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتكَ.  
ولا ألمين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حصمه، يقول يا  
رسول الله أعشني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتكَ.  
ولا ألمين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثعاء، يقول يا  
رسول الله أعشني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتكَ.  
ولا ألمين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نعلين، يقول يا رسول الله  
عشني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتكَ.  
ولا ألمين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رداء، يقول يا رسول الله  
عشني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتكَ.  
ولا ألمين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت، يقول يا رسول الله  
عشني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتكَ."

وهي هذا الحديث الكريم تعداد لبعض الأصناف التي تتكون منها الثروة، وقد  
جاء المال في حكامه وهو الذي عبر عنه الرسول بالصامت فالصامت هو المال دعاً أو  
فضة أو أوراقاً نقدية.

وكل اختلاس أو نهب لما ليس لك حق من حمل ورره الفدح في ذنبك ويوم

يقوم الناس لرب العالمين.

وأحاديث الرسول الراحره عن الاخلاص والعلول تبلغ دروبها في واقعه  
"رفاعة بن يزيد" ..

ورفاعة هذا كـ ... في خدمه رسول الله بعد إسلامه العريب والحديث وفي  
إحدى العرو ... من بضمه من العائمه والعائمه أموال عامة لا يسمى لأحد أن  
يأخذ منها شيئاً إلا بعد حصرها وقسمها وفي القواعد المشروعه.

ودات مرة أصاب "رفاعة" سهم من كمن للعدو كان يريص بالمسلمين ..

وسمع الرسول بعض أصحابه يعطونه على استشهاده فقال والاسى يكسو وجهه.

"لشعلة التي أحدها من العائمه لتشتعل عليه ناراً"

أو بعد هذا بدير ووعيد للدين بعثون في الأموال العامة للأمة ولدولة، فبدأ  
ونهاً وغلولاً ..!

ويظلموا كمن عليه الصلاة والسلام يحذر أصحابه الذين يعملون ولادة أو قوامين  
على أمور الناس من الأموال العامة. ويصرب لهم المثل برجل بعثه ساعداً على قوم فعل  
نمرة أي بركة من صوفه. يقول عليه السلام:  
.. قَدْ رَغَّ عَثَلُهَا مِنْ نَارٍ ..

أي عوقب على فعلته هذه بعد موته بأن ألبس درعاً من نار شغلنى بها روحه في  
برزخها.

\* \* \*

ورداً كان العلول يعنى الاعداء على الأموال العامة بطريق مباشر كالإخلاص  
والسرقة. فبه يعنى أيضاً العدوان بطريق غير مباشر وذلك بالامتناع عن إعطاء ما في  
أموالنا من حق معلوم ..

فالصائب العادلة لمشروعه حق للدولة والأمة، والأموال المتحصلة منها أموال  
عامة. فامتنعك عن دفع ما عليك من حق صريبي يعنى أنك غللت وسرقت من الأموال  
العامة نفس القدر الذي كان يجب عليك دفعه.

وهذا المعنى يوضحه لنا سر اهتمام الإسلام بالركاة.

والركاة صريبة تفت في العدل والرحمة، فهي لا تكلف الممولين من أمرهم  
عُسراً، بل تأخذ منهم القليل الهين، وتعرض عليهم اليسير المستطاع ثم هي ترجع بكل

خيرها إلى فقراء الأمة وموافق الدولة.

ومن ثم كان حديث الرسول عن الزكاة حديثاً في صميم قصة لعاب وموضوعه  
وكعادته دوماً عليه صلاة الله وسلامه، يحاول أن يجعل الصمير هو القابول.  
فهو، ذ ينادى، إلى الزكاة، يؤكد لك في صدق عظم أنه يدعونا إلى ما يُرَتُّى أُنسنا  
ويظهر أرواحنا، بل ويُشَمِّى أموالنا.  
”تَصِينُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ“

فالزكاة ليست صريه عليك، بل هي قس هذا صريه لك..

وهي لأنها حق الفقراء عندك، فإن الله بارك لك إذا أعطيت هذا الحق  
يقول عليه السلام:

”تُخْرِجُ الزَّكَاةَ مِنْ مَالِكَ؛ فَإِنَّهَا طَهْرَةٌ تَطْهِّرُكَ“

إنها لا تطهر المؤمن من إثم الكوص عن إحدى فرائض الدين فحسب بل هي  
تطهر روحه من كل شوائب الاغتنان بالمال والتكالب عليه والشُّخْ به، كما تطهره من أحوال  
المحرومين وحسد الحاسدين.

يقول عليه السلام:

”إِذَا أُدِّيتْ زَكَاةُ مَالِكَ، أَذْهَبَتْ عَنْكَ شَرٌّ“

هكذا يربط الرسول الكريم فريضة الزكاة بالصمير أكثر مما يربطها بالصنون. فهو  
يريد سمؤم أن يكون رَئِيًّا . لا يخدم المال وإنما يستخدمه في كل ما يرضى الله ويمسح  
عبده. من أجل هذا يريد الرسول أن تُعطى زكاة أموالنا مهما بلغ حجمها وقدرها بمشاعر  
الرضى والحبور، لا بالتأفف والصخر. يقول عليه السلام في معرض حديثه عن النموذج  
الصالح للمسلم الصالح.

”.. وَأَعْطَى الزَّكَاةَ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ ..“

وهو ﷺ لا يمرض الزكاة على المال وحده. بل وعلى أنواع أخرى من مصدر  
الثروة. كالرروع و شمار والأندام.. ولأنه يريد للزكاة أن تكون عطء روح وصمير، لا  
إكره سلطه وقديون، فقد دعا المؤمنس ألا يقفوا العطاء عند معادير الزكاة وحده. بل  
عليهم أن يجاوزوها إلى العزيز من العطاء.

سئل عليه السلام يوماً عن أشياء لم تُقرص فيها الزكاة، فكان جوابه:

" ما أُنزل عني فيها إلا هذه الآية العذبة الجامعة: فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره "

هكذا عون بدله للناس من مالك حير بألوه في رصده عند الله

عن "أنس بن مالك" رضي الله عنه يقول:

"أنى رجل من نعم إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني ذو مال كثير،

فأخبرني كيف أصنع..؟ وكيف أنفق..؟

"فقال الرسول: تخرج الزكاة من مالك، فيها طهره، تطهرك. وتصل أقرباءك..

وتعرف حق المسكين. والجار، والسائل.."

فهي المال حقوق كثيرة تهتصها إسانيته الإنسان مع الحق الذي تهتصه

فرائض الدين.

ورداً كتب الزكاة قد فرضت على المسلم، فلكن ضمن الحق لآسسى و نصريه

المحتومه أولاً ثم لتكون تدريجاً للأخص المجولة على الشح، ولأحرى المهيأة لسير

و بحير، كى سُمى فيها الأريحية الكريمة المعطاء. والزكاة عند الرسول قُربى شكر

العبد بها ربه على نعمائه.

من أجل هذا بدعون الرسول أن يعطيها حتى يعطيها بأعين قريرة وأقنعة فرحة

محسورة كما يدعون أن تقدمها شعور الإهداء . يعطيها وكأب تقدم إلى ربا هدية !!

يقول عليه الصلاة والسلام:

".. ويؤتى الزكاة مُحتسباً، طيبة بها نفسه.."

ويقول في حديث آخر:

".. وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه، رافدة عليه كل عام، ولم يعط الهرم ولا

الدُّرَّة ولا العريضة.

"ولكن من وسط أموالكم؛ فإن الله لم سألكم حيرته، ولم يأمركم بشرة".

والزكاة فريضة بتقاصها القانون، إذا عجز الصمير الرشيد عن هداية مبعين

بها. يقول عليه صلاة ربنا وسلامه.

"من أعطى زكاة ماله مؤجراً - أى راعياً فى ثوابها من الله - فله أجرها"

"ومن منعها، فإنَّ أحدوها وشطر ماله. عرَّفه من عرَّاه رب".

فما بع الزكاة، إلا بأني بماله، المعامل حقوق الله في هذا المال لا يُترك في عبء، بل  
 يُؤخذ منه لركه، ويُؤخذ منه المرید ردعاً له وعملاً  
 ولقد رأينا خمسة رسول الله ﷺ "أبا بكر الصديق" رضى الله عنه ورضاه، يهتف في  
 وجه المنه التي حاصها قوم فرروا الإصراب عن دفع الزكاة  
 "والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فمن تركها حق محار" .  
 "والله لو معوس عنفاً أو عملاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله لعاندتهم على  
 معي" .

والعنى هو الأتى من ولد، المعمر والمعامل هو الحبل الذى تربط به الدابة.  
 والحق أن موقف الرسول من الزكاة، وموقف الإسلام عامة لكشف عن الإنسانية  
 الباهرة لرسول ولدينه.

فهو عليه السلام يراها دائماً وأبداً حق الفقراء في أموال الأعباء..  
 ثم هو يحمى الفقراء ويدود عن حرمهم هذا بكل سبيل..  
 ثم هو بعد ذلك وقيل ذلك لا يكلف الأغنياء عسراً، ولا يعرض عليهم رهقاً  
 ولنصنع لهذا الحديث يرويه ابن عباس، ابن عم الرسول:  
 "بعث رسول الله ﷺ مُعَدّاً إلى العن فقال له إنك تخدم على قوم أهل  
 كتاب، فيمكن أول ما يدعوهم إليه عادة الله تعالى"

"فإذا عرفوا الله تعالى فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة تؤخذ من أعبائهم  
 وترد على فقرائهم"

"فإن هم أطاعوا لذلك فخذ منهم"

"وتوق كرائم أموالهم" ..!!

بالله ما أبها، وما أحناء، وما أروع..!!

انظروا - أيها من الأغنياء إلى الفقراء.. ثم..

"توق كرائم أموالهم" ..

حتى الأغنياء الذين يؤخذ منهم لا يريد الرسول أن يستنهم. ومن أجل  
 هذا جاءت وصيته الكريمة:

## "نَوِّقْ كِرَامَ أَمْوَالِهِمْ"

ولكن، ماذا سيجرت الصائمات وقست القلوب، ووقع العوس في برثن اشح والهوى الاكتناز..؟

ومدد، قد لم يجد الناس صميراً يدفعهم، ولا قابلاً يردعهم ؟  
هناك يحبرهم الرسول أن الفصاح في أثرهم، وأن عذب الله مذحجر لهم. يقول عليه الصلاة والسلام:

"ما من صاحب ذهب ولا فضة، لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمى عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره.. كلما بردت أعيدت له".

وحين يحول مع الركعة من عصبون فردي إلى عصبون جماعي. أي حين يصيح اسْمَةُ العلية عني المجتمع الإسلامي بجاهل الركعة ومعها، فائدت تعيص من هذا المجتمع منافع رفته وبغشه أرمات العيش والحياة يقول عليه السلام:

"ولم يُسْعَوْا ركعة أموالهم إلا مُسْعَوْا العطر من السماء".

ومسح لعطرها لا يعنى مسح الأمطار وحدها، بل يعنى تصوب مصدرة لثروة وأسباب الرزق، كما يعنى تمشّي التدهور وانذلاع الأرمات.

\* \* \*

ولا يرى الرسول في الركاة أداء لحق الحال فحسب، بل هي كذلك خير تحصين له وأوثق تأمين. يقول عليه الصلاة والسلام:

"حَصَّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ"

فالركعة سبيل لئاء المال وحفظه عند الله وعند الناس.. أما عند الله؛ فلأن الركاة

يعنى شكر الله عني نعمه والله سبحانه يعيد الشكر على النعم برعاء المرهد منها .  
وأما عند الناس؛ فلأن الركاة حين تُسْعَوْ في سبيل المعروف والبر، فتصل رحمة، ونمرح كرمًا، ونفست منهوقًا، فربها ترك في عوس الناس دكيري طله ومودته دافنه لهذا لدى أدّى ركعة ماله. وحين نحاط الثراء بالمحبة بدل الحمد، وبالرضا والدعاء مكان التبريع والمقت، فإنه بهذا يكون في مأمّن عظيم ونزل كريم.

ويسجلى، إدراك الإسلام لأهمية العلاقات التي بطرحها المال على الجماعة والناس

نَحَلْتُ شَاةً حِينَ يَطَالَعُنَا مَوْقِفَ الرَّسُولِ مِنَ الدِّيُونِ..

فُلِدْتُ فِي تَعْلِيمِ الرَّسُولِ وَأَحَادِيثِهِ مَا يَشْبُهُ الْعِدَاسَةَ وَلِبْدُ يَهْدِ الْحَدِيثِ الَّذِي  
يُرْوَاهُ لَنَا "أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ" صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ:

"سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالذُّبِّ"

"فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمْعَدُ الْكُفْرَ بِالذُّبِّ؟"

"قَالَ الرَّسُولُ: نَعَمْ"!!!

إِنَّ الدِّيُونَ حِينَ يَسْتَمُرُّهَا النَّاسُ تُلْحِقُ بِالْحَرَمَةِ الَّتِي يَرِيدُهَا الْإِسْلَامُ لِنَمَالٍ حَظَرًا  
مُعَدًّا وَضَرًّا حَاقًّا.

فَالذِّبُّ، الَّذِي هُوَ هَمٌّ بِاللَّيْلِ وَذُلٌّ بِالنَّهَارِ، لَا يَرُكُّ إِلَهَ فِي الْأَعْمِ الْأَغْلَبِ، مَوْي  
وَلَيْتَ الذِّبُّ يُؤْثِرُونَ الْمَآخِذَ السَّهْلَ، وَتَشْكُونَ طَرِيقَ الْمَعَادِ، وَاصْبِرْ وَاسْعَى اذْهَبْ.  
وَهَؤُلَاءِ قَدْ يَصْمُرُونَ بَوَابَ السَّدَادِ، وَقَلَمٌ يَفْدِرُونَ عَلَيْهِ. وَمَنْ تَمَّ كَدُّ رَجَرِ  
الرَّسُولِ لَهُمْ هَوْنٌ، لِأَنَّ هَذَا التَّصْلُوكَ حِينَ يَمْشُو فِي مَجْمَعٍ مَا يَشْبُهُ يَصْعَصَعُ رُوحَ لَنْفِهِ  
فِي الْجَمَاعَةِ، وَيَتَسَبَّبُ فِي تَحْرِيفِ عِلَاقَاتِ النَّاسِ بِالْعَمَالِ عَنْ طَرِيقِ الْحَيْرِ وَالْتِمَاعِ  
وَلِرُشْدٍ إِلَى طَرِيقِ الشَّخِّ وَالصَّيِّ وَالْإِطْوَاءِ. ثُمَّ إِنَّ اسْتِعْرَاءَ الذِّبِّ، لَا يَسْمُو دَاكِبًا مَعَهُ  
عَرَمَ عَنِ التَّمْطِلِ أَوْ عَجَرَ عَنِ السَّدَادِ، بَعْنَى الرَّعْبَةِ فِي أَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالطَّلِ - لِأَمْرِ  
لَدَى يَرْفَعُهُ الرَّسُولَ وَيَحْدِرُهُ مَهْ أَشَدَّ مَحْدِيرٍ. وَالرَّسُولُ يَهْدِي، يَرِيدُ أَنْ يَرْجِعَ لِنَاسٍ مِنْهُمْ  
ثَقِيلٌ بَعْضُ الْمَصَاحِبِ وَيَحْيَى الْجَبَانِ، وَيَذِلُّ الْأَنْفُسَ  
بَنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ:

"لَا تُحِيمُوا أَنْفُسَكُمْ بَعْدَ أَمْسِهَا. قَالُوا: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:  
الذِّبُّ"!!

وَيَحْدِثُنَا الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

"كَانَ يُؤْمَرُ بِالرَّجُلِ الْمَيِّتِ عَلَيْهِ الدِّينُ فَيَسْأَلُ الرَّسُولَ: هَلْ بَرَكَ لَدَيْهِ قَصْدٌ؟  
فَرَنَ حَدَّثَ أَنَّهُ تَرَكَ وِفَاءً لِدِينِهِ صَلَّى عَلَيْهِ.  
وَالْأَقَالُ: صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ..

"فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْفُجُوحَ قَالَ: أَلَمْ تَوَلِّ دِلْمُوسَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَمَنْ يُؤْمَرُ  
وَعَلَيْهِ دِينَ هَمَلَى قَصَادًا.. وَمَنْ بَرَكَ مَا أَقْلُورَثَةً."

إلى هذا مدى الرهيب تبدو مسئولة الدين وأصحه وودحه.  
والرسول الذي هو بالمؤمنين رؤوف رحيم، وهو على المؤمنين من المؤمنين كثير  
حديث وعطف وبهم أكثر رحمه ورأفه، يخرج عن الصلاة على من مدين لم يترك وفاء  
لده حتى إذا أوفى الله عليه من مدين الفواح، كان أول ما يبادر به إليه سداد الدس عن  
كل مسلم يموت وعليه دين..

هنا تبدو حرمة الحقوق عند رسول رب العالمين.!!  
بها حرمة شبه العداة، وقلم تحد لها في كل تشريعات البشر - مد وجدو  
مظيراً.

وليس معنى هذا الرجس المدمدم عن الدين، أنه محظور وحرام.  
به مباح في حدود الضرورة، وفي حدود الحرم الصادق على الوفاء  
بقول عليه صلاة الله وسلامه:

"من أخذ أموال الناس يريد أداءها؛ أدى الله عنه.

"ومن أخذ أموال الناس يريد إتلافها، أتلفه الله"

ويقول عليه السلام:

"ف من عبد كاتب له يده في أداء دينه، إلا كان له من الله عون"

والرسول بما يرجع عن الدين الذي يؤرط الناس به أنفسهم في هف، الحرج  
والبوار والمعاطلة، وهو لا يريد لأحد أن يصير لدين فاعده حاسه، أو مصدر من  
مصدر عيشه ورقه.

كما لا يريد أن يفسد بسبب الدين علاقات الناس التي يشد لها أقصى مائل  
الولام، ولوثة والتمعة.

من أجل هذا عقت المظل، وقال:

"فطل الغنى ظلم"

أي أن امساع العادر على الوفاء بما عليه من دين ظلم وإثم.

وفي لجانب الآخر من المشهد يرى حبان الرسول ﷺ يفيض غداً على المدين  
لدى، صغره ظروفه القاهرة فاستدان، ثم اضطرت مره أخرى للعجز عن الوفاء.  
ها يتقدم الرسول بصلته الحاسه موصياً بإبطار المعسر، أي إعطائه مهلة أخرى

و فرصة جديدة يتأني له فيها السداد في غير مشقة أو عسر  
يقول عليه السلام:

"كان فيمن قبكم ناجر يدأين الدس، فكان إذا رأى مُعسراً قال لسياسه، سجد وروا  
عنه؛ لعل الله يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه" ..  
ويقول الرسول الأمين أيضاً

"من سره أن يسحب الله من كرب يوم القيامة فليفس عن معسر أو يصع عنه".  
فارجع موعد الوفاء بالدين ومد أجله أمام المعسر المغفور عن يسر له من الله  
ثوب جليل، وأروع منه أن يصع الدائن المعتذر عن مدينه العاقر بعض الدين أو جميعه،  
هكذا يمسك الرسول العظيم بالخير في حكمه بهر، فهو يسهل على النور في  
الديون، واستمراتها.

ولكن إذا فرضتها الظروف على قوم حث إليهم بالنجدة، وهو يوصي بهم دائماً فليهم  
ويعدهم على رقة الرحمة وحسن ثوابه.

وإن عظمه على العدين ورحمته به لتجعل حاحه المدين إلى عتب الفصل  
الإلهي، فعلمهم أن يقرعوا ببحرهم باب الله، ويصرعوا إليه كي ينصو عنهم أودار الدس  
وأثقله.

دخل المسجد ذات يوم في غير وقت صلاة، فوجد صحابياً من الأنصار يسمى .  
"أبا أمة".

فسأله الرسول:

"يا أبا أمة، ما لي أراك جالساً في المسجد في غير وقت صلاة؟"

قال أبو أمة: هموم وديون لرمتنى يا رسول الله.

ويبدو أن السي لم يكن معه يومئذ ما يقضى به دس صاحبه، فله على العيص  
الرحيب قائلاً له:

"أفلا أعلمك كلمات إذا قلها أذهب الله همك، وقضى عنك دينك؟"

قل إذا أصبحت وإذا أميت:

\* اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن

\* وأعوذ بك من العجز والكسل

\* وأعوذ بك من البخل والجبن

\* وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال

يقول "أبو أمامة" : فلو كنت هذا الدعاء حتى أذهب الله به همي وقصبي دبتني.

\* \* \*

هكذا يسمى المال من أحاديث الرسول الكريم فليسه الرحمة والحكمة. ولئن كُنْ لم يأت إلا على اثر السر من أحاديث الرسول عن المال وقصاياه ومشكلاته، لا أت في هذا القليل المبارك استطع أن أرى مطا فريداً في عرض قصيه المال، وستطيع بهذا القليل المبارك أن يهدي إلى امثل مسجع وهدى سس بصوغ علاقتنا بالثروة وبالمال.

ولقد هدى إلى هذا المنهج رسول الأمة "الوسط" والدين "القيم"

الرسول الذي كان يستعذ بالله من شر فتنه الغنى.. وشرهته الفقر..

والرسول الذي يقدر ما دعا إلى النعم في جمع المال والفاة في اكتبه، دعا

ببمس الحفاوة إلى الحفاظ عليه وحذر من إهداره وتقصعه.

و لدى احتر "لوسط النوام" طريقاً لجمعه واكتبه - فلا يهلك ولا يعصير

وطريقاً لدله وإعاقه - فلا إسراف ولا تفسر

والدى جعل جوهر علاقة الإنسان به ماثلاً في أنه - أي المال - خادم مطيع، لا سيد

مستبد..

وإن ما قل منه وكفى، خير مما كثر وألهى وأنه وسيلة الإنسان الصالح إلى الحياة

الصالحة.. لا أكثر من ذلك ولا أقل.

"فمن أبصر، فلنصفه

ومن عمى، فعليها

وما ربك بظلام للعبيد"





الفصل الثامن

عن العمل ...



داب يوم كان صلوات الله عليه وسلامه يجلس مع امر من أصحابه وامر بهم رجل  
يتفجر شاماً وعافية، يسرع الخطى نحو عايته وعمله.

وبهر جلده وشاطه وحيوسه بعض الأصحاب فدل عليهم معصياً:

- يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله؟

فقال الرسول عليه السلام.

"إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله

وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين، فهو في سبيل الله..

"وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها، فهو في سبيل الله.

"وإن كان خرج يسعى رياءً ومفارقة، فهو في سبيل الشيطان"

بهذه المشاهد، وبهذه الكلمات سنهل غدونا مع أحاديث رسول الله وهي نحدثنا

عن العمل حديث معلّم وعظيم ورسول كريم.

وصدق رسول الله وهو يتحدث بعمّة الله عنه فيقول:

"أوبيت جوامع الكلم، واختصر لي الكلام اختصاراً".

هي هذه الكلمات الوجيزة جداً التي نحدث بها عن الرجل الذي بهر أصحابه

بجلده وينشأه، كد - عليه السلام - يلخص كل ما يمكن أن يدل على العمل من كلام  
طويل وأحاديث مميصة.

وهي سرعة ومض الصوء وصعنا كلامه الحكمة الوجيزة أمام العمل بكل جوهره،

وبكل قيمه، وبكل أبعاده..

فالرجل الذي عبطه أصحابه على حيوسه وشاطه، وبموا لو بدل طاقته لخدمة في

سبيل الله اتخذ منه الرسول ومن المشهد كله مادة لبيان قضية العمل كله.

فالعَمَل ليس بظَاهِرٍ وشكَلِهِ.. بل بِبَوَاقِيهِ وَغَايَتِهِ.

وَكُنْ عَمَلٌ وَرَاءَهُ الْعَرَمُ عَلَى آدَاءٍ وَاحِبٍ، وَفَعْلٌ خَيْرٌ، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
وَالْإِحْلَاصِ رُوحَ الْعَمَلِ فَكُنْ عَمَلٌ يَسْعَى بِهِ صَاحِبُهُ الرِّبَاءَ وَيَعْتَبِرُهُ الْقِيَالُ فِي  
الْقَصْدِ وَفِي الْمَسْلُوكِ، فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ.  
وَالْعَمَلُ لِرَشِيدٍ لَيْسَ هُوَ الَّذِي يَسُدُّ فِرَاعَهُ وَيُؤَدِّي دَوْرَهُ فَحَسْبُ، بَلْ هُوَ مَعَ دَيْتٍ وَفِي  
دَلَّتْ.. الَّذِي لَا يُعْطَى أَحَدًا فَرْصَةً الْكَسَلِ وَالْبَعْسِ وَالْعَالَةِ.. بَلْ يَشُدُّ رِبَادَ الْحَرَكَةِ  
وَيَعْمَلُ وَالْإِهْتِمَامَ الَّذِي لَا حَرِيْنَ.. وَهَذَا مَا يَكْشِفُ عَنْ سِرِّ اتِّحْصِيصِ وَالتَّحْدِيدِ فِي قَوْلِ  
الرَّسُولِ ﷺ:

«إِنْ كَانَ خَرَجٌ يَسْعَى عَلَى وَلَدٍ صَغَارًا..

وَقَوْلُهُ..

«وَأِنْ كَانَ خَرَجٌ يَسْعَى عَلَى أَبْوَيْنَ شَخْصَيْنِ كَبِيرَيْنِ..

وَقَوْلُهُ:

«وَأِنْ كَانَ خَرَجٌ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يُعْطَاهَا..

فَتَحْدِيدُ الْأَوْلَادِ بِالصَّغَارِ، وَالْأَبْوَيْنِ بِالْعَجَرَةِ الْكَبِيرِ.. بَلْ وَاتِّحْصِيصُ أَعْيَانِهِ فِي  
السَّعْيِ عَلَى النَّفْسِ، نَأْنٍ نَعْفٌ عَنِ الْمَسْأَلَةِ وَتُكْمَلُ مَتَوَسِّفٌ، لَا أَنْ يَنْفَجَّ سَمَلٌ، وَيَجْزُرُ  
وَيَحْتَلِ هَذَا التَّحْدِيدُ يَشِيرُ إِلَى الْحِكْمَةِ الْبَاهِرَةِ الَّتِي تَذَكِّرُ بِهَا لِرَّسُولِ الْكَرِيمِ أَذْكَى  
وَأَعَمَّقُ خِصَالِ الْعَمَلِ السَّيِّدِ وَالرَّشِيدِ.

إِنْ كُلُّ سَعْيٍ عَلَى الْأَوْلَادِ - وَإِنْ كَانُوا كِبَارًا - عَمَلٌ مَشْرُوعٌ وَمَعْبُولٌ  
وَكُنْ سَعْيٌ عَلَى الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ - وَإِنْ كَانُوا صُغَرَاءَ - عَمَلٌ صَالِحٌ وَمَشْرُوعٌ  
وَكُنْ سَعْيٌ عَلَى النَّفْسِ وَلَوْ لَطَلَبَ الْغَرِيدُ مِنَ الثَّرَاءِ وَنَعْمَةٍ، عَمَلٌ مَشْرُوعٌ  
فَسَادَا التَّحْصِيصُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ بِالْأَوْلَادِ «الصَّغَارِ» وَبِالْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ «الْعَجَرَةُ  
الْكَبِيرَةُ»..

ثُمَّ لِمَاذَا رُبطَ السَّعْيُ عَلَى النَّفْسِ بِالنَّعْفِ، لَا بِالْإِسْكَتَارِ، وَلَا بِالسُّدُوحِ؟ ٢٩٠  
إِنَّمَا لِنَفْسِهِ لِدَكِيَّةِ الثَّاقِبَةِ بِحَوْزِ جَوْهَرِ الْعَمَلِ النَّافِعِ وَالْعَظِيمِ.. فَالْعَمَلُ الْعَظِيمُ  
الْنافِعُ، هُوَ الَّذِي لَا يُعْمَرُ بِخِدْمَتِهِ أَنَاثًا مِنَ الْمُطْلَسِ وَالْعَاطِلِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ عَدُوًّا عَلَى  
مَا يُقَدِّمُهُ عَمَلُ الْآخَرِينَ مِنْ خِدْمَةٍ وَعَطَاءٍ..

وَالْعَمَلُ النَّافِعُ الْعَظِيمُ هُوَ الَّذِي يَسْعَى بِهِ الْإِنْسَانُ تَحْقِيقَ الْحَيَاةِ الْآثِمَةِ فِي رَفْعِهَا - لَا

الحياة المترفة الطامعة الشرقة.

وإد كان لعمل ضروره كن حى وكل حياه، فحق الجمع إد أن يعملو وواجب الجميع أن يعملو . حتى الأبناء الذين يمكن أن يعولهم الآباء - عليهم أن يعملو ف دما كبراً وحى الآباء الذين يمكن أن يعولهم أبائهم، عليهم أن يعملو ف دما فادربين . وهو مثل نصرت بكل قدر على العمل من سى الانسان.

ويرفع الرسول الكريم بالعمل الرشيد . لى مكانه مرموقه سمو على كل ف بعده العمل عليت من منافع الدنيا ومباهجها وأرباحها.

فهو سى وسنة لتقدم والنجاح ودعم الحياة وحب بل هو فوق ذلك كله . طاعة وعادة وقربى.. أجل - هو فى سبيل الله !!!

\* \* \*

بعد أحب الرسول العمل وعشقه وداوم الحث عليه والدفع إليه بشكن بهر لأب . و لحق أن علاقه الرسول بالعمل وتقديره له، من أوضح أمائر النبى كل المصطفى فى شخصية الرسول العظيم.

فالرسول سى دأبه الشك والعادة، والذى يحمل رايه دين لا يعرف الدين ، لا معبراً للآخرة، يتحمل بالعمل ويحتفى به حموة تكاد تجعله، بل هى تجعله نسكاً وعادة وفريضة من فرائض الدين .!!

و لعمل ، لى يحدث عنه هـ - هو العمل عامه، والعمل فى شى صورته ومجالاته و لعمل فى الوظفه، وفى الحارة، وفى التحمل، وفى المصع فى لطف، فى التدريس، فى الهندسه، فى كل ما يراول الناس من عمل، وكل ما يمارسون من نشاط، وكل ما يحرفون من حرفه . شريطة أن يسم فى نطاق، لدمه والشرف والاستقامه والإنجاز فالعمل لصالح الذى يسلم بل تشكّل من كن عناصر الصلاح والحير هو الذى يعنيه الرسول حين يتحدث عن العمل..

وهذا ، لعمل هو فى معالم الرسول وأحاديثه عقب الحياة وسر بقاتها . ومن ثم فهو واجب الأحياء حى الرمق الأخير فهم.. وهو حق الحياة حى الرمق الأخير فيها.. ولسب أعرف ولا أحسب عبرى يعرف أروع ولا أجمع ولا أركى من هـ الحديث فى هذا المجال:

"إذا همت الساعة، وهى يد أحدكم فسيلة فليعرسها" !!

هو كل من كتب فلاسفة الشر وعيافهم عن تؤكد، لأمل ومديس العمل في الحياة، ولن نجدوا مثل هذا الذي قاله الرسول أبداً !!!  
 إن الفسيلة هي الواحدة من صغار الحل تقطع من الأم أو تلع من الأرض ثم تفرس فيها لتنمو بعد هذا وتكبر.  
 والرسول في حديثه الباهر هذا يقول للتاس:  
 - إذا قامت الساعة معه، وكان أحدكم بها لعرس فسيه، فلا يلعها من يده لأن  
 النيام قامت، والحياة انتهت..  
 لا.. بل عليه أن يسم عمله وعمره فسيله كما لو كان موكب الحياة لا يراى يمضى  
 ويهدر...!!

أى إيمان بالعمل هذا الإيمان؟  
 وأى إدكاء لروح الأمل بعد هذا الإذكاء؟  
 فى هذا لحدث النبى الكريم يبدو العمل، وكأنه عنه ذاته.. فليس ومينه لشيء،  
 ولا يحدد غايته شيء آخر سواء  
 فحتى فى اللحظة الماعته التى تلى انتهاء الحياة، وتعالى قيام الساعة تتجرى كل  
 نفس ما عملت وما كسبت.. حتى فى هذه اللحظة الحاسمه الحارمة حيث لا يصير لنعمس  
 جدوى - لا مسما إذا تمثل لعمل فى روعه، وعمره فسيلة، موصى لرسول الجامع  
 لكن حكمه، وبكل فصل أن يمضى فى العمل وكأن شيئاً لم يحدث..  
 أجل..

"إذا قامت الساعة، وفى يد أحدكم فسيلة، فليعرسها" !!!

\* \* \*

والعمل فى تعاليم الرسول كرامة.

"ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده.

"وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده"

فرد تعمل وبكدح، ثم يأكل من عملك هذا وكدحك وعرق جحك، فهذا سطر رفيع  
 من أنماط الكرامة والشرف.

"ما كسب الرجل كسباً أطيب من عمل يده"

وشرف لعمل وكرامته يرجعان إلى ذات العمل وفصائله. وليس إلى نوعه

أو درجته

"لأن يا أحد أحدكم خيله - أي حيله - وبأي بحرمة من حط على ظهره فيمسيها  
فيكف الله بها وجهه، حر له من أن يسأل الناس - أعطوه أم معوه"

فإن يا أحد رجل حيلاً ليوثق به حرمة من حط احتله وجمعه، فهذا عمل يبدو في  
أعين الناس تافهاً وصغيراً.

لكنه في الموزن الصحيحة للعمل، جليل وعظيم لأنه جهدٌ بذل في سبيل كسب  
رزي حلال شريف.

ولقد سئل الرسول عليه السلام :

- أي الكسب أطيب؟

فقال ﷺ

"عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور"

وتركز الرسول عبي "عمل الرجل بيده" إعلاء لشأن الحرف التي تبدو في عيس  
لباس شافه أو مهسه، وتركبة للحرفين والصناع الذين يمارسون بأيديهم المجتهده  
والمجاهدة أعمالهم وما يصنعون.

وإن رسول الله ليزيد هؤلاء بهاة حين يقوله

"إن الله يحب المؤمن المحترف"

وحين يلقي واحداً من أصحابه ذات يوم ولا يكاد يصرفه حتى يجد في كفه  
خشونة غير مألوفة، فيسأله الرسول:

"ما بال كفيك قد أمحلتا؟"

فيجيبه الصحابي: من أثر العمل يا رسول الله..

فرفع الرسول كفه على ملا من أصحابه - ثم يعيلهما وتلوح بهما كأنهما رايه،  
ويقول مباحياً بهما وفطرياً لهما:

"كُفُونِ يَجِبُهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ"!!!!

والحق أن حاد الرسول الكريم على الذين يعملون بأيديهم لا يسهي أبداً. ورسه  
ليرجو لهم كل مشوبة وخير.

يمول عليه الصلاة والسلام:

"مَنْ أَمْسَى كَالْأَمْسَى مِنْ عَمَلٍ يَدُهُ، أَمْسَى مَغْفُورًا لَهُ"

إن رسول الله ﷺ، للام طريقته الخاصة في السمو، بجهد الإنسانى دون ما هو فوق كل معانم الدنيا وعطاياها.

إنه يربط لجهد الإنسانى الكادح ولسبل بالجراء الأوفى والعطاء لأبغى ثواب الله وعطائه. فمع أن الذى يمسى كالأمسى من عمل يده لا يحرم ثمار عمله وكذله، إلا أن الرسول الكريم يربو دائماً ويرجو دائماً ما هو أبغى من هذه الثمار العاجلة وهكذا راح يبشر العاملين والكادحين:

"مَنْ أَمْسَى كَالْأَمْسَى مِنْ عَمَلٍ يَدُهُ، أَمْسَى مَغْفُورًا لَهُ"

فمعمره الله ورضوانه هما العتوة البقية التى يبشر بها الرسول كل عامل وكادح. وليس فقط ما يقيعه العمل من ثمار وعطاء.

\* \* \*

وإجلال الرسول للعمل، يساوى تماماً مقتنه ورفضه للمسألة التى يُرجسها عدم العمل وكأنه - عليه السلام - فى زجره الشديد عن المسألة، إنما يدفع ساس إلى العمل بكلماته، بوصفه - أعنى العمل - الوسيلة الوحيدة للالتصاف بالمؤمنين كى يحصل على رزقه وعيشه، وكى يُسهم مع العاملين فى عمارة الحاء. وإنه عليه الصلاة والسلام ليُدغم على الذين يحدون إلى البطالة والكسل، ثم يسؤلون من جهود الآخرين ما يعيشون به فى مدلة وهوان.

يقول عليه الصلاة والسلام:

"مَنْ سَأَلَ النَّاسَ بَكْرًا، هَرَمَ، سَأَلَ حِمْرًا، فَلَسَقَ أَوْ لَيْسَكَثَر"

ويقول عليه السلام:

"الْمَسْأَلَةُ كُلُّوْحٌ فِي وَجْهِ صَاحِبِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ"

ويبيع السبي أصحابه فما يبيعهم على ألا يسألوا الناس شيئاً. ويسدرك الصحابة رعية الرسول الكبيرة فى أن يعتمد أصحابه بعد الله سبحانه على أنفسهم وأن يواجهوا أمورهم بالتحمل والتجمل والصبر. فذهبون فى ترك المسألة مذهباً بعيداً.

يحدث أبو عبد الرحمن بن عوف بن مالك الأشجعي صاحب رسول الله ﷺ:

"كنا عند رسول الله ﷺ، فقال:

"ألا تبايعون رسول الله ؟

"وَكُنَّا حَدِيثِي عَهْدٍ بِسَعْدٍ فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ

"فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أَلَا تَبَايَعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ؟

"فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا وَقُلْنَا: عَلَامَ تَبَايَعَكَ؟

"فَقَالَ: عَنَى أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا.. وَالصَّلَاةَ وَالْحَجَّ

وَتَسْمَعُوا وَتَقْلَعُوا.. وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَنَا

"فَبَدَأَ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولَئِكَ الْمَرْءِ يَسْطِ سَوْطَ أَحَدِهِمْ فَلَا سَأَلَ أَحَدًا مِنْهُمْ

إِيَّاهُ..!!

لقد نحرخوا وبورعوا عن سؤال الناس إلى هذا المدى البعيد وقد سقط سوط

أحدهم وهو يركب دونه أو دانت، بل لأحده بعينه، رافضاً أن يسأل أحد، حواه أو

أحد العيرين أن يناوله إياه

ولا يحير الرسول المسألة إلا في الضرورات القاهرة

هو هو دا عليه، السلام يوصي أبا بشر قصصه بن المحارق فيقول:

"يَا قَبِصَةُ.. إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحُلْ إِلَّا لِأَحَدٍ ثَلَاثَةً:

\* رَحْلٌ يَحْمِلُ حِمْلَهُ - أَيْ أَمْرٌ مَالَهُ فِي سِلِّ صَلَاحٍ بَيْنَ هَتَيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ، أَوْ

فِي صَدْرٍ أَوْ دُبٍّ - فَحُلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يَصِيبَهَا ثُمَّ يَمْسُكُ.

\* وَرَحْلٌ أَصَابَتْهُ جَانِحُهُ أَجَابَتْهُ مَالَهُ فَحُلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى تَصِيبَ قَوْماً

مِنْ عَيْشٍ

\* وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ قَاغُهُ، حَتَّى يَقُولَ ثَلَاثَةً مِنْ دَوَى الْحَنْثَى مِنْ قَوْمِهِ لَقَدْ

أَصَابَتْ فَلَانٌ قَاغُهُ، فَحُلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يَصِيبَ قَوَّامًا مِنْ عَيْشٍ

"وَمَا سَوَاءُ هُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِصَةُ سَحَابٌ.. يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سَحَابٌ"

إن الرسول عليه السلام، يحثي ويحادر أن يعتمد طريق من الطرق على المسألة

ويسركوا العمل وليست المسألة المهني عنها هي تلك الفاصلة على صورة، لتسبب

لمعروفة.. فهذه أدنى صور المسألة وأشكالها.. ثم لها بعد ذلك صور شتى وأشكال كثيرة.

وكلها هوان يعود بالله مع هوان لا يريده الرسول الكريم للمؤمنين أبداً.

يقول عليه السلام:

"أيد العليا خير من اليد السفلى

"والعليا هي المنعقة.. والسفلى هي المسائلة"

ويقول عليه السلام:

"فاسجعت عن السؤال، وعن المسألة فاستطعت.."

ويقول:

"ومن يسعف، يعمه الله ومن يسع، يعمه الله، ومن يتصبر، يصبره الله"

وحتى لا تكون المسألة استجابة لشرة النفس ورعيها في احتواش لمريد من أى  
سبب، بهت بنا الرسول عليه صلاة ربنا وسلامه أن يجعل الفداء والآفة على رأس  
فضائلنا، ويعلمنا أن كرامة النفس خير وأبقى

يقول عليه الصلاة والسلام:

"لس العى عن كثرة العرص، ولكن العى عى النفس"

وفي حديث جليل يقول لنا عليه السلام:

"عش ما شئت، فإنك مت.."

"وأعمل ما شئت، فإنك فعجى به.."

"وأحب من شئت، فميت معارفه.."

"وأعلم أن شرف المؤمن فيام الليل

"وعزه استغافه عن الناس"

فمر المؤمن في استعائه عن الكس، ليس الاستعاء، لدى يعنى اعتراهم واشتغلي  
عن مشاركتهم أحداً وعطاء.. بل الاستعاء الذى يعنى النفس عن كل مطلق غير كريم..  
"قد أفلح من أسلم، ورزق كفافاً، وقنع..."

واربط الهى عن المسألة بالدعوة للعمل فى تعاليم الرسول يعنى أن غلب  
أحدهما يؤكد وجود الآخر.

فدى يؤثر المراع والكسل والسطل، لى يحد أدمه شاء ثم أبى سوى سبيل  
المسألة والاقتراض والتهالك فى هوان وشقوق.

ولدى يحد العمل ويعمل ويكدح ويحى ثمار عمله تعف نفسه، ويعلو يده، ويحيا  
حياة طيبة وكريمة.

من أجل هذا كان البذل الصحيح لحياه العمر والمساله و لشطف هو العمل ثم  
لمزيد من العمل.

ولنصع إلى "أس" رضى الله عنه يحدثنا فيقول:

"جاء رجل من الأنصار إلى النبي ﷺ فأنه

"فقال النبي: أما في بيتك شيء؟

"قال: بلى - جلس - أى كساء غليظ - بلبس بعضه وسط بعضه، وقعب شرب  
فيه الماء

"فأب الرسول: اثنتى بهما.

"فأنه بهما فأحدهما الرسول بده، وقال: من يشتري هذين؟

"قال رجل: أب أحدهما بدرهم.

"قال رسول الله: من يزيد على درهم؟

"قال رجل: أب أحدهم بدرهمين، فأعطاهما إياه، وأحد الدرهمين

فأعطاهما الأنصارى وقال: اشتر بأحدهما طعاماً فبده إلى أمك، و شتر

بالآخر قدوماً واشترى به، فأنه به فشد الرسول فيه عوداً بيده ثم قال: اذهب

فاحتطب وبيع ولا أرتك حمصة عشر يوماً.

"فعل، وجاء وقد أصاب عشره دراهم، فاشترى ببعضها ثوباً وببعضها  
طعاماً.

"فأب رسول الله هذا خبر لك من أن يحيى المساله بكنه في وجهك يوم

القيامة

فالعمل كن لبديل العورى الذى دفع الرسول السائل إليه فأفاء الله عليه بركه

لعمل خيراً كثيراً ووفيراً.

وبركة العمل لا تجيء من الجهد العبدول فيه وحده، بل تجيء قبلاً من رضون

الله، ومن يكمله بربح كل عمل طيب وكل كدح شريف.

فالله سبحانه يعد عباده العاملين وعداً كريماً وناجراً إذا يقول في قرآنه لعظيم:

﴿ لا أصيبغ عمل عامل منكم من ذكرٍ أو أنثى ببعضكم من بعض ﴾

لذلك، ولكي نطلّ رحمه الله وتوفيقه فريسي ما ونحن نعمل، يوصينا الرسول عليه السلام بواجبات العمل وآدابها.

وأولها - الإتيان ..

يقول عليه السلام:

"إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه"

و، نعمان لعمل لا بفصل عن العمل بل إن إتقان العمل هو العمل ذاته.

ولأنه التي يصنعها أو يصلحها يعبر إيمان، يمكن أن يؤدي إلى كرامة - كن الخير أولاً تصنعها أو أولاً تصلحها..

وإن كل مدم صاعى أو علمى - أو حصارى بصفه عامه، لا يرجع إلى ما تقوم به. لأمه المتقدمة من أعمال بقدر ما يعود إلى الإتيان الذي تُجر به هذه الأعمال.

وعدم إيمان العمل - أى عمل - يحاور صفة الإهمال إلى جريمه لعش

وهنا يقول الرسول عليه السلام:

"مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا"

ولقد كان الرسول دائم الدعاء إلى الله:

"اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل"

وعلمنا أن نصرع بهذا الدعاء دوماً. لأن العجز والكسل لا يقعدان بالناس عن العمل فحسب. فكثيراً ما يجد الناس أنفسهم مضطرين لأن يعملوا لكي يعيشوا إنما خطر، العجز والكسل في أنهما يقعدان بما عن الرنو إلى الكمال لمستطاع والطموح الخير الذي يحض على إجاده أعمالنا وإتقانها.

\* \* \*

ويدعونا الرسول إلى جانب إيمان العمل إلى الإقبال عليه في حيوية وشغف وشغف.. من أجل هذا يوصى باليكور في السعى إلى العمل ويشره بأن هذا اليكور سيبلى إلى وفرة الرزق وبركته..

يقول عليه الصلاة والسلام:

"اللهم بارك لأمتي في بكورها"

ثم يقول:

"يا كُروا العذو في طلب الرزق، فمن العذو بركة وسبح"  
 ونحير السبده "قطعه برهه" بت الرسول عليه وعليه صلاة الله وسلامه.. أن  
 لرسول رارهم د ب يوم صبح فوجدوا مصطححه فاداه:  
 "يا بُنَيَّة، فومي اشهدى ررق ديت ولا تكونى من العافلى"  
 أجل.. فكل الأعمال.. حتى أعمال الميرل العاديه يطالب الرسول بحمده فى  
 الكور وفيما يُقبته الكور من حيويه ونعنع وشاط  
 من أجل هدا، كان الرسول بكرة لأصحابه أن يساموا بعد صلاة الفجر، وكان  
 مدعوهم أن يواصلوا، لفظة والصحو حتى يشهدوا بوا كبر النهار، ويدلّوا إلى أعمالهم  
 ناشطين موقنين.

\* \* \*

ويعلمنا الرسول عليه السلام أن يمارس العمل فى حكمة وأناة ونعفف ولنهالك  
 والإفراط حوق من فوت رزق، أو طمعاً فى ما لى لنا بحق، يهد العمل ويُعشه بعواشى  
 الحرص وشره.

"يا أيها الدس، اموا الله وأجملوا فى الطلب، فإن نفساً لى تموت حتى  
 تستوفى رزقها وإن أبطأ عنها.  
 "فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب"  
 "خذوا ما حلّ ودعوا ما حرم".

هكذا يهدينا الرسول ويعلمنا.. إن الرزق يبحث عما يهدر من يبحث عنه.. ولى  
 نموت نفس حتى تستوفى رزقها المقدور وأجلها المعلوم.. قاله لك والطمع والأدبية لى  
 تريد رزقك شيئاً.. إنما تُفقد سكية النفس وشرفها وكرامتها، كما تفقد العمل بها..  
 وفق..

ويقول عليه الصلاة والسلام:

"وإن استبطأ أحدكم رزقه فلا يطلبه بمعصية الله، فإن الله لا ينال فضله  
 بمعصية"

ها يصع لرسول لعل فى إطاره السوى الصحيح فكثيراً ما يجمع بين الرغبة فى  
 تحسب دحب إلى لبحث عن العدل من أى طريق.. وهى أى عمل.. وهى مسئ ذلك كثيراً

ما نزحمت جهدتنا بأعمال مُبْتَسرة وغير مُطَهَّرة  
يعلم الرسول ألا مستطلي الرزق، وإن استطأه فلتحادر أن تتعجمه بوسائل غير  
مشروعة، لأننا بهذا نُعرض أنفسنا لعنت الله.  
إن أكثر ما يحرص عليه الرسول الكريم وهو يحرص على العمل ويدعو إليه - أن  
ندرس أعمالنا في قناعة وشرف.. وألا نجعل العمل يستعبدنا نُشدُّ، نألمر  
الطاغي من الشراء أو الجاه، أو النجاح.  
يقول عليه السلام:

"إن العني ليس عن كثرة العرص، ولكن العني عني نفس"  
ويقول:

"إن الرزق ليطلب العبد، أكثر مما يطلبه أجله"  
ويحدثنا "أبو ذر" صاحب رسول الله. يقول:

"جعل رسول الله ﷺ تلو هذه الآية - ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ - فجعل يرددها ويقول: يا أبا ذر لو أن الناس  
أخذوا بها لكفَّتهم"

والعمل عند الرسول لا ينفصل عن فصائله أبداً . وفصائل العمل لا تتمش في  
طريقه من رسته محسب . بل وفي التلة التي تدفعنا إليه، والعاية التي يرجوها منه . والعمل  
- أي عمل - يفقد روحه إذا فقدنا السُّل في نوايه وأغراضه . وأشد يصيح العمل عبثاً  
ثقبلاً، ورونيئ كريباً، ويُحرم البركة والسكينة:  
يقول عليه السلام:

"من كانت الدنيا همُّه، فرى الله شمله، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأبه من  
الدنيا إلا ما كُتِب له"

بما مطلبون بعمارة الحياء. ولكن ليس معنى هذا أن تتحول إلى أطماع مسعورة لا  
تعرف سوى الدنيا داراً.. وتحتصر اهتمامنا في أنفسنا وحدها ومصالحات وحدها.  
إن العني في هذا الطريق المسدود يُحرم عون الله وتوفيقه.

أما العمل الذي يتوخى الحير العام مع حير صاحبه، وتحفره المواقف الصالحة، لا

الأثنية المعلقة، فهو الجدير بحب الله ورعايته.

يقول عليه السلام:

"من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم"

"ومن لم ينصح وينص باصحاء الله ورسوله ولكبيه وإمامه ولعامة المسلمين، فليس منهم".

والعمل لدى تنحصر اهتماماته في صاحبه وحده عمل مسور.

وكما كثرت اهتمامات العمل وبعثت على آلام الآخرين وآمالهم، كان في ذلك

سداؤه ورشاده.

\* \* \*

من أجل هذا يجب أن نمارس أعمالنا بعداً عن التناؤس الحاقق ولساق

المجتنون، يقول الرسول:

"لا يَبِيعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ"

فكل مُراحمه غير مشروعه لأحيث في العمل - تجارة كان أم صاعقة، أم وظيفة، يعي

عبيه.

ويقول عليه السلام:

"لا يَبِيعُ أَحَدُكُمْ عَلَى أَحِيهِ"

من أرض الله واسعة، ورقه أوسع - فمناقصه الآخرين بحث يلحمهم الأذى واضر

تفقد العمل مروءته وشرفه.

\* \* \*

وينابيع رسولنا الكريم حصانص العمل الرشيد وفصلته وآدابه في كل مجالاته

وجرفه.

والعمل في التجارة - مثلاً - آفته الكذب، والعش والأبابة والطمع - فيزج لرسول

كل هذه الآفات بتعاليمه ووصاياهم.

ويبدى السجار إلى خرمه يرگيهم برکی أموالهم وأعمالهم عند الله وعند الناس.

يقول ﷺ

"إن أطيّب الكسب، كسب التجارة:

\* الذين إذا حدثوا، لم يكذبوا

\* وإذا ائتمنوا، لم يخونوا

\* وإذا وعدوا، لم يحلفوا

\* وإذا اشتروا، لم يذموا

\* وإذا باعوا، لم يمدحوا

\* وإذا كان عليهم، لم يخطئوا

\* وإذا كان لهم، لم يفسروا

عليك صلاة الله وسلامه يا خير المعلمين. !!

إن العمل في التجارة يبلغ شأوه العظيم حين يصبح هذه صفته وأخلاقه.

والنجر الذي يحقق هذه المحصال، يشره الرسول أكرم بشرى يقول:

"التاجر الصدوق الأمين مع النسيئ والصديقين والشهداء والصلحين يوم  
القيامة"

أما حين يتحلى التاجر عن فضائل عملهم وواجباته فإنهم محضون بهد أنفسهم  
وأعمالهم وأموالهم - وفي هؤلاء يقول الرسول عليه الصلاة والسلام  
"إن التاجر، هم الفجار"

قال أصحابه:

- يا رسول الله. أليس قد أحل الله البيع..؟

قال الرسول:

"بلى.. ولكنهم يحلفون فائثون ويحدثون فيكذبون"

فأحلق العمل النجاري نركو بالصدق، ونركو بحسب الحلف لدى يروى به

التجار بصاعتهم.

يقول عليه السلام:

\* غاب وخير - المنفق مبلغة بالحب الكاذب

ولقد خرج <sup>من</sup> يوماً على أصحابه وهم يتابعون فقال:

"يا معشر التجار..

فرفعوا رءيه أبصارهم وأعتفهم مضغين إلى بدء الرسول وكلعانه..

واستأنف النبي حديثه إليهم قائلاً:

"إن اسحار سمعون يوم القيمة فخاراً، إلا من اتقى الله، وبرّ، وصدق"

ويحذر الرسول التجار قائلاً:

"إياكم وكثرة الحلف في البيع، فإنه ينفق، ثم يُمحق."

أي أن، الحلف قد يساعد التاجر في بيع بضاعه، ولكنه لما يسييه من غضب الله

سيحانه يمحى ذلك الربح ويسرع منه بركته. لهذا يقول الرسول:

"ويل للتاجر من (بلى والله..) و(لا والله)."

ويقول عليه السلام.

"رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع.

وإذا اشترى.. وإذا اقتضى.."

وفي السجارة يكون إغراء الحرام صارناً. وتذهب التمس مذهباً بعيداً في اهبال

هذا الحرام، إذا كانت طالحة، وإذا كانت صالحة فقد يعيشها الضعف فتذهب تحبب.

وتحاول أن تكسو الحرام كساء الحلال.

وهنا يرسل الرسول نذيره:

"إياكم والشبهات.

من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه.."

"ومن حارم حول الحمى، يُوشك أن يقع فيه"

ولقد وعى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ما لتوجيهات الرسول هذه من قيمة،

فكان يدعو لتجار أن ينصفوها في الدين حتى يعرفوا حلال الأمر من حرامه.

وكان رضى الله عنه يقول:

"لا يَبع في سوقنا إلا من تفقه في الدين"

\* \* \*

وحين يكون العمل في مجال الصناعة، يرى الرسول ﷺ يرسم له فصائمه وتبعاه

"ويُن للصانع من (غَدٍ) و (بعد غَدٍ)"!!

هذه أولى آفات، لصاعه والصانع.. عد الذي لا يسهى، والسدى يتمادى وينمطى

حتى يصير شهوراً..!!

فهي كم، في أى عمل آخر، يصبح الصدق ضرورة، واحترام الكلمة والموعود

المصروب واجب وشعيرة.

والصاعه موائها لإحاده والإيمان.

وهنا يقول الرسول حديثه المضيء:

"إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَّقَنَهُ"

وفي الصاعه أكثر من غيرها يكتر الأجراء الذين يعملون في معاشهم على أجرهم اليومي أو الأسبوعي.

وهنا يقول الرسول عليه السلام:

"أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ، قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرْقُهُ"

أى تعبير يمكن أن يحمل من السمو والرحمة والمعدله من حجمه هذه الكلمات احده لوجبة:

"قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرْقُهُ" !!؟

إن رحمه الرسول عظيم دائماً وتزداد كلما كان المقام مقدم صعب وضعف

ولطالما كان يقوله:

"أَبْعُوثِ صُعْفَاءَكُمْ"

"فَإِنَّمَا تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ بِصُعْفَائِكُمْ".

نحن إنهم الصعفاء ملاً.. والصعفاء حالاً - أولئك الذين يقفون وراء المحرث في الحقل، ووراء الآلة في المصنع، ووراء المدفع في الميدان. والذين بجهدهم يُحررون النصر، وبجهدهم وعملهم يحيى الإنتاج والرقى..

"إِنَّمَا تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ بِصُعْفَائِكُمْ"

\* \* \*

وحين يكون العمل في مجال الزراعة يبدأ الرسول ﷺ بالحض على الجهد المبتكر الخلاق؛ فهو عليه الصلاة والسلام يكفى من يسبق إلى أرض مواتٍ مهملة، فيصلحها ويعمرها ويحولها إلى أرض زراعية خصراء مُعطية - يكفنه بأهه يجمع الأرض له.

يقول عليه السلام:

"مَنْ أَحْبَبَ أَرْضًا مَتَتْهُ فَهِيَ لَهُ"

ويعود: "مَنْ عَمَرَ أَرْضًا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ، فَهُوَ أَحْوَبُهَا"

ويهم الإسلام بالعمل الرراعى، حتى إنه لجبر أخذ الأرض ممن يهمل أمرها ولا يردعها ويستثمرها، لى حوار هـ يرفض الرسول أى عدوان على العبر إن تجاوز لأراضى المرروعه وتلاصقها كثيراً ما يشير السراع والحصومة حين يحاول لجار أن يجلس من أرض جاره ما ليس له بحق. وفى هذا يقول الرسول محذراً:

"من ظلم فبذ شبر من الأرض طوَّقه إلى سبع أرسين" إن الجراء من جس العمل..!!

وإبر، رع الذى ثم يقع بأرضه، فراح ينتهم من أرض جاره بصعه أشد، يُحاربُه لقدر جزاء ماخرًا.. لكأنه يقول له أريد المزيد من الأرض؟ حد ما تريد من سبع أرسين، لا من أرض و حدة؟!!

يقول عليه السلام:  
"من أخذ من الأرض شبرًا بغير حقه طوَّقه من سبع أرسين"  
ولقد مثل الرسول يومًا:  
- أى الظلم أظلم؟

فقال عليه السلام:  
"دراع من الأرض يتعصها المرء المسلم من حو أحه وه من حصاة من الأرض يأخذها إلا طوَّقها يوم الصامة إلى فمر الأرض"  
إن فى مش هذا العمل المكر عدواين..  
عدوًا على ملك غيره..  
وعدوًا على حو جاره.

ويزداد هذا المعنى وضوحًا فى قول الرسول:  
"يجدون الرحلس جارين فى الأرض أو فى الدار، فيمتطع أحدهم من حظ صاحبه ذراعًا.. فيطوَّقه من سبع أرسين".

\* \* \*

ويُشرُّ، لرسول العدملين فى حرث الأرض وذر عنها بأجر آخر باتهم من حيث لا يحتسبون، فيقول عليه السلام:

"ما من مسلم يروع رداءً، أو يعرس غرباً، فأكل منه طير، أو بسن، أو بهيمة إلا كن له به صدقة".

وبعد رأينا من قبل حدود الرسول بباء الحياة حين صرب لهد مثلاً بمسيلة للحبل  
فقل.

"إد قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليعرسها"

\* \* \*

وحين يكون العمل في مجال الوظيفة، يحدثنا الرسول حديثاً جاعلاً ويبدأ لرسول  
لكريم فيعصب أن كل شاعل وظيفة إنما هو راع لأعاسه وراع لمصالح الناس فيها.  
"كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته"

بما من طول ما ألفنا بعض الآيات القرآنية وبعض الأحاديث النبوية، أصبحنا لا  
نهتم من أعماقنا للسر البهر الذي يحمله، والحكمة الكثيرة التي تصحبها  
والحدث الذي نتلوه الآن من هذا النمط، الرقيق الذي يردده بألسنت دون أن يحد  
إلى أعماقه الزاخرة بالباهرة

"كلكم راع.."

"وكل راع مسئول عن رعيته"

ليس هناك كلمات تصعب مسئولية الفرد الإنساني في مكانها لتصبح مثل هذه  
الكلمات.

أجل . إنه ليس الراجي هو الحاكم وحده . وليست المسئوليات انصبحت التي  
يحسب لها حساب، هي مسئوليات الحكام الكبار وحدهم . بل إن لكل مسئولية أهميتها  
وقدره في ميزان العمل والجزاء . وأيضاً فإن لكل عامل ومسئول أهميته وقدره في ميزان  
الحياة وعالم الأحياء .

"كلكم راع...."

وكل إنسان يشغل وظيفة، فهو راع لا نقل مسئوليته ولا تقل أهميته عن الراجي  
الأول في الجماعة والأمة وهو الحاكم.. لأن أهمية الحاكم وخطر مسئولية به، بما هي في  
الحقيقة مجموع أهميات ومسئوليات الرعاة، لآخريين الدملس والموظفين من أدبهم  
شأناً إلى أعلاهم منصباً.

"وكل راع، مسئول عن رعيته"

وكل إنسان في محيط عمله، كبير أم صؤول.. مسئول عن كفة المصالح التي تُمنع  
عليه.. مصالح الناس الذين عليه أن يرعاهم ويرعى قصاياهم بصميم يعظون.  
إن حوُج الناس تظهر من قلب الرسول ومن تعاليمه وهديه بالحظ الأوهى من  
العنان والإكبار..

"مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ وَخَلَنَهُمْ  
وَفَقَرَهُمْ - احْتَجَبَ اللَّهُ بَعَالِي دُونِ حَاجَتِهِ، وَخَلَنَهُ وَفَقَرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"  
ننظر إلى قوله عليه السلام "شَيْئًا".  
"مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ شَيْئًا"

إنه يدل على ما للمسئولة مهما صغر من رتبة وحساب فأى عمل - وأى شيء  
يُباطئ عممه، تتساوى مسؤوليته عنه بالأعمال الكبار والمسئوليات الجسام - لا سيما  
إذا كان هذا العمل، أو هذا الشيء موصولاً بغيره، نفع الناس.  
نقد رأبنا أن كل مسئول عن وظيفة أو عمل، إنما هو راع مسئول قلبيراً، لأن هذا  
الحديث:

"مَا مِنْ عَبْدٍ دَسَّرَعَهُ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ عَشْرُ أَرْعِينَ، إِلَّا حَرَّمَ  
اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ"

هكذا يرسم الأحاديث الكريمة النبوية شخصية العمل الوظيفي - إنه رعاة،  
وصاحبه راع، وكل راع مُحاسب ومسئول.

\* \* \*

وتسبغ أحاديث الرسول بعض صفوف هؤلاء الرعاة والعاملين الموظفين، فيشره  
محسنيهم، ومُعذراً المسيئين.

وشر هؤلاء هم الذين يأكلون حقوق الناس ويمسدون عليهم حسابهم.  
يقول عليه الصلاة والسلام:

"إِنَّ شَرَّ الرُّعَاةِ الْخَطْمَةُ"

والرعاة هم الرعاة،

والخطمة.. هو الذي يأكل ما ليس له بحق، ويُفسد في الأرض، ويُسبب للناس

الآزمت والمشكلات.

ثم تصبغ الأحاديث النبوية بعض هؤلاء تحت المجهر والصوء.  
لأمرء وللعرفاء، والأماء، والشرطه وجاء لأموال ولصرب، وأخرون فيحدد  
أحاديث الرسول ﷺ ليس يربعون عن الحق من هؤلاء، ويركبون هواهم،  
ويستسلمون لمرور سلطانهم.  
يقول عليه الصلاة والسلام:

"ويل للأمرء.. وويل للعرفاء.. وويل للأماء.."

لينمى أقوام يوم القيامة أن دوائهم فعله بأثراً، يتذبذبون بين السوء  
والأرض، ولم يكونوا عملوا على شيء.

وسمط الردى من الأمرء، والعرفاء وهم رؤساء الجعاعات والأعمال، والأماء  
على الأموال ومصالح الناس. ستظلم جرائم جنوحهم عن الحق عذاب شديد  
ويحدث المقداد بن معد يكرب رضى الله عنه يقول:

"ضرب رسول الله ﷺ على مكبي، ثم قال:

أفلحت يا قديم إذا مت ولم تكن أميراً ولا عريقاً"

ويقول الرسول لصاحبه: "أبي ذر" رضى الله عنه:

"يا أبا ذر"

"إني أراك ضعيفاً، وإنى أحب لك ما أحب لنفسي"

"فلا تأمرن على اثنين، ولا تولين مال يتيم".

\* \* \*

إن لرسول الله ﷺ الذى تلقى من ربه كتابه الحكيم. هذا الكتاب الذى لا يدكر  
لإيمان - على كثرة ما يدكره - إلا معروفنا بالعمل الصالح، لهُوَ أكثر لعين إدراك  
لدور العمل وقيمه وأوفى العالمين دمة لواحب به ومستولاه.



الفصل التاسع

# عن الصداقة والصحة..



قال عنه ربه جل جلاله، وهو يعدمه للباس وبمئ به عليهم:  
﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم غريبٌ عليه ما عثم، خريصٌ عبيكم، بالمؤمنين  
رُعوفٌ رحيمٌ ﴾

وأراد عنه صلاة الله وسلامه أن يعرفوا بحوهر رسالته، ويرفعوا إلى مستوى الإدراك  
المديد لدعوته، فقال:

"إنما بُعثت لأتَمِّمَ مكارم الأخلاق"

فالرسول الحريص علبا، الرحيم بنا، يعلم أن خبرنا كله مائل فيما نُعث من أجبه -  
مكارم، الأخلاق.

وعلى رأس مكارم الأخلاق، يعجىء "حسن الصبغة"  
ولست أعرف في أدب الصبغة وجهوها أروع ولا أجمع من قول الرسول، الكريم:  
"إن الله يسأل عن صبغة ساعة"

صبغة ساعة.. لقد عابر مع إسان آخر يُشكّل موقفاً يسأله الله عنه !! هذا، جلال  
لصبغة ليس له نظير...!!

والصبغة في تعاليم الرسول تبدأ بالنفس فحين لا يصاحب أحداً أبداً أكثر ولا  
أطول من نُصاحب أنفسنا؟

من أجل هذا، تبدأ حقوق الصبغة والترامانها بسوع علاقتنا بأنفسنا.  
كيف نُصاحب أنفسنا، وكيف نصادقها، وكيف نتعامل معها؟ يقول عليه السلام:  
"أبدأ بنفسك"

فحين يكون أصدقاء طيبين لأنفسنا، نكون أو نصير أصدقاء طيبين للآخرين..  
والصبغة لأمينه الصالحة للنفس، تتمثل في ألا نشقُ علبها، أو تنشقُ علبنا.. أى أن  
يمضى الإنسان بمسه على صراط مستقيم - صراط الله وهدنه وموره.

والتدريب الحمقى لأداب الصحة، هذا برويض النفس وتعليتها.. هذا العمل

لمجد الذي أعطاه الرسول وصفه الحق حين قال لأصحابه

"رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، جهاد النفس"

وجهاد النفس لدى يس بعداً عن مباح الصداقه لها والصحة معها كثيراً ما  
يزيدها ضللاً وإباً.

فتدريب النفس واصطحابها، والاعتماد على برويضها على، نسوة و لفسر، كثيراً ما

يُفصى إلى العريد من مُعزّدها - يقول عليه الصلاة والسلام.

"عليكم بالرفق، فإن الرفق خير كله"

"ما كان الرفق في شيء إلا زانه ولا برع الرفق من شيء إلا شانه"

ويهد عن أن يغنوا في الدين، ولعدة:

"فإن القيت لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى"

ويأمر بالقصد والاعتدال والأناة في ترويض أنفسنا، وفي عبّادنا، وفي أمرنا كله

يعول عليه السلام:

"القصد والتؤدة وحسن السميت، جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة"

وكثيراً ما يُعبّر الرسول عن النفس تعبيراً يوحى بالحنان ويوصى بالرفق، إذ يقول

"نفسك التي بين جنبيك!!"

أجن. وهل هناك ما هو أقرب إليك وألصق منك ما هو بين جنبيك؟ وإد. كان أول

واجبات الصحة أن يكون صدق مع صاحبك وباصحاً أميناً له؛ فإن هذا أيضاً هو أول

واجبات تجاه نفسك.

وفي هذا يقول الرسول:

"الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت.."

"والعاجر من أتبع نفسه هواها، ومنى على الله الأمان"

فممارسة النفس في غير إدلال، وتقويمها في غير فال - هو أول ما يحرصه على

حقوق صاحبها ومعايشتها..

أما تركها في هواها، وترك الصبح لها فحاجة لها ولحقوق الصحة معها.

والموارة بين التسامح والمواحدة، وبين الرفق والتعيط - هي أكثر ما يستقيم به

الصحة مع أنفسنا ومع الآخرين.

ولما كان الدم أسرع ميلاً بالطبع إلى الشدة والغلظة. جاءت وصايا الرسول بالرفق كثيرة ومباركة..

"إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه"

إن رسول الكريم إذا بصع "العنف" معابلاً "للفرق" إنما يهبها إلى أن أي أسير لا يبعدنا عن الرفق، سيوقعت من فوره في نقصه - العنف - كما يوقع في نقص آخر له، هو لجماعة والخرق..

يقول عليه السلام في حديث آخر:

"إن الله عز وجل، ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق"

ثم يدل ذلك على حصة كل من الرفق والخرق فعول

"الرفق يُعْمِن، والخرق شؤم"

وبه عينه السلام لا يجعل الرفق حلقاً وفصله فحسب بل هو سمة وأمة وعلامته

المميزة

يعول عليه السلام

"إنما يُعْجِم مُبْشِرِينَ، ولم تُبْعَثُوا مُعْزِرِينَ"

وتصف لعدة عدته رضى الله عنها النهج الدائم للرسول، فتقول:

"ما حير رسول الله بين أمرين إلا احتار أتسرهما، ما لم يكن إثمٌ فإن كان

ثم إثم كان أبعد الناس منه"

\* \* \*

وحين يحسن صحبة الإنسان لنفسه وتُسْقِم، وتحسن وتستقيم صحبته للآخرين. وهنا نعلمنا أحاديث الرسول إلى أن أولى الآخرين بحسن الصحبة هم لأهل و الأقربون.

فالأقربون أولى بالمعروف لأن لهم حَقَقَيْن. لا حقاً واحداً.. حق الرُحِم، وحق الصحة. والإنسان الذي لا خير فيه لأهله، لا خير فيه لغيرهم.

ومن هنا يؤكد لإسلام على صلة الرحم. وسوصى به الرسول حبراً، ويوصى به

في سورة البقرة.

يقول عليه الصلاة والسلام

"من سره أن يسط الله تعالى له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره - أي أجله - فلينصل رجيمه"

\* \* \*

ومن الأهل والأقربى، يبدأ الرسول ﷺ بحقوق الصحبة بين لزوجين وليس هناك معايشة أطول وألصق من معايشة الزوجين.

وأوسع مجال لتدريب النفس على فضائل الصحبة والراعات بها - هو هذا المعجب، فالذي يحقق في صفاء المودة والاحترام على حاته الزوجية والعائلية، يكون أكثر إخفاقاً فيما وراء ذلك.

من أجل ذلك، ولما للحياة الزوجية من حرمة وجلال - يعطى أحاديث الرسول وتوجيهاته الكثير الطيب من الاهتمام.

"لو كنت امرأ أحد أن سجد لأحد، لأمرت الزوج أن تسجد لزوجها"  
ويدعو الأزواج لحسن الصحبة مع الزوجات فيقول:  
"استوصوا بالنساء خيراً"

ويقول عليه السلام

"لا يفرك - أي لا يكره - مؤمن مؤمنة  
إن كره منها خلعة، رضى آخر"

إن الرسول يصح على كاهل الرجل واجبات كثيرة ليؤدي حقوق الصحبة مع لزوجته أفضل أداء.

"أكمل المؤمنين إيماناً، أحسنهم خلقاً - وحركم خيركم لسانهم"  
هكذا يعلم الرسول، ويدعونا إلى التأسي به حين يقول:  
"خيركم خيركم لأهله . وأنا خيركم لأهلي"

\* \* \*

وسقنا أحاديث الرسول إلى أوسع رحاب الصداقة والصحبة.

ولما كان الصديق والصاحب هو الوجه الآخر للعنوان الدال على عيب، فإن أول ما يدعو إليه الرسول - أن نحسن احسان صحابته وأصدقائه.  
يقول عليه السلام:

"المرء على دين خليله، فلنظر أحدكم من يُخالل"

ومن كتاب "لوصايا العشر" أصل هذه السطور.

- "إن اختيار الصديق يشكل في حياتك أهميه بالغة. ذلك لأن كلاً ما تفقد فيه

جو نب يتمنى إدراكها.

وكل منا يود لو استطاع أن يختار حياته.. أما وذلك غير ممكن فرب لمس

لعوض عبد أصدقئنا، فختار مهم الدين يستطيع أن يستدرك بهم ما فات حياتنا من

فرص الخير والتعوق.

ذلك أن الصديق يحب به وبمصائله نصير امتداداً لك وسعته

ورن حياتك تتأثر به، وتنعكس عليها كل ما به ومرايه.

فقد احترته وأحسنت اختياره، كنت كأنك احترت حيث كنت من أولى لحظاتنا،

فمراياه التي تنقصك، تصبح ملكك. والمصائل التي صاعبتك في رحام الحياة،

تعود إليك مع هذا الصديق.

والحياة الساقطة التي كنت نود أن تحاها وبكونها تقترب منك إذا أخذت

صديقك على غرارها ومن طرارها..

لا نحتر الصديق لثرائه ولا لجاهه؛ فالحياة كثيراً ما تسحر من أصحابها،

الاحير بأن نحس لهم في الطريق حبه أمل عريضة تعاجهم بها في قهقهة وشماتة.

إنما عليك أن تختار الصديق لثراء روحه، ووجاهه حصالة، وأدقة نفسه، ووثاقة

خضعه، وتماصك بنيانه.

لا نحتره مهداراً ثلاًياً نسلط بالتدبر على الناس، فهذا هو الذي يهبط بحبايك

إلى الحضيض. والذي يقول اليوم "لك" ليضحكك. يقول عدداً "عنت" فيكيك!!

لا نحتره حافداً - شعار حياته: محققاً للماجحين؛ فإن المواطن معدية، وصحبتهك

لهذا الشمس تجعلك مثله تعسا.

لا نحتره من لدين يرون الحياء لهواً ولعباً وسجاراً وكأساً؛ فإن الحية في صحبه

هؤلاء تتحول إلى نهاية ويب؛ بل اختر الصديق الذي يرى في نجاح الآخرين نجاحاً له

وحسن ثوابه.

اختر دافع اللسان، عفاً النفس، وثبات الصميم.

اختر من لحبته قيمه - بما يبذل من جهد.. وبما يحمل من واجب. وبما يعررس

من دور عظيم.. أمـ

وهو نفس الكتاب <sup>(١)</sup> ومن دلت الموضع نقل هذه السطور:  
 "من مددة لعوبة واحدة، جاءت كلمتا "صدق" و "صداقة"، وكلمتا "صديق" و  
 "صديق".. والصداقة التي هي أعلى من الحياة - بمنزلة - من أراج يا صديق سي هو  
 أسمي فضائل الحياة..

لا تصدق أنك ستطعم الحياة بعمر أصدقاء، ولا تصدق أبأس حين يلفي في روعك  
 أن الصداقة أسطورة. وأن الناس - جمع الناس - دئاب!!

ولس عليك لكي تكشف مراه الصداقة وحنسها ولكي تعلم أن الأصدقاء في  
 الدنيا كثرون. لس عليك لتبلغ هذا إلا أن يبدأ أب فتكون صديقاً طيباً.

جرد من نفسك قاصياً على نفسك وأدنها قبل أن تقف من الآخرين قاصياً وذئباً.  
 فإذا بد لك منها قصورها وتقصيرها، وإذا سبب أنه بقصك الكثير من حصل الصديق  
 وممانه؛ فغم أنه من هنا غمت عليك رؤيه الصداقة ورؤيه الأصدقاء، وبدأ بنفسك،  
 وكن صديقاً طيباً..

وبدأ هذه البدايه بأن تعرف ما الصداقة؟ الصداقة سلوك تعبر به النفس عن  
 حاجتها إلى نظير.

ولصداقة مشاركة خالصة بين اثنين أو أكثر على مستوى رفع من السبل والتعاهم  
 والإيثار.

والصداقة ليست "اتفقاً محارياً" بين اثنين.  
 بل هي "ميثاق" بين قلبين وحدتين وإسابتين رهيبتين.  
 فزود نفسك بمصائل الصداقة، وعشها بهذا المدد الكبير من الحب والخير، وبم  
 فيها برعه الإيثار حتى تشع وتراحب لإيلاف الناس جميعاً.

كن صديقاً لمن تعرف ولمن لا تعرف. وأسهم في حل مشكلات الذين يدفعهم  
 إليك الأمل فك حتى لو لم تربطك بهم رابطة دائمة..

وتألم في نيل للأسى الإنساني حيث يكون..  
 جعل من نفسك مرفاً ناوي إليه الروارو التائهة التي رلزل الإعصار و لموج  
 ثبته، وليكن اسمك كنداء الجده لا يك د يسمعه المعرعون حتى سكين صلوهم

(١) الرصايا العشر، للمؤلف.

الواجفة، وتعود إليهم طمأنينتهم الضائعة" أهـ

\* \* \*

هذا إيجاز لفكرة التي ينبغي أن تكونها عن لصديق والصحية.

وإن رسول الله ﷺ للحصص لنا كل ما للصدافه من بركات وفصائل حين يقول في

وصيته الجامعة:

"كن خير ابني آدم"

أي كلما كنت نائي أنس فكن خيراً، أو ثلاث ثلاثة، أو أربع أربعة، فكن خيراً.

وليس المقصود بالخير به والأفصله من العظم والعالي . بل كن خيراً بأن

تكون أكثرهم ولاءً لصحية، وحفاظاً على حقوقها .

كن أكثرهم صفحا عند العصب . وأكثرهم بدلا عند الحاجة . وأسرعهم رجوع

بالود عند القطعة . وأكثرهم التماسا للمدر عند الرلة .

كن أصدقهم نصيحة . وأسبقهم إلى نجد .

هذا هو المعنى بقول الرسول:

"كن خير ابني آدم" ..

ولكن نردم الصدق ونسوء بحسب الرسول الكريم أحطر الوشابه وإنه عليه

الصلوة والسلام لصرب المثل ويعطى المدوة إذا علم أصحبه قائلا .

"لا يلعونى عن أصحابي شيئا؛ فدى أحب أن أخرج إليكم مشرح

الصدر" ..!!

حياء الله من معلم عظيم .

إنه يشد لباس أقصى ما يستطيع من الطمأنينة والسر والسلام والعافية .

لقد نظر "عبد الله بن عمر" رضي الله عنهما - وهو تلميذ عظيم لرسول الله . نظر يوما

إلى الكعبة متمثلا كل ما لها من حرمة وجلال . ثم قال:

"ما أعظمك وما أعظم حرمتك"

"وإن المؤمن لأعظم حرمة عند الله منك" .

فرد: "صنف إلى حرمة الإيمان حرمة الصداقة والصحية، فكن تكون المستولى عليها

كبيرة وخطيرة..؟!

والحظرة الدتة بس الناس يحجم عنها قليل أو كثير من خلاف وجهات النظر،  
ومن سوء التفاهم.

وهو يوصي الرسول بالبسم الثقي، وهو الصصح الجميل  
إن سبب لإساءة وطبها بحب جتج المعصرة والصصح - أمر ضروري لاسيما  
الصداقة وطبدة نقية شامخة..

من أجل ذلك يحبرنا الرسول أن أحبا إليه، وأقربا إلى نفسه وقلبه،  
.. أحاسنكم أخلاقا..

الموطأون أكنافا..

الذين يالعون، ويؤلمون"

يستم يحبرنا أن أكثر الناس شرا هم

"الذين لا يعملون عشرة

ولا يقبلون معدره

ولا يعصرون ذب"

فإن تجعل من نفسك "عدادا" لإحصاء رلات صديقك - فذلك يعنى أنك لا تصلح  
للصداقة أبدا.

أما أن نمر رلاته، وتساها، وتساعدته على سبائها - فذلك هو الموقف لأجدر  
بالصديق:

يقول عليه الصلاة والسلام:

"من أتاه أخوه متصلا - أى معتدرا - فلعسل ذلك، محقا كان أو مبطلا"

تأملوا هذه العبارة:

"محقا كان أم مبطلا"

إن مجرد الاعتذار، اعتراف بالخطأ - ومن ثم يسوى أن يكون تسميره لحظته  
مصحح للحقيقة أو مجوف لها، ما دام بعدم اعدارا صادقا عن خطته وركله.

\* \* \*

وبصون لرسول الكريم، الصداقة من "الأرضة" الحبيثة التي تأكل لصداقة شيت

فشيئا - تنك هي النيمة.

ولقد ذهب النعامون بكل مقت الرسول وغضبه..

"إن أهدىكم إلى المشاعون بالنميمة. المفرقون بين الأحبة".

وبؤى لرسول الصحة مكانها الصحيح ويضعها في مكانها الصحيح والسوى، يد  
 يعلمنا أن الصحة الحاضرة هي التي تكون لقاء في الحير وعلى الخير. ولتس تحدد  
 سياجها من قول الله سبحانه وتعالى:

"وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان".

وإن الرسول عليه الصلاة والسلام لبشر العائشين في هذا الطرار من الصدقة  
 و لصحة بأعظم ثواب. فمن السعة الذين يظلمهم الله بظلمة يوم القيامة:  
 .. رجالان يحاب في الله، اجتمعا عليه، وتفرقا عليه.

و لحب في الله - يعني صحبه بلا غرض. ويعنى صحبه بلا شر ويعنى صحبه  
 تتعاضد وتتكاثر على حب الحير وفعله وإسدائه.

ولكى يبلغ الصحة هذا المبلغ، يجب أن تكون نية من الداخل، وأن تشاد على  
 ركيزة قوية من، لتأصح والرصد فالصديق يحون الصداقة، ويحون صديقه إذا لم يبه في  
 رفو إلى مساوئه، وإذا لم يكن مرآة صافية يرى فيها كل هائته. وهنا يعلمنا حاتم  
 المرسليين فيقول:

"وإن أحدكم مرآة أخيه فإن رأى به أدى، فليمطه عنه".

\* \* \*

ويريد الرسول للصداقة وللصحة أن تنمى دوما هواء نيا.. وهواؤها التقى يتمثل  
 أول ما يتمثل في الثقة، لمبادلة.. فمادا يكتهم الثقة مثل هواجس الظنون لعمياء..؟؟ من  
 أجل هذا ينادينا بهذه الحكمة المتألفة:

"إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث"

هل الظن حديث؟

أجل. إنه حديث النفس، وهو كما يصقه من آفة الله الحكمة وفصل الخطاب -  
 أكذب الحديث -

وأكذب الحديث هذا، يشكل خطرا ماحقا على الصداقة.

من أجل ذلك رأيت الرسول الأكرم يدحسه ويرفضه، ثم هو - عليه السلام - لا  
 يكتفى بهذا، بل يقطع عليه سبيله وطريقه. فانت حين تسمى الظن بصديقك فتجنبه،

ويتجنبك يكون سوء الظن قد حقق غرضه.

وهنا يعتبر النبي هذا التجنب هجرا وقطعه، ويسبى عنهما بهي حارما فقول:

"لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث"

وكأنه - عليه السلام - رخص في أيام ثلاثه لا غير، ليستطيع الإنسان خلالها أن

تهذا نفسه ونسكن ثأثره، ويسبب صوابه من خطئه، ويعود حرره الصحة بعدها

عامرة غامرة..

\* \* \*

وحتى المجاملات الرقيقة التي تمنش الصداقة وتورد معياها، يختصها لرسول

بالكثير الطيب من وصايا، وأحاديثه.

فتبادل الهدايا في غير مشقة، يأمرنا به:

"تهادوا، تحابوا"

وإياكم والتكلف..

وإطراء الصداقة والتحدث بنعمه الله بها، بدعونا إليه:

"إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره أنه يحبه"

ولقاء صاحبك بيسمه ودود:

"من المعروف أن تلمى أحاك بوجه طلق"

بل لنسمع قول الرسول أيضا:

"أحبهما إلى الله، أحسنهما بشرا لصاحبه"

وحتى حين يعطس صاحبك يأمره الرسول ﷺ أن يحمده الله، ويأمرك أن تقول له:

يرحمك الله..

\* \* \*

إبه تتبع ذكي باهر لكل احتياجات الصحة وأخلاقياتها.

وإن الرسول لمريض على أن يتحول المجتمع المسلم كله إلى أسرة واحدة، يوقر

صغيرها كبيرها، ويرحم كبيرها صغيرها. أسرة صديقة تجري المودة والمحبة في كل

أفرادها مجرى الدم في الشرايين والأوردة والعروق.

من أجل هذا يستشر فرسه الجمعة التي كتبها الله ضمن الصلوات المفروضة،

فيحضر على شهوده بكل مل، راجي أن يحقق هذا اللقاء الأسبوعي بجديد شباب  
الصحة دوما وإرباء صوفها.

يقول عليه السلام:

"الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة ما".

فيحمل من حقوق الاجتماع والجمع هذا اللقاء الذي يسبح للإخاء فرصة دائمة  
تملأ ربا وتنفحه شبابا..

ومثل ذلك أيضا في الحضر وفي الثمر - صلاة لجماعه التي كان لنبي دائم  
الوصاية بها والتبشير بالثواب عليها.

إن للمجتمع الكبير يكون من عدة صدقات فهو بين أفراد وأعضاء.

وهذه الصداقات الميثوقة في المجتمع هي الحلايا التي يمدده بالحب فإذا كانت  
حلايا سليمة، سلم أمره وسلمت عاقبته.

وإن كانت حاوية بحطم الأمل في مستقبله، وليس أدل على تقدير الرسول لهذه  
الحلايا - أعني هذه الصداقات المفردة التي تقوم بين اثنين أو أكثر منها - ليس أدل  
على تقدير الرسول لها من هذا الصنع الجليل الذي صنعه غداة هجرته وأصحابه من مكة  
إلى المدينة..

فعني لرغم من أن المسلمين جمعوا - مهاجرينهم وأنصارهم كانت تجمعهم أعظم  
أواصر الحياة، وهي أصرة الإسلام والإيمان، فإن الرسول عليه الصلاة والسلام راح  
يعقد أصرة خاصة وصداقة خاصة بين كل اثنين من أصحابه الأنصار والمهاجرين.

إن هذا درس باهر وعظيم تلقىه خير المعلمين وإمام المرسلين في قمته لصحة  
وجلال الصداقة.

\* \* \*

والصداقة والصحة تتسمان في عالم الرسول وأحاديثه حتى ينتظم الحيرين من  
أبشر جمعيا فأصدقاء الغيب - الذين لا يعرفهم ولم يلق بهم - لهم من الود ومن  
الحقوق مثل مالأصدقاء الشهادة - الذين يعرفهم وتقوم بتوسيم صلات وعري.

والهيج الذي تعبر به صحننا لم لا يعرف عن نفسها يراوح بين التوقير والحب  
أجل - ونحن مطالبون بتوقير من استأهلوا التوقير ممن لا يجمعنا وإياهم خلطة دابة،  
وهذا الخلق من صميم آداب الصحة؛ لاسا في حياتنا الفاضلة لا نصحب الناس إلا من

خلال أنفسنا..

وأنت في صحبها الأخلاقية لا يهب الحب والوقر لمن يعرف وبألف محبة.  
إنما نهيهما لكل من هو أهل لهما وجدير بهما، يقول عبده الصلاة والسلام:  
"إن من جلال الله تعالى - إكرام ذي الشبهة المسلم، وحامل القرآن غير العاصي فيه  
والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط".

فهذه الأقطار من الناس يدعوا الرسول لصحبها بالتوفير ولا حرام حتى، ذا لم  
تجمعها بهم صداقة مباشرة. لأنهم يمثلون القيم الفاضلة التي تصون بهاء الحياة..  
وصحبته لهم عن طريق توفيرهم واحترامهم عبر في صدق عن ثلاث للحياة.  
ولهذا جعل الرسول إحلالهم من إجلال الله سبحانه.

وفي حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام:

"لنس منا من لم يرحم صغيرنا"

"ويعرف شرف كبيرنا"

إنما حتى تتأمل هذين الكلمتين (شرف كبيرنا) تدرك كم كان الرسول عظيم وهو  
ينشئ العلاقات الاجتماعية في أحسن تقويم..

قل كبيراً يستهم، والكبراء بأخلاقهم، والكبراء بحبرانهم، والكبراء بتأريخهم  
ويعطونهم للحياة..

كل هؤلاء لهم "شرف" يجب أن يرعى ويصان.

وحين يؤدي لهم حق التوفير يكون قد صحبهم حبر صحيحة حتى لو لم نعرفهم  
ويعرفونا.

وفي هذا المعنى الجليل تحدثنا السيدة عائشة "أن رسول الله ﷺ قال:

"أنزلوا الناس منازلهم"

إن ذلك لا يعني النزوع إلى طبقة أو اعتبار.

إنما يعنى الفهم لسديد والولاء الرشيد لأقدار الناس الذين تتعش فيهم،

وبالتالي في احترامهم فصائل الحياة واحترامها..

\* \* \*

بنا إذ يحب أهل الحبر يكون قد صحبهم حتى من غير أن يتم بسببهم بهاء

وبال ماثوبة هذه لصحبة التي لم تكلفا شئاً - بأن يكون منهم ومعهم حتى لو لم ترتفع بنا مناقبنا إلى مستواهم..

سئل الرسول عليه السلام يوماً:

"الرجل يحب القوم، ولما يلحق بهم.."

فقال عليه الصلاة والسلام:

"المرء مع من أحب"

ويسأله أعرابي أيضاً ويدور بين الرسول وبنيه هذا الحوار.

الأعرابي: يا رسول الله، متى الساعة؟..

الرسول: وما أعددت لها؟..

الأعرابي: ما أعددت لها من كثير صوم ولا صلاة ولا صدقة..

"ولكن أحب الله ورسوله."

هناك يقول له الرسول:

"أنت مع من أحب."

إن "الصحبة الروحية" من أركى أنواع الصحبة وأبهاها وأنهاها..

والصحبة الروحية هي تلك التي تجمع بين قلوبنا وأولئك الأفاضل المباركين من

عبد الله.. هؤلاء الذين نقرأ عنهم، أو نسمع بهم، أو نشم عيرهم في الحياء.

انظروا..

هذا "عمر بن الخطاب" رضى الله عنه مع جلال قدره وسبقه يظن به أن ابودرد

المأدبة من ليمن عن رجل لم يعرفه قط ولم يلقه من قبل أبداً.. لكنه سمع الرسول عليه

السلام يتحدث عنه في حب وتقدير.. ذلكم هو "أويس بن عامر العرني".

لقد عاش "عمر" سنين عدداً يحمله أشواقه إلى هذا الرجل الصالح..

وكلما لفتى بوفد من وفود اليمن سألهم عنه حتى التقى به ذات يوم فكان من أسعد

أيام حياته.

قال له عمر حين لقبه: لقد أوصاني رسول الله إن لقيتك أن تسفر لي

فاستغفر له "أويس" ودعا له..

ثم سأله أمير المؤمنين وقد علم منه أنه يعصد الكوفة:

.. ألا أكتب لك إلى عاملها؟

قال أويس: أكون في غبراء الناس أحب إلي..!!

\* \* \*

إن صحبنا الصالحين الذين لم تجمع بهم خلطة مباشرة تكشف عن حقيقة أنفسهم وما لها من حظوظ الخير والعصيلة.

لقد قال الرسول عن الأنصار رضوان الله عليهم:

"لا يحبهم إلا مؤمن"

"ولا يفضيهم إلا منافق"

فهؤلاء أبرار لم يرهق، وتفصل بيننا وبينهم قرون بعده، ومع هذا أحبهم ويعصمهم مسبر للنفس الطيبة والنفس الحبيثة.

وهكذا كل الناس الطيبين الأبرار، يصحبهم بحب وبوقير وبمحاولة التآسي بهم، فنكشف عن جمال معدنا وصدق طرقتنا..

\* \* \*

ولصعد لاس حهم في صحبه كريمة سلة، حتى إذا لم يجمعهم بهم لقاء.

وحين علم الله رسوله قائلا:

"فأما اليتيم فلا تقهر"

"وأما السائل فلا تنهر"

كان لإسلام يرفع عاليا لواء الصحبة، لبيته وانتواصى الرحيم لجلس بصعفة للناس..

إن حسن الصحبة لأولئك الذين وضعتهم ظروف حياتهم في أول السلم الاجتماعى لتزن عند الله أقدارا عظيمة.

ولنطالع معا هذه الواقعة:

قدم أبو سفيان يوما بعد إسلامه على مجلس به سلمان، وصهيب، وبلال وبعض أصحابهم، فقالوا حسن رأوه: ما أحدث السيوف من عدو الله ما أخذها..

"فقال أبو بكر رضى الله عنه: أنمولون هذا لشيخ قرش وميدهم؟"

"وأتى النبي ﷺ قاحبره

"فقال الرسول له يا أبا بكر، لعلك أعصبهم."

لئن كنت أعصبهم لقد أعصبت ربك.

"فأسرع أبو بكر إليهم معذرا يسألهم: يا إخوانه أعصيتكم؟

"قالوا: لا يغفر الله لك يا أخانا!!"

إنه أبو بكر الصديق بكل أدبه الجم العظيم وسحاياه الوادعه وشمانئه الرحيمة الودودة.

ومع هذا يحشى الرسول أن يكون أعصب بكلماته هذا النمر من فقرء لصحابه الأجلاء.

أي أدب للصحية في أي زمان. في أي مكان. يعدل أدب هذا المعلم الكريم عليه صواب الله وسلامه وعنى له الطاهرين وأصحابه الأكرمين!

وبعد، فإن الصحة في الإسلام غالبة.

ولعل من أوثق ما يكشف عن قيمتها في أحاديث الرسول عليه السلام قوله:

"يقول الله تعالى: ما لعبدى المؤمن عدى حراء إذا قبض صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة"

لقد تعودنا أن يكون العراء لمن يفقد واحداً من أهله ودويه.

أما حين يفقد صديقا، فإن الإسلام لا يرجى إليه العراء وحسب، بل يجعل ثواب صبره على فقدته الجنة!!

وحين نتأمل كلمة "صفيه" نرى بعض تقدير الرسول للصادقة وللصديق.. لقد كان

المسلمون جميعا يلتزمون من رسول الله الدعاء المستجاب. بيد أننا نجد الرسول الأكرم يقول لصاحب له مسافر وهو يودعه:

"لا تنسني من دعا لك يا أخى."

لحق أن هذه الكلمات من رسول الله عليه صلاة الله وسلامه لتمثل على صدر

الصحة وسام!!





الفصل العاشر

عن الثقافة والعلم..



ما سمي اليوم بالثعافه، كان يُسمى في الرمن الأسبق، الفقه. ليس ذلك لفقه بمعنى الاصطلاحى أى العلم الذى يتحدث عن أصول العبادات والمعاملات، بل الفقه بمعنى الموسوعى، أى البصيرة التى تكونها لمعرفة لواسعة والتجربة الرشيدة.

وفى أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام يلقى كثيراً بكلمتى "فقه وفقيه" تحملاً لهذا المعنى لدى تحمله اليوم كلمتا "ثقافة ومتقف". فإذا كتب لثقافته ليوم يعنى ما يمكنه العلم على صاحبه من ثراء لعقل وأرواح بحيث يمتدح هذا المتعلم المتقف نور الشخصيه، وبهذا النظرة.. وبحيث يؤتى القدره على التفاهم مع عمن، الحية وجوهر الأشياء.. وبحيث يكون له دائماً وجهة نظر بابعة من اقتناعه تجاه الحياة وقضاياها..

ويكنىه واحده إذا كتب الثعافه يعنى "البصيرة العارفة" التى نهدي، لعقل وتفود السلوك، ونصيه الشخصيه، من "الفقه" كما نراه فى الكثير من أحاديث الرسول هو ذات الشئ الذى تسميه اليوم "ثقافة".

وحسبنا الآن أن نطالع هذا الحديث الكريم.

يقول عليه الصلاة والسلام:

"رَبُّ حَامِلِ فِقْهٍ، لَا يَفْقَهُ لَهُ

وَرَبُّ حَامِلِ فِقْهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ".

(رَبُّ حَبٍ مِنْ فِقْهِ لَا فِقْهُ لَهُ.) أى رَبُّ حَامِلِ عِلْمٍ مُحْضَرٍ مَعْرِفَهُ لَا فِقْهُ لَهُ. يعنى لا يملك ذلك لشئ الشمس الذى يمكنه العلم ونصيبه لمعرفة على لعقل وأرواح..

(وَرَبُّ حَامِلِ فِقْهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ). أى رَبُّ حَامِلِ عِلْمٍ وَمُوسَّوعَةٍ مَعَارِفٍ.. لا يجاور هذه لثخوم؛ بينما هناك من يأخذ من علمه ويتعلمد عليه، ثم يتفوق

عليه بالعلمه المتمثل في حسن الفهم وحسن التقدير وفي تألق الفكر وعفوية  
الشعور..!!

وبعبارة أخرى فإن معنى الحديث بتمامه، كم من عالم غير مثقف،  
ودلث وفق المفهوم الذي أسلفناه للثقافة، لا دلت المفهوم الرخيص لدى تنوكه  
لألسنة في غير تقدير للثقافة ولا توقير.

والعلمه بمعنى الثقافة، وأصبح في حديث الرسول الذي قدمناه، وصوحه في حديث  
أخرى - كان الرسول يعلمها بها أنه ليس المهم أن تكون عالماً - مجرد عالم - بل أن  
يجعل العلم منك إنساناً فعلاً. مثقفاً. لا تحترق المعرفة فحسب بل تحولها إلى مباح  
عقلي وروحي نحيها فيه ويحبها معك فه خلق كثير.

يقول عليه الصلاة والسلام:  
"إنما العلم بالتعلم"  
و"إنما العلم بالتعلم"

فإذا كان العلم يتطلب معاناة التحصيل؛ فإن الثقافة تتطلب معاناة النظر والمحص  
والتأمل الوثيق والتأمل العميق.  
"إنما العلم بالتعلم"

أي أن جوهر العلم في تقدير الرسول يحسن في العلم. العلم بمعنى الذي  
تحدث عنه.

بد أن العلم لا ينفصل عن العلم، فهو مدونه التي منها يجيء العلم، وتشكك  
ببصيرة والثقافة.

والرسول وهو يتحدث عن العلم لا يعني أبداً مجرد التحصيل ولا احترام.. بل يعني  
تماماً ما يعنيه بالفقه والتفقه.

وإذا كان يرفع من شأن العلم الذي يرادف مفهومه مفهوم الثقافة، فيمكن يسها إلى  
أن العلم كله يجب أن يكون فقه. يجب أن يعكس جلاله وبهاءه وبوره على تفكيره وعلى  
ضمايرها وعلى مسلكنا.

ومن ثم، فإن الحديث الذي مضى فيها الآن وهي تحدث عن العلم وقيمه  
وفصله ومثوباته، إنما تعني ذلك العلم البصير الذي يهب صاحبه نوراً، ويجعله  
نوراً..

إن الرسول عليه السلام لا يعرف العلم مفصلاً عن العمل، ولا يعرفه إلا موصولاً  
بمايته وأهدافه..

وعنه العلم حق الإنسان المتكامل بفكره، وشعوره، وصغيره، وإرادته..

\* \* \*

و الآن، ونحن نستقبل أحاديث الرسول الكريم عن العلم، أو الفهم، أو الشفاهة فقد  
أوضح أن الثلاثة في تقدير الرسول شيء واحد

الآن، ونحن نستقبل أحاديثه الكريمه عن هذا الموضوع، فليبدأ بهدوء بحديث  
الذي لا أعرف في تقدير العلم وإجلاله وبكريمه ما بُظِره أو يُصاهبه.  
والحديث يرويه "أبو مسعود الدري" رضى الله عنه يقول:

"كان رسول الله ﷺ يمسح ما كسا في الصلاة - أي يسوي الصفوف بيده -

يقول: امشوا ولا تحلموا، فتختلف فلو يكمن ليلنى منكم أولو الأحلام  
والنهي.."

ثم الذين يُلُونَهُمْ.. ثم الذين يُلُونَهُمْ

إن الصلاة في الإسلام هي ذروته وعموده.. وهي قلب العبادة والتسك.   
والرسول - هو واقف في الصلاة يؤم المسلمين في صلواتهم، يجعل الأولوية في  
الدين بلونه رأساً في صفوف الصلاة لا للأكثرين ورعاً وتسكاً وعبادة. بل لأكثرين  
عملاً وفهماً.

"ليلنى منكم أولو الأحلام والنهي"

ليلنى منكم دوو العقول الراجحة المتميزة بالعلم وبالحكمة وبالمعرفة  
و، ذا كان هذا هو المكان الذي يؤتاه الرسول أهل العلم والنهي في  
الصلاة، فهل يكون مكانهم أدنى من ذلك فما وراءها من صفوف للمجتمع ودينا  
الناس..؟

إن أمر الرسول عليه السلام أن يلبه في الصلاة العلماء والحكماء لا يمس بكريم  
مقامهم وإعلاء شأنهم فحسب، بل يعنى مع هذا وقبل هذا إتيان مكانهم. لحق  
ووضعهم الصحيح في الجماعة والأمة.

فمكثهم دئماً أمام الناس، يهدوهم للحق، ويرتادون لهم الطريق، ويشجعون على  
الجموع بتور ما معهم من حكمة وعلم وتجربة..

والرسول إذ يجعل مكانهم في الصلاة أقرب المصلين إليه وأولاهم به إنما يؤكد في نفس الوقت ما يعنيه بالعلم وبالحكمة وما يعنيه بالعلماء والحكماء، وبه ليريد المعنى وصوحاً حين يقوله:

"أفص العبد العفة"

ويقوله: "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله به طريقاً إلى الجنة".

فالعلم الباطن المصنوع الذي يهدي القلوب إلى الله، ويهدي العقول إلى الصواب، ويحقق للنفس السلام والأمن وعافيه الحياة، هو العلم وأصحابه هم العلماء..

من أجل هذا يجعل الرسول طلب العلم فرضاً، فعمول عليه الصلاة والسلام.

"طلب العلم فريضة على كل مسلم"

ويجمل، للمعانة في تحصيله جهداً ينتهي ما عه بهي بالاستشهاد يقول عليه السلام:

"من خرج في طلب العلم، فهو في سبيل الله حتى يرجع"

ويقول أيضاً

"من جاءه أجله وهو يطلب العلم لعى الله ولم يكرمه ومن ليس إلا درجة النبوة".

"إذ جاء الموت طالب العلم وهو يعلم مات وهو شهيد".

ويجبرن الرسول أن كل أمجاد الدنيا، كدبه ورائله، إلا مجد لاسمائه وعلمه. ولدين يقطعون أعمارهم وراء المال، أو الشهرة، أو الجاه، ثم لا يعمروا قلوبهم هدى، ولا يعمروا عقولهم علم - إنما هم التماء الصائعون. يقول عليه السلام:

"الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها - إلا ذكر الله، وما ولاه وعلمه، وضعيف"

من أجل ذلك فإن النفس الدكي السديد ليس هو الذي يدور حول أي من مغريات الدنيا ومضلاتها.. بل هو ما كان موضوعه الحير والعلم.

ويقول عليه الصلاة والسلام:

"لا حسد إلا في اثنتين

\* رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكه في الحق

\* ورجل آتاه الله الحكمة، فهو يقضي بها ويعلمها

فالمال الذي يبعثه صاحبه في كل وجوه البر والعون والحر  
والحكمة التي نهدي الدمن إلى الصواب والحق .  
هذان وحدهما، هما مهوى كل نافع وفاضل ورشيد .

\* \* \*

إن عظمة العلم ماثلة في أنه نور الحياء ونور الحياء .

فحتى العبادة والدين، يظل العلم نورهما ..

من أجل هذا، يقول عليه الصلاة والسلام .

"فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد"

ذلك أن الشيطان يحد طريقه سهلاً إلى كل عبادة لا يصونها نور العلم والحق، يسم

بمفس كل محاولاته لتسور عباده يتفحها العلم ويهديها ونصيتها .

ولقد ذكر لمرسول رجلاً - عابد، وعالم، فقال عليه السلام .

"فصل العالم على العابد، كفصلي على أذنكم"

أي بكرم للعلم وللعلماء فوق أو حتى تقرب هذا الكريم

لقد تعمد من ربه العلى فصل العلم حتى كان أول أمر بلفه من ربه

﴿ اقرا باسم ربك الذي خلق ﴾

وحين نزل عليه الوحي بقول الله سبحانه:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

وحين تزل عليه عشرات الآيات القرآنية التي تخص على التكبر والتدبر

والبعث وتعلن في جلال عظم أن الله سبحانه .

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا

أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

وهكذا يحدث عليه الصلاة والسلام عن العلماء فقال .

"إن العلماء ورثة الأنبياء .

"إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ولكن ورثوا العلم، فمن أحده

أخذ يحفظ وافر

من كان يعرف في تكريم العلم والعلماء أروع من هذا فليأت به !!

ولتقرأ هذا أيضاً:

"إن السلافة لتضع أجنحتها لطالب العلم رماً بما يصنع" !!

ولكن أي علم يريد الرسول؟

به - أولاً - العلم الذي يقصر ليس أمور دنيهم ويدفع حدتهم في طريق لمصيبه

والخير، ويؤتى أسباب انصالحهم بالله، برئهم وربهم

يقول عليه السلام:

"تعلموا الفرائض والمرآن، وعلموا الدس؛ فهي مقبوض

ويقول:

"نصر الله امرأ سمع مقالتي فحفظها ووعاها، ولعلها من لم يسمعها.

فالعلم الذي يقدم للناس دين الله وسنة رسوله، بأني على رأس كل أسواع لعلم

وصنوفه، وذلك بما ينظمه من نيات لأحكام الشريعة وأسرارها. وبما ينهض به من أمر بمعروف ونهي عن المنكر..

وبعد هذا بجيء العلم بكل أشكاله، ما دام ينفع الناس وتسمى عطية الحام

فالعلم لدى يقود خطى الحضارة في رشد، ونسهم في دفع التدهور الإنساني، في كل

صنوفاته وفي مجالاته التي تعود على الحياة الإنسانية بالصنع والخير - علم يبال حظه الوافر من أحاديث الرسول وتعاليمه..

يقول عليه السلام:

"الحكمة صالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحوبها".

والحكمة حيث يكون ومن أي مصدر تحيى صالة المؤمنين - عليهم أن يبحثوا

عنها ويحرصوا عليها.. بل هم أولى الناس بكل علم يطور مقدرة الحياة.

ويقول عليه السلام:

"إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث:

\* صدقة جارية.

\* أو علم ينتفع به.

\* أو ولد صالح يدعو له.. \*

فصوب النبي عليه السلام. [ علم ينفع به ] يتنظم علوم الحياة التي تنفع الناس،  
ويسر لهم وعليهم وبمثل لعشر؛ والتي تزيد ثراءهم العلى والروحى  
لقد وعى الرسول قول الله سبحانه وتعالى:  
"وفوق كل ذي علم عليم"  
وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً"

فما هذا العلم الذى لا منتهى لأبعاده ولا حصر لعلمانه ؟  
به علم، لدنيا والآخرة. علم السك وعلم العباد. علم الكون بكل ما يستطيع أن  
يصل إليه من كشف وأسرار؛  
لعلم الذى تتم به عمارة الأرض وإزهار الحياة، أينما كان وحيثما يكون.  
يقول عليه الصلاة والسلام:  
"أطلبوا العلم ولو فى الصين"

فلا حدود من تحوم الأرض، ولا حدود من تحوم العميد مراد المسلم عن أحد  
العلم النافع والحكمة الصادقة.

وسجهم هو تحطيته المادحة التى يعيد الرسول منها أمه  
وكن عر - كما يقول الأصف - لا يوجد بعلم فلى ذل مصيره..  
وقد وعى علماء الإسلام روح التوجه النبوى الكريم فتوثقوا فى كس صنوف  
لعلوم، ونالوا، وعلموا الدنيا وصنعوا الحضارات.

\* \* \*

و لرسول يد بأمر أن يطلب العلم ولو فى الصين، يشربنا بالحراء الأوفى عن كس  
مشقة نلاقيها وكل كبد نعانىه فى طلب العلم.  
يقول عليه الصلاة والسلام:

"من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة"

ولأن العلم بهذه المثابة والمكانه، فقد راح الرسول الكريم يدكر بأخلاق لعلمه  
وأخلاق طلاب العلم.

وراح يهدى إليها ويدل عليها.

يقول عليه السلام:

"تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والوقار

وتواضعوا لمن تتعلمون منه"

إيجار يتفخر حكمه وهدي.. فإن يعلم الناس العلم - مجرد العلم - لا يأتون أمراً مذكوراً.

أما أن يتعلموا مع العلم أو قبله تلك لصفات الخُصمة العالية لئلي يجعل العلم نوراً وقدوة ورحمة، فذلك هو العلم حقاً.

وهذا يقول الرسول مشيراً إلى بعض تلك الصفات:

"وتعلموا للعلم السكينة والوقار"

ويجلى لرسول العلم عن أن يتحده أصحابه وسيله وعرضاً للرهو الكذب.. ولعلم الحق هو الذي يرداد تواضعاً وتعباً كلما ارداد علماً يقول عليه الصلاة والسلام:

"لا تعلموا العلم لآهوا به العلفاء، ولا لتفروا به لسمهاء، ولا -

لتحتاروا به المعجالت..

"فمن فعل ذلك.. فالتار.. النار.."

ولعلم كما يعلمنا الرسول عليه الصلاة والسلام أجل وأعلى من أن يتحد قوت لعرور الأنفس الصغيرة ورهوها الرخيص.

ولرسول يريد العلم حالصاً لوجه الله، مُصمّحاً بعضائل النفس، بعيداً عن مر لقي الهوى..

يقول عليه السلام:

"من علم صرف الكلام - أي فصيحاً - ليسني به قلوب الناس سم يعيل الله منه يوم القيامة صرقاً"

ولعلم - لا سيم - حتى يكون دعوة إلى الله، يجب أن يترأ من رعية النفس في لوصول به إلى أي من أعراس الدنيا الباطلة، ويجب أن يترأ من خطبة العاس به والرياء.

\* \* \*

ويُحلُّ الرسول العلم عن أن يكون زلمي لدى سلطان، أو أن يوضع في خدمه سطر ظالم، يستعين به على قهر ظلمه ودغم سلطانه..

بن حسي إذا ظن لعنماء أنهم قادرون على تحامي منه السلطان حسن يقربون من أصحابه، يبادر لرسول فيدحض هذا الوهم ويحذر من سوء العاقبة، يقول عنه الصلاة والسلام:

"إن باب من أمي، سمعتهون في الديس، يقرأون القرآن - يقولون بأني الأمراء فنصيب من دنياهم، و - يحفظ - يديسا.."  
 "ولا يكون ذلك. فكم لا يخشى من العناد، لا الشوك، كذلك لا يخشى من قريهم إلا الخطايا".

\* \* \*

ويريد الرسول الكريم للعلم أن ينشر عن سعة، وألا يحل به أهله ودووه..  
 "من من رجن يحفظ علماً فكمه إلا أتى يوم القيامة ملجوماً بلحام من در"  
 إن الحرء من جنس العمل - وكما ألجم هذا نفسه حين يحل بالمعرفة وبالعلم على الناس - يلجم بعض اللجام يوم يقوم الناس لرب العالمين.  
 ولعلم يسعى أن يكون دعوة إلى الخير وتأيداً له وبوكيداً أما سحيره لشر ومثبعته الباطل فزتم يحذر منه الرسول:

"من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا يفسد ذلك من أجورهم شيئاً.."  
 "ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا يفسد ذلك من آثامهم شيئاً".

فمستوية العلم ولعلماء ذات خطر عظيم. وكل علم يهتف بالحر ويدعاه العتاة والسلام والحق، ينتشر بوره ويعظم عند الله مثوبته.

وكل علم يستخر لخدمه الباطل، فون عتاه يكون وبلاً من أجل هذا يرسل الرسول في هذا الداء الجليل.  
 "تناصحو في العلم؛ فون خيانة أحدكم في علمه أشد من خيانه في ماله."  
 "وإن الله مُنَاتِلُكُمْ".

ويقول عليه السلام.

"لا يرول قدمي عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع

\* عن عمره، قسم أفاء.

\* وعن شبابه، قسم أبلاه.

\* وعن ماله، من أين اكتسبه، وفيما أنفق.

\* وعن علمه، ماذا عمل فيه

والعلم - لا علم الدين وحده، بل وعلوم الدنيا أيضاً - لا مكان به، ولها، ولا  
مجان سوى خدمه لحق وسداء الثمن للبشرية. فإذا عمل بعداً عن هذا المجال  
فقد انحرف إلى لعمري على صاحبه وعلى الناس، من أجل هذا، كان الرسول يعود  
كثيراً ويقول:

"اللهم إني أخوذ بك من علم لا ينفع.."

\* \* \*

ودور العلم في العدو الصالحة موضع اهتمام الرسول وحرصه

\* ولكي يبلغ العلم مبلغ القدوة الرفعة، ثم لكي يكون لعدوه هو الناصر والإسع  
يجب أن يكون فيسراً سمحاً..  
يقول عليه السلام:

"حدثوا الناس بما يعرفون؛ أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟"

فعموم العلم وبالعالم، عمل غير صالح يرى فيه الرسول أفتاً - ليس على حق  
الناس وحدهم - بل وعلى حق العلم ديه، وحق العباد الجليله. لنى يعمل العلم فى  
سبيل

\* كذلك يجب أن يكون العلم فى خدمه الحق والخير وحدهما .  
وكل محاولة لرج العلم فى مآهات الهوى والبطل والفساد ونال على العلم وعلى  
الناس.

من أجل هذا يقول الرسول الكريم:

"إن أخوف ما أخاف عليكم بعدى، كل ما هو عليم الناس

فالناس يبدعون بالعلم ويوسعون به لإحراز الوجاهة والجاه والسعود، فضحى  
بكرامته فى سبيل أطاعهم الرخيصة وبما فهم اللاهت - هم خطر ما هو على الأمة بشى  
يعايشونها.

\* واعلم لصحيح بحث عن الصواب دوماً. ومن ثم فاجدل الذي نمش معركته  
ذلك، بطل ينهي عنه الرسول ويحذر منه

إن المباشرة التي يبحث عن الصواب، وإن الحور الذي ينم وجهه شطر الحق -  
هم لا تقدر يا معلم وبإعلماء أم، لجدال لمجرد الرعة في العبه، والرؤى بالذكاء،  
بصل وصلال. وهنا يقول الرسول عليه السلام:  
"ذروا المراءاة لقللة خيرة.."

"ذروا المراءاة؛ فإن المؤمن لا يعري،  
"ذروا المراءاة؛ فإن المخاري قد ثمت خسارته"

ويقول صلى الله عليه وسلم:  
"من صن قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل"  
فكل جدل لا ينمى أصحابه به رؤية الصواب والحق، ليس سوى هراء،  
وصلال.

ونقيم لرسول مبرراً لقضائنا الفكر والعلم حين يقول:  
"إنما الأمور ثلاثة.

\* أمر تنبى لك رشده، فاتبعه.

\* وأمر تنبى لك غنه؛ فاجسه.

\* وأمر اختلف فيه؛ فردد إلى عالم."

ورد بأمره الرسول أن ردد ما يختلف فيه إلى عالم، فرب لا يعنى أن يكون  
مجرد مفكرين وإمعان. إنما يعنى أن تعرض عقولك وأفكارك على عيون  
الآخرين وأفكارهم الذين هم أكثر ما فى موضوع الخلاف تخصصاً وأوسع  
علماء.

أما أن يسارل لإسان عن عقله وتفكيره، فامر لا يعنيه الحديث.

يقول عليه الصلاة والسلام:

"لا يكونى أحدكم إقمه، يقول إذا أحسن الناس أخست. وإذا أمت هو  
أسألت.."

\* \* \*

لقد درّب الرسول الكريم عقول أصحابه وعمول المسلمين على التأمل و نظر أبع  
تدريب

ولقد كانت حصونه وحفاوة دينه بالعلم وبالعلماء يعوق كل نظر  
وإن هذا الوصف الباهر الذي يصف العلم به واحد من أصحاب لرسول، لذلك  
عنى عمق الولاء الذى عرّسه النبى فى أفئدة أصحابه للعلم وللعلماء،  
بقول صاحب رسول الله "معدن جبل" رضى الله عنه.

"تعلموا العلم؛ فإن يعلمه الله حسبه وطلبه عبادة ومداكره سبب  
و ليبحث عنه جهاد. ويعلمه لمن لا يعلمه صدقة ويدينه لأهله فريه.  
إنه معالم الحلال والحرام. ومدرّس أهل الحنف.  
وهو الأيسر فى الوحشة.. والصاحب فى الغربة.. والمحدث فى الحسوة.  
و لدليل على السراء والضراء.. والسلاح على الأعداء.. والرئيس عند  
الأخلاء.."

"ويرفع الله به أقواماً فجعلهم فى الحيرة فده تفسر آثارهم، ويُقنّدى  
بمعالمهم، ويُنتهى إلى رأيهم."  
"ترغب الملائكة فى حلتهم، وبأجنتها بمسهم، ويستعمر لهم كل رطب  
ويابس."

"وإن العلم حياة العلوب من الجهل. ومصباح الأبصار من الظلم.. يبلغ  
العبد بالعلم مدارج الأخير والدرجات العلى فى الدارين والآخرة."  
"والتفكر فى العلم يعدل الصيام. ومدارسته يعدل الصيام."  
"به توصل الأرحام. ويُعرف الحلال من الحرام."  
"وهو إمام العمل، والعمل تابعه."  
"يلهمه السعداء.. ويُحرّمه الأشقياء.."

\* \* \*

\* هكذا ينبغي العلم أرفع المارل فى أفئدة أصحاب الرسول بوحي كنهه وسوكه  
ووصاياه..

وهكذا بقى العلم فى كل عصور التاريخ الإسلامى بقود خطى العوكب العظيم

الذي ظل يحمل راية التوحيد والإيمان والعصاة والحر قرون تلو قرون.  
 \* وما حسب ، لعلم بلغ العاية في رشده وهديه ونفعه للناس ورحمته للروح  
 وللعقل ولنصميم - مثل ما بلغ من ذلك كله في ظل الأمة المسلمة.. حير أمة أخرجت  
 للناس..!!





## مراجع الأحاديث النبوية

صحيح البخاري .....	... للإمام البخاري
صحيح مسلم ..	.. للإمام مسلم
رياض الصالحين ..	... للإمام النووي
تيسير الوصول ..	.. للعلامة ابن الدثيث الشيباني
الترغيب والترهيب .....	.. للحافظ المعتزلي
التاج الجامع للأصول	... للشيخ منصور علي ناصف

The first part of the paper discusses the importance of the research and the objectives of the study. It then presents a literature review of the existing research on the topic. The methodology section describes the research design and the data collection process. The results section presents the findings of the study, and the conclusion section summarizes the main findings and provides recommendations for future research.

The study was conducted in a laboratory setting, and the data were collected using a series of experiments. The results of the experiments were analyzed using statistical methods, and the findings were compared with the results of previous studies. The study found that the research objectives were achieved, and the results were consistent with the hypotheses.

The study has several limitations, and there are some areas for future research. The study was limited to a specific population, and the results may not be generalizable to other populations. The study also used a specific methodology, and the results may be different if a different methodology was used.

In conclusion, the study found that the research objectives were achieved, and the results were consistent with the hypotheses. The study has several limitations, and there are some areas for future research.

فہرست

شجرة

# الفهرس

٧	مقدمة
٩	الفصل الأول : من النفس الباطنة
٣٣	الفصل الثاني : عن الفطرة المؤمنة
٥٢	الفصل الثالث : عن أزمة الإنسان
٧٩	الفصل الرابع : عن فضائل الحياة
١١٣	الفصل الخامس : الإنسان وربه
١٩٣	الفصل السادس : الإنسان وعالمه
٢٤٣	الفصل السابع : عن المال
٢٧٣	الفصل الثامن : عن العمل
٢٩٥	الفصل التاسع : عن الصداقة والصحبة
٣١٣	الفصل العاشر : عن الثقافة والعلم
٣٢٧	مراجع الإحاطة النبوية

